شهر رجب
شهر شعبان
شهر رمضان
شهر شوال
شهر ذي القعدة
شهر ذي الحجة

Al-Sada

Cgltgral Qgavterly Jogrnal For Hegira Events

Issged by the al _abbas holey shrine Department of Intellectgal and
Cgltgral Affairs Division of thogght and creativity

صدق الله العلي العظيم
سورة الزلزلة: الآية/ ٧.

الإشراف العام
السيد عقيل عبدالحسين الياسري

رئيس التّحرير
صباح نعيم الصافي

مدير التّحرير
محمد الأسدي

هيأة التّحرير
رضوان عبد الهادي
حيدر فائق هادي
عباس صباح مرشد
حيدر الدفاعي
محمد يوسف

المراجعة اللغوية
محمد رضا جاسم

المشاركون
الشيخ عبد الرزاق فرج الله الأسدي
الشيخ فوزي آل سيف
أ.د. نجم عبدالله الموسوي
أ. م. د. حازم طارش حاتم

التصميم و الإخراج
حسين عقيل

التنفيذ الطباعي
دار الكفيل
للطباعة والنشر والتوزيع

للاشتراك

تستقبل مجلة الصدى المشاركات (البحوث والمقالات) باللغة العربية، ووفق المحاور التي تغطي أحداث السنة الهجرية وتتناول السيرة العطرة للنبي الأكرم ﷺ، وأهل بيته عليهم السلام.

ترسل المشاركات على العنوان الآتي:
العراق / كربلاء المقدسة / مجمع الكفيل الثقافي / شارع الاسكان / خلف متنزه الحسين عليه السلام الكبير

التواصل مع المجلة:

alsadda@alkafeel.net
info@alkfeel.net

رقم الايداع في دار الكتب و الوثائق العراقية
٢١٩٤ لسنة ٢٠١٦م

في البدء

بسم الله الرحمن الرحيم

أئمة أهل البيت ﷺ هم مصابيح الهداية وسفن النجاة، وأزِمّة الحقّ، وأعلام الدين، وألسنة الصدق؛ إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم يُسبقوا. فهم حياة العلم، وموت الجهل.

يُخبركم حلمهم عن علمهم، وظاهرهم عن باطنهم، وصمتهم عن حِكَم منطقهم، لا يخالفون الحقّ ولا يختلفون فيه . إن سكتوا كان سكوتهم ذكراً، وإن نظروا كان نظرهم عبرة، وإن نطقوا كان منطقهم الحكمة. فكلامهم: لا يُملُّ، وحديثهم لا تمجّه الآذان، وتستأنس به النفوس، وهو إلى القلب أسرع منه إلى السمع؛ وذلك لأنّ لسان حالهم أسبق من لسان مقالهم. وانّ ما يخرج من القلب لا شك أنه يدخل مفترشاً صحراء القلب، ولا يبقى عالقاً في شفير المسامع .

ونطقهم حكمة، وأفعالهم مضامينها مناهج عمل، وأفعالهم مضامينها مناهج عمل، وبرامج توعية، وهداية للسالكين.

فَما اَحْلى اَسْمائَهمْ، وَاَكْرَمَ اَنْفُسَهمْ، وَاَعْظَمَ شَأنَهمْ، وَاَجَلَّ خَطَرَهمْ، وَاَوْفى عَهْدَهمْ، وَاَصْدَقَ وَعْدَهمْ، كَلامُهمْ نُورٌ، وَاَمْرُهمْ رُشْدٌ، وَوَصِيَّتُهمُ التَّقْوى، وَفِعْلُهمُ الْخَيْرُ، وَعادَتُهمُ الاِحْسانُ، وَسَجِيَّتُهمُ الْكَرَمُ، وَشَأنُهمُ الْحَقُّ وَالصِّدْقُ وَالرِّفْقُ، وَقَوْلُهمْ حُكْمٌ وَحَتْمٌ، وَرَأيُهمْ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَحَزْمٌ، اِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كانوا اَوَّلَهُ وَاَصْلَهُ وَفَرْعَهُ وَمَعْدِنَهُ وَمَأواهُ وَمُنْتَهاهُ .

لذلك أصبح حبهم عبادة، بل وأفضل عبادة، وكما أن الله تعالى اختار صفوة أصبح حبهم عبادة، فقد اختار الله -تعالى- بعض أشهر السّنة على بعض، وفضّلها على سائر

الشّهور بفضائل عديدة، يعود نفعها أوّلاً وآخراً إلى الإنسان نفسه، وقد دُعي إلى الاستفادة منها، وإلّا فإن الله -عزوجل- هو الغني المطلق.

فمن خيرة أشهر السَّنة كما في الآيات، والرّوايات هي (رجب وشعبان وشهر رمضان وذي الحجة) التي اختصّت بالبركات، وحبيت بالفضائل، والمناقب المباركة، بحيث لا تضاهيها في الفضل بقية الأشهر.

ففي هذه الأشهر المباركة هناك العديد من الأعمال، والأدعية المأثورة مضافاً إلى المناسبات المباركة التي دعانا الرَّسول الأعظم محمدﷺ وأهل البيت عليهم السلام إلى تعظيمها، والاستفادة منها بالشكل المطلوب؛ ليعود نفعها على البشرية جمعاء.

إنّ هذه الأشهر مليئة بالبركات، والفضائل ولكن تحتاج إلى همم عالية؛ لكي نستفيد منها على الوجه الصحيح، وتوصل أهلها إلى طريق السَّعادة الذي خطّه لنا القرآن الحكيم، وبيّنه الرَّسول الكريم ﷺ وأهل البيت عليهم السلام.

لذلك على العباد أن يتعهدها دائماً بالتزود، وإقامة الصلاة وتلاوة القرآن الكريم، ويكثر من الصدقة والإنفاق في سبيل الله تعالى، فما تمر عليه هذه الشهور إلّا وهو ممتليء روحياً، ويجد نفسه وقد ردت إليه روحه بعد أن أظلمت بكثرة الذنوب والمعاصي والآثام والتقصير في جنب الله عز وجل، فيخرج من محطة هذه الشهور المباركة وهو أقوى إيماناً وأنور قلباً، وأعظم زاداً.

إنّ أعمال هذه الشهور تساهم بقوّة في بناء الذَّات، وتربية النفس وترويضها على طاعة الله وعبادته، ولذا فمن الضروري على المسلمين أن يهتّموا بمثل هذه الأعمال، ويواظبوا عليها ويحرصوا على أدائها، حتّى يوفّقوا لبناء أنفسهم، وصياغتها صياغة إسلامية كما أراد الله تعالى لها.

المحتوى

شهر رجب

دروس ومآثر من وصية الإمام الباقر عليه السلام ١١
من تأريخ الإمام الهادي عليه السلام ٢٧
الإعلام الزينبي والإعلام الإسلامي ٣٩
الحياة الأسرية للإمام الكاظم عليه السلام ٤٩
عوامل نجاح البعثة النَّبويّة ٥٧

شهر شعبان

من أخلاق الإمام الحسين عليه السلام مع الأسرة ٧١
سيد الوفاء العباس بن علي عليه السلام ٨٣
الدور الثقافي للإمام السجّاد عليه السلام ٨٩
دروس من حياة مولانا علي الاكبر عليه السلام ٩٩
الحكومة المهدوية ١٠٩

شهر رمضان

التوكل مفتاح النجاح في شهر رمضان ١٢٣
السفير الأول للإمام المهدي عليه السلام عثمان بن سعيد ١٣٥
شذرات غيبية من الحياة الرضوية..... ١٤٧
الدور المعنوي للسيدة خديجة عليها السلام في تقدّم الإسلام ١٥٩
الإقناع الخطابي عند الإمام الحسن عليه السلام ١٧١
معركة بدر مفتاح عهد جديد ١٨٩
شذرات تربوية من وصية الإمام علي عليه السلام ٢٠٥

شهر شوال

بصائر من عيد الفطر المبارك ٢١٣
قضاء الحوائج عند الإمام الصادق عليه السلام ٢٢١

شهر ذي القعدة

إضاءات من حياة الإمام الجواد عليه السلام..... ٢٣٣

شهر ذي الحجة

الثامن عشر من ذي الحجة العيد المبارك..... ٢٤٥

القصيدة

بين البقيع وكربلاء ٢٥٥

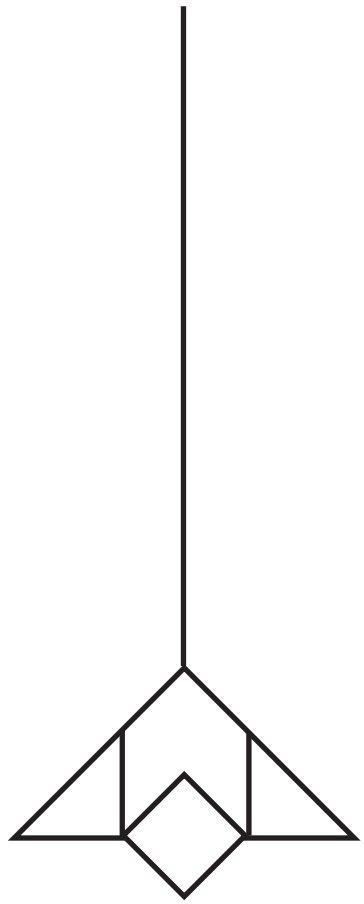

شهر رجب

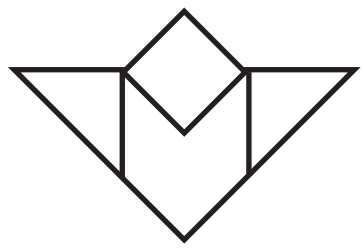

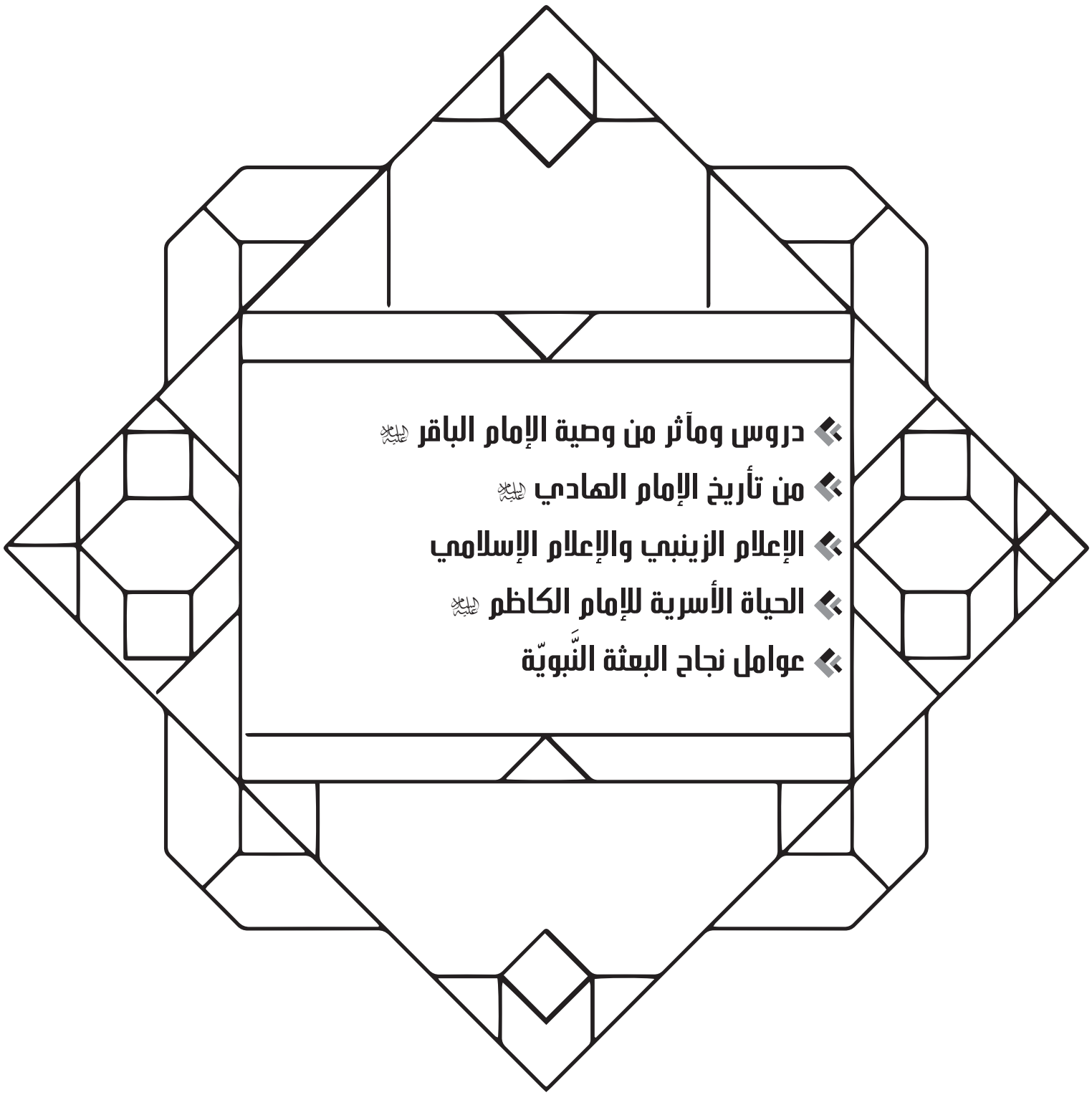
دروس ومآثر من وصية الإمام الباقر عليه السلام
من تأريخ الإمام الهادي عليه السلام
الإعلام الزينبي والإعلام الإسلامي
الحياة الأسرية للإمام الكاظم عليه السلام
عوامل نجاح البعثة النَّبويّة

دروس ومآثر من وصية الإمام الباقر عليه السلام

السيد صباح الصافي

الإمام محمد بن علي الباقر خامس أئمّة أهل البيت عليهم السلام، المعروف بالباقر، وقد اشتهر به لبقره العلم وتفجيره له. قال ابن منظور في لسان العرب: لقّب به؛ " لأَنَّه بقر العلم وعرف أَصله واستنبط فرعه وتَبقَّر في العلم"[1]، وقال ابن حجر: "سمّي بذلك من بقر الأَرْض أَي شقّها وأثار مخبئاتها ومكامنها فَكَذَلِك هُوَ أظهر من مخبئات كنوز المعارف وحقائق الْأَحْكَام وَالْحكم واللطائف مَا لَا يخفى إِلَّا على منطمس البصيرة أَو فَاسد الطويّة السريرة وَمن ثمَّ قيل فِيهِ هُوَ باقر الْعلم وجامعه، وشاهر علمه، وعمرت أوقاته بِطَاعَة الله وَله من الرسوخ فِي مقامات العارفين مَا تكل عَنهُ أَلْسِنَة الواصفين"[2].

ولد بالمدينة غرة رجب سنة ٥٧هـ وقيل ٥٦هـ، وتوفّي في السابع من ذي الحجّة سنة ١١٤هـ وعمره الشريف ٥٧ سنة. عاش مع جدّه الحسين عليه السلام أربع سنين، ومع أبيه عليه السلام بعد جدّه عليه السلام تسعاً وثلاثين سنة، وكانت مدّة إمامته عليه السلام ثماني عشرة سنة[3].

وأمّا النّصوص الدّالّة على إمامته من أبيه وأجداده الّتي ذكرها المحدّثون والمحقّقون من علمائنا الأعلام فهي مستفيضة نقلها الكليني وغيره[4].

وذكر المدائني عن جابر بن عبد الله: " أَنَّه أتى أبا جعفر محمد بن علي إلى الكتاب وهو صغير فقال له رسول الله يسلّم عليك. فقيل لجابر فكيف هذا فقال: كنت جالسًا عند رسول الله صلى الله عليه وآله والحسين في حجره وهو يداعبه فقال يا جابر يولد له مولود اسمه علي إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ ليقم سيّد زين العابدين فيقوم ولده ثم يولد

---

[1] لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم(ت: ٧١١هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- دار صادر، بيروت١٤١٤هـ، الثالثة: ٤/ ٧٣.

[2] الصواعق المحرقة، ابن حجر(ت: ٩٧٤هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي - كامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة – لبنان، الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م: ٢/ ٥٨٥.

[3] إعلام الورى بأعلام الهدى، الطبرسي، الفضل بن الحسن(ت: ٥٤٨هـ)، الإسلامية، طهران١٣٩٠هـ، الثالثة: ٣٦٤-٣٦٥.

[4] الكافي، الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق(ت: ٣٢٩هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران١٤٠٧هـ، الرابعة: ١/ ٣٠٥.

له مولود اسمه محمد فإن أدركته يا جابر فأقرئه عنّي السلام"[1].

وذكر ابن الصبّاغ المالكي بعد نقل القصّة قوله: "إنَّ النّبيّ ﷺ قال لجابر: وإن لاقيته فاعلم إنَّ بقاءك في الدنيا قليل فلم يعش جابر بعد ذلك إلّا ثلاثة أيّام. ثمّ قال: هذه منقبة من مناقبه باقية على ممر الأيّام وفضيلة شهد له بها الخاص والعام"[2].

وقال عبد الله بن عطاء: **" مَا رَأَيْتُ الْعُلَمَاء عِنْدَ أَحَدٍ أَصْغَرَ عِلْماً مِنْهُمْ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْحُكَمَ عِنْدَهُ كَأَنَّهُ مُتَعَلِّمٌ"**[3].

وقال المفيد(رضوان الله عليه): **" لَمْ يَظْهَرْ عَنْ أَحَدٍ مِنْ وُلْدِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عليهما السلام مِنْ عِلْمِ الدِّينِ وَالْآثَارِ وَالسُّنَّةِ وَعِلْمِ الْقُرْآنِ وَالسِّيرَةِ وَفُنُونِ الْآدَابِ مَا ظَهَرَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام"**[4].

استشهد الإمام محمّد الباقر عليه السلام عام ١١٤هـ ودفن في جنب قبر أبيه في البقيع ومن أراد البحث عن فصول حياته في شتّى المجالات فليراجع الموسوعات.

إنّ الشيعة الإمامية أخذت كثيراً من الأحكام الشرعية عنه وعن ولده الإمام جعفر الصادق عليه السلام وحسب الترتيب المتداول في الكتب الفقهية، وأمّا ما روي عنه في الحكم والمواعظ فقد نقلها أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء والحسن بن شعبة الحرّاني في تحفه، وغيرها من المصنّفات[5].

وصيّة الإمام محمد الباقر عليه السلام لشيعته:

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ صلوات الله عليه أَنَّهُ أَوْصَى رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ أَنْفَذَهُ إِلَى قَوْمٍ مِنْ شِيعَتِهِ، فَقَالَ لَهُ: "بَلِّغْ شِيعَتَنَا السَّلَامَ وَأَوْصِهِمْ بِتَقْوَى الله الْعَظِيمِ، وَبِأَنْ يَعُودَ غَنِيُّهُمْ عَلَى فَقِيرِهِمْ، وَيَعُودَ صَحِيحُهُمْ عَلِيلَهُمْ، وَيَحْضُرَ حَيُّهُمْ جَنَازَةَ مَيِّتِهِمْ، وَيَتَلَاقَوْا فِي بُيُوتِهِمْ، فَإِنَّ لِقَاءَ بَعْضِهِمْ بَعْضاً حَيَاةٌ لِأَمْرِنَا، رَحِمَ اللهُ امْرَأً أَحْيَا أَمْرَنَا وَعَمِلَ بِأَحْسَنِهِ.

قُلْ لَهُمْ: إِنَّا لَا نُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ الله شَيْئاً إِلَّا بِعَمَلٍ صَالِحٍ، وَلَنْ يَنَالُوا وَلَايَتَنَا إِلَّا بِالْوَرَعِ، وَإِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمَنْ وَصَفَ عَمَلًا ثُمَّ خَالَفَ إِلَى غَيْرِهِ"[6].

---

[1] تذكرة الخواص المعروف بتذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمة، سبط ابن الجوزي(ت:٦٥٤هـ)، المحقق: الدكتور عامر النجار، مكتبة الثقافة الدينية، الأولى ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م: ٦٣١.

[2] الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ابن الصباغ المالكي(ت: ٨٥٥هـ)، حققه ووثق أصوله وعلق عليه سامي الغريري، قم، دار الحديث١٣٧٩: ٢/ ٨٩٤.

[3] كشف الغمة في معرفة الأئمة: ٢/ ١١٧ - ١١٨.

[4] الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، المفيد، محمد بن محمد(ت: ٤١٣هـ)، مؤتمر الشيخ المفيد، قم١٤١٣هـ، الاولى: ٢/ ١٥٧.

[5] حلية الأولياء: ٣/ ١٨٠ ـ ٢٣٥. والحسن بن علي بن شعبة في تحف العقول: ٢٨٤ـ٣٠٠.

[6] دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام، ابن حيون، نعمان بن محمد المغربي(ت: ٣٦٣هـ)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم١٤٢٧هـ، الثانية: ١/ ٦٢.

للوصية في الدين الإسلامي أهمّيّة كبرى، لها أحكامها الخاصة في القرآن الكريم والسنة الشريفة؛ لكن ما يهمّنا هنا هو تلك الوصايا الأخلاقية الخالدة الصادرة عن أهل البيت ﷺ، تلك الوصايا التي يجب أن تكتب بماء الذهب والتي إذا ما عملنا بها كانت المنهاج في السير والسلوك الى الإنسانية وبالتالي الى الله عز وجل، لذلك سنحاول أن نستفيد مجموعة من الدروس والعبر من هذه الوصية المليئة بالحكمة والمعرفة:

الدرس الأول: السلام والتعاون أوّلاً وآخراً

بَلِّغْ شِيعَتَنَا السَّلَامَ

تعدّ فلسفة السلام هي الفلسفة الراسخة، والقاعدة العريضة الأصيلة، والمرتكز الأساس في الفكر الإسلامي، حيث يقول الحق سبحانه: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ)**[1].

إنَّ من يسير في طريق السلم الإنساني متّبعٌ لما أمر الله به عباده المؤمنين، ومن يسلك مسالك الفرقة والشقاق، والتكفير والتفجير، والخوض في الدماء، والولوج فيها بغير حقّ فسادًا أو إفسادًا، متبعٌ لخطوات الشيطان الذي هو لنا جميعًا عدوٌّ مبين.

إنَّ الجذر اللغوي لكلمتي السلام والإسلام واحد هو "سلم"، وقد تقرر في المشتقات اللغوية أنَّ الكلمات التي تنتمي إلى جذر لغويّ واحد تشترك في جوانب واسعة من المعنى كما تشترك في أصل الجذر اللغوي، وإذا كانت ألفاظ: "السلم، والسلام والإسلام" تنتمي إلى جذر لغوي واحد هو مادة "سلم"، فإنَّ أهم ما يميّز هذا الجذر هو معاني السّلم والمسالمة.

فالإسلام هو دين السلام، ونبيّنا ﷺ هو نبي السلام، وتحيّة الإسلام والمسلمين في الدنيا والآخرة هي السلام، والجنة إنّما هي دار السلام، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى في شأن عباده المؤمنين في الجنة: **(لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)**[2]، وتحية أهل الجنة السلام، حيث يقول الحق سبحانه: **(دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ)**[3]، وتحية الملائكة لهم فيها سلام، حيث يقول الحق سبحانه: **(وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّار)**[4]، ويقول سبحانه: **(وَيُلَقَّوْنَ**

---

[1] البقرة: ٢٠٨.

[2] الأنعام: ١٢٧.

[3] يونس: ١٠.

[4] الرعد: ٢٣- ٢٤.

فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا)[1]، ويقول سبحانه: **(تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيماً)**[2].

إنَّ السلام الحقيقي يقتضي أن يكون الإنسان في سلام مع نفسه، مع أصدقائه، مع جيرانه، مع النبات والحيوان والجماد مع الكون كلّه، ألم يقل النبي الأعظم محمدﷺ: **"الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِه"**[3]، **"الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِم"**[4].

السلام.. هذا اللفظ الجميل والذي يدلّ فيما يدل عليه، على الأمن والهدوء والاطمئنان والسعادة والرفاه.. وغيرها من المتقاربات. معنويًّا. من بعضها البعض من حيث المعنى النابع من لا شعور الإنسان.. من أعماقه. من سُويداء القلب وحناياه.

قَالَ الإمامُ محمد بن علي الباقرؑ: " إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ إِفْشَاءَ السَّلَامِ"[5].

الدرس الثاني: التقوى قاعدة النجاح

وَأَوْصِهِمْ بِتَقْوَى اللهِ الْعَظِيمِ

التقوى شأنها عظيم، ونفعها عميم، لها فضائل لا تُحصى، وثمراتٌ لا تُعدّ، ولها أهمّيّة كبرى، وثمرات جليلة، وفضائل عظيمة، وأسرار بديعة، وهي طريق النجاة، وسلّم الوصول، ومنهاجُ القاصدين والصالحين في سيرهم إلى ربّ العالمين، قال تعالى: **(يَابَنِيَ آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ)**[6].

قال الراغب الاصفهاني في المفردات في لفظة وقى: " الْوِقَايَةُ: حفظُ الشيءِ ممّا يؤذيه ويضرّه. يقال: وَقَيْتُ الشيءَ أَقِيهِ وِقَايَةً ووِقَاءً. قال تعالى: **(فَوَقَاهُمُ اللهُ)**[7]، **(وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ)**[8]، **(وَما لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ واقٍ)**[9]،

---

[1] الفرقان: ٧٥.

[2] الأحزاب: ٢٤.

[3] الكافي: ٢/ ٢٣٤.

[4] أعلام الدين في صفات المؤمنين: ٢٦٥.

[5] الكافي: ٢/ ٦٤٥.

[6] الأعراف: ٢٦.

[7] الإنسان: ١١.

[8] الدخان: ٥٦.

[9] الرعد: ٣٤.

(ما لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا واقٍ)[1]، **(قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ناراً)**[2]

والتَّقْوَى جعل النّفس في وِقَايَةٍ مما يخاف، هذا تحقيقه، ثمّ يسمّى الخوف تارة تَقْوىً، والتَّقْوَى خوفاً حسب تسمية مقتضى الشيء بمقتضيه والمقتضي بمقتضاه، وصار التَّقْوَى في تعارف الشّرع حفظ النّفس عمّا يؤثم، وذلك بترك المحظور، ويتمّ ذلك بترك بعض المباحات لما رُوِيَ: " الْحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَمَنْ رَتَعَ حَوْلَ الْحُمَّى فَحَقِيقٌ أَنْ يَقَعَ فِيهِ"[3].

والتقوى اصطلاحًا: " عبارة عن الاجتناب عن محارم الله تعالى، والقيام بما أوجبه عليهم من التكاليف الشرعيّة، والمتّقي هو الذي يتّقي بصالح عمله عذاب الله، وهو مأخوذ من اتقاء المكروه بما يجعله حاجزًا بينه وبينه.

والتقوى بعد الإيمان، التّورّع عن محارم الله واتقاء الذّنوب التي تحتّم السخط الإلهي وعذاب النار، وهي الشرك بالله وسائر الكبائر الموبقة التي أوعد الله عليها النار، فيكون المراد بالسيئات التي وعد الله سبحانه تكفيرها الصغائر من الذنوب، وينطبق على قوله سبحانه: **(إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا)**[4]، **(.. وَمَن يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا)**[5]، **(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُواْ وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ)**[6].

ليس لأحد فضل على أحد إلّا بالتقوى

عن عقبة بن بشير الأسدي، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أنا عقبة بن بشير الأسدي، أنا في الحسب الضَّخم مِن قومي.

قال: فقال: **" مَا تَمُنُّ عَلَيْنَا بِحَسَبِكَ إِنَّ اللهَ رَفَعَ بِالْإِيمَانِ مَنْ كَانَ النَّاسُ يُسَمُّونَهُ وَضِيعاً إِذَا كَانَ مُؤْمِناً وَوَضَعَ بِالْكُفْرِ مَنْ كَانَ النَّاسُ يُسَمُّونَه شَرِيفاً إِذَا كَانَ كَافِراً فَلَيْسَ لِأَحَدٍ فَضْلٌ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِالتَّقْوَى "** [7].

---

[1] الرعد: ٣٧.

[2] التحريم:٦.

[3] مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد(ت: ٤٠١هـ)، دار القلم- الدار الشامية، بيروت- دمشق١٤١٢هـ، الأولى: ٨٨١.

[4] النساء: ٣١.

[5] الطلاق: ٥.

[6] المائدة: ٦٥.

[7] الكافي: ٢/ ٣٢٨.

الدرس الثالث: الجانب الاقتصادي

وَبِأَنْ يَعُودَ غَنِيُّهُمْ عَلَى فَقِيرِهِمْ

" المراد بالفقير من لا يملك مؤونة سنته اللائقة بحاله لنفسه وعائلته، لا بالفعل ولا بالقوة، فلا يجوز إعطاء الزكاة لمن يجد من المال ما يفي ـ ولو بالتجارة والاستنماء ـ بمصرفه ومصرف عائلته مدّة سنة، أو كانت له صنعة أو حرفة يتمكّن بها من إعاشة نفسه وعائلته وإن لم يملك ما يفي بمؤونة سنته بالفعل، والمسكين أسوأ حالاً من الفقير كمن لا يملك حتّى قوته اليومي"[1].

إنَّ الإسلام يأمر بالرّحمة والشفقة والرفق والإحسان، ومن مظاهر الرحمة في الإسلام دعوته إلى الإنفاق والبذل والكرم وإقراء الضيف والتصدّق وإيتاء الزكاة والخمس ضمن آيات كثيرة في القرآن الكريم ووردت أحاديث كثيرة تحثّ على الإنفاق عن الرسول وأهل بيته الأطهار ﷺ.

إنَّ الإنفاق في الدين الإسلامي يهدف إلى إلغاء الطبقية في المجتمع، والقضاء على الفقر والحرمان، وقد جاء في الحديث عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: **" إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ، فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلاَّ بِمَا مُتِّعَ بِهِ غَنِي، وَاللهُ تَعَالَى سَائِلُهُمْ عَنْ ذلِكَ"**[2].

لم يكن المجتمع يعرف الفقر عندما كان الأغنياء يعطون الحقوق الشرعية، لذا قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: **" إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ الزَّكَاةَ كَمَا فَرَضَ الصَّلَاةَ وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا حَمَلَ الزَّكَاةَ فَأَعْطَاهَا عَلَانِيَةً لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ عَيْبٌ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ مَا يَكْتَفُونَ بِهِ الْفُقَرَاءُ وَلَوْ عَلِمَ أَنَّ الَّذِي فَرَضَ لَهُمْ لَا يَكْفِيهِمْ لَزَادَهُمْ وَإِنَّمَا يُؤْتَى الْفُقَرَاءُ فِيمَا أُتُوا مِنْ مَنْعِ مَنْ مَنَعَهُمْ حُقُوقَهُمْ لَا مِنَ الْفَرِيضَةِ"**[3].

والإسلام عندما يحث على الإنفاق لا يعني ذلك التصدق بمبلغ زهيد، بل يحث على الإنفاق بطريقة تحول الفقير المعدم إلى إنسان ميسور الحال مبسوط يشعر بالغنى.

جاء فقير إلى الإمام الحسين عليه السلام وهو في المسجد يصلّي فوقف بأزائه ينتظر فراغ الإمام من الصلاة، فسلّم الإمام من صلاته وقال: **" يَا قَنْبَرُ هَلْ بَقِيَ شَيْءٌ مِنْ مَالِ الْحِجَازِ قَالَ نَعَمْ أَرْبَعَةُ آلَافِ دِينَارٍ فَقَالَ هَاتِهَا قَدْ جَاءَ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِهَا مِنَّا ثُمَّ نَزَعَ بُرْدَيْهِ وَلَفَّ الدَّنَانِيرَ فِيهِمَا وَأَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ شَقِّ الْبَابِ حَيَاءً مِنَ الْأَعْرَابِيِّ وَأَنْشَأَ:**

خُذْهَا فَإِنِّي إِلَيْكَ مُعْتَذِرٌ ... وَاعْلَمْ بِأَنِّي عَلَيْكَ ذُو شَفَقَةٍ

لَوْ كَانَ فِي سَيْرِنَا الْغَدَاةَ عَصًا ... أَمْسَتْ سَمَانَا عَلَيْكَ مُنْدَفِقَة

---

[1] المسائل المنتخبة – (الطبعة الجديدة المنقحة)/ سماحة المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني(دام ظله الوارف)

[2] شرح نهج البلاغة: ١٩/ ٢٤٠.

[3] الكافي: ٣/ ٤٩٨.

لَكِنَّ رَيْبَ الزَّمَانِ ذُو غِيَرٍ وَالْكَفُّ مِنِّي قَلِيلَةُ النَّفَقَةِ

قَالَ فَأَخَذَهَا الْأَعْرَابِيُّ وَبَكَى فَقَالَ لَهُ لَعَلَّكَ اسْتَقْلَلْتَ مَا أَعْطَيْنَاكَ قَالَ لَا وَلَكِنْ كَيْفَ يَأْكُلُ التُّرَابُ جُودَكَ؟!"[1].

هذا نموذج من الإنفاق، وبهذه الطّريقة يعلمنا الإمام أن نبحث عن المحتاجين والفقراء وأن لا نجعل السائل يريق ماء وجهه في السؤال بل نبادر نحن إلى إنفاق أموالنا لأنَّ حياتنا فرصة عظيمة يجب أن نستغلها وننفق قبل أن يفاجئنا الموت، ونخسر حياتنا.

إنَّ مجتمعنا يعاني من مشاكل عديدة ويمكن حلّها جميعًا عن طريق الإنفاق في سبيل الله.

الدرس الرابع: جانب التراحم

وَيَعُودَ صَحِيحُهُمْ عَلِيلَهُمْ

عيادة المريض وزيارته من الآداب الرّفيعة التي حثَّ الإسلام المسلمين عليها وجعلها من أولى حقوق المسلم على أخيه المسلم، بل ومن سبل التأليف بين القلوب الذي امتنّ الله تعالى علينا به في كتابه الكريم فقال: **(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوانا)**[2].

وعيادة المريض تُشعر المريض عند مرضه بروح الأخوّة الإسلامية، فيكون ذلك سببًا في تخفيف آلامه وأحزانه، وتعوضه بعض ما حرمه من القوّة والصّحّة.

واهتماماً من الإسلام بهذا الخلق الطيب الجميل الذي هو من قبيل التواصل ونشر الألفة والمحبّة بين الناس، جعل الإسلام لزيارة المريض فضلاً وثوابًا كبيرًا، كما جعل لها آدابًا يجب أن يلتزم بها كلّ من يعود مريضًا:

فضل وثواب عيادة المريض:

عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **" أَيُّمَا مُؤْمِنٍ عَادَ مُؤْمِناً خَاضَ فِي الرَّحْمَةِ خَوْضاً فَإِذَا جَلَسَ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ فَإِذَا انْصَرَفَ وَكَّلَ اللهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَيَسْتَرْحِمُونَ عَلَيْهِ وَيَقُولُونَ طِبْتَ وَطَابَتْ لَكَ الْجَنَّةُ إِلَى تِلْكَ السَّاعَةِ مِنْ غَدٍ وَكَانَ لَهُ يَا أَبَا حَمْزَةَ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ قُلْتُ وَمَا الْخَرِيفُ جُعِلْتُ فِدَاكَ قَالَ زَاوِيَةٌ فِي**

---

[1] مناقب آل أبي طالب ﷺ، لابن شهرآشوب: ٤/ ٦٥-٦٦.

[2] آل عمران: ١٠٣.

الْجَنَّةِ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِيهَا أَرْبَعِينَ عَاماً"[1].

آداب عيادة المريض:

اختيار الوقت المناسب: بعض الناس يتعجّل عيادة المريض، فبمجرد سماعه أنَّ فلاناً قد خرج من غرفة العمليات يذهب إليه مباشرة، وقد يكون هذا المريض يحتاج إلى الراحة، فيسبّب له الناس حرجاً، كما لا نهمل فيها حتى يفوت موعدها. كما أنَّ عليه أن يختار الوقت المناسب لها، فلا يختار وقتاً يظن أنَّ المريض قد يكون نائماً فيه أو يكون ذلك وقت طعامه.

- **سؤال المريض عن حاله:** على من يعود مريضاً أن يبدأ في السؤال عن حاله ولا يثقل عليه في السؤال، وتذكيره بأجر الصبر على المرض.
- **عدم إطالة الزيارة:** بعض الناس يكون ثقيلاً في الزيارة، فيطيل الجلوس عند المريض، وهذا مخالف لهدي الإسلام في عيادة المريض.
- **تقليل السّؤال:** بعض الناس يكثر من سؤال المريض عن حاله، بل يريد منه أن يحكي له قصّة مرضه من أوّلها إلى آخرها، ولا يراعي حالته الصّحية وهذا مما يرهق المريض، بل مما يزيد من علّته.
- **يفسح له في الأمل:** من أهم آداب عيادة المريض أن تفسح له الأمل في الشفاء والمعافاة بإذن الله تعالى، ولا تؤذه بتذكيره بأنَّ فلاناً قد مات بالعلة نفسها.
- **طلب الدعاء من المريض:** يستحب طلب الدعاء من المريض؛ لأنَّه مضطرّ ودعاؤه أسرع إجابة من غيره، وأخيرًا فإنَّ على من يعود مريضاً أن يجعل زيارته له خالصة لوجه الله تعالى فإنَّ الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه سبحانه؛ وذلك حتى يُؤجَر من الله على تلك الزيارة وحتى يُقبَل دعاؤه لأخيه.

الدرس الخامس: الجانب العلمي

وَيَتَلَاقَوْا فِي بُيُوتِهِمْ، فَإِنَّ لِقَاءَ بَعْضِهِمْ بَعْضاً حَيَاةٌ لِأَمْرِنَا، رَحِمَ اللهُ امْرَأً أَحْيَا أَمْرَنَا وَعَمِلَ بِأَحْسَنِهِ.

لا نحتاج لاجتهاد حتى نفسّر هذه الكلمة، فإنَّ أهل البيت أنفسهم فسّروا لنا هذه الكلمة. يقول الهروي سمعت الإمام أبا الحسن علي بن موسى الرضا ﷺ يقول: **" رَحِمَ اللهُ عَبْداً أَحْيَا أَمْرَنَا فَقُلْتُ لَهُ وَكَيْفَ يُحْيِي**

---

[1] الكافي: ٣/ ١٢٠.

أَمْرَكُمْ قَالَ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا"[1]، هذا أمر أهل البيت، كانوا يريدون إيصال رسالة الإسلام إلى الناس، هذه الرسالة التي جاءت على يد جدّهم الأعظم محمدﷺ، وهم كانوا يتحمّلون مسؤولية توضيحها وتبيينها؛ لأنَّ الفترة التي عاشها الرسولﷺ لم تكن كافية لكي تتّضح كلّ التفاصيل وكلّ المعالم، بالإضافة إلى الأشياء التي تستجد في حياة الأمة، وقد استجدّت في حياة المسلمين أمور كانوا يحتاجون من يعلّمهم ويوضح لهم رؤية الإسلام وموقفه تجاهها، وكانت وظيفة أهل البيت تبيين وتوضيح رؤية الإسلام ورسالته على حقيقتها.

إذن أمر أهل البيتﷺ هو الرسالة الإسلامية الخالصة النقيّة السليمة دون تحريف أو تزييف أو تزوير.

وسلوك أهل البيتﷺ انعكاس للإسلام؛ لذلك الحديث عن سلوكهم حديث عن الإسلام؛ لأنَّ سلوكهم تجسيد للإسلام. فهم معصومون لا ينفكّون عن القرآن الكريم **"لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ"**[2]، يعني لا تفترق المواقف، ولا يفترق سلوكهم عن أوامر القرآن الكريم.

وأهل البيتﷺ يريدون من أتباعهم وشيعتهم إحياء أمرهم «أحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا» وهو كما يقول الإمام: "يتعلّم علومنا ويعلّمها الناس"، وخاصة إذا علمنا أنَّ هناك عوامل وأسباباً عديدة ترمي إلى التعتيم والكتمان، وتريد إماتة أمر أهل البيتﷺ وذكرهم. فإنَّ السلطات المناوئة إلى أهل البيت من الأمويين العباسيين قد بذلوا كلّ جهودهم من أجل أن يمنعوا الناس ويفصلوهم عن أهل البيتﷺ، ويمنعوا وصول كلام أهل البيتﷺ إلى الناس.

كانت الرواية عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبﷺ تكلّف الإنسان حياته، والمرسوم الذي أصدره معاوية بن أبي سفيان واضح، فمن يروي أحاديث عن أمير المؤمنين يهدم بيته، ويقطع رزقه، ويتعرّض للقتل والتّصفية.

وهكذا السلطات التي توالت على الحكم وكانت مناوئة لأهل البيتﷺ كانت تسعى بكلّ قوّتها وجهدها لمنع ظهور فكر أهل البيت ﷺ.

عندنا روايات كثيرة تؤكّد أنَّ التَّشيّع ليس مجرد الاعتقاد أو المحبّة القلبية، وإنَّما هو الالتزام السلوكي أيضًا.

يقول الإمام الصادق: **" لَيْسَ مِنْ شِيعَتِنَا مَنْ يَكُونُ فِي مِصْرٍ يَكُونُ فِيهِ مِائَةُ أَلْفٍ وَيَكُونُ فِي الْمِصْرِ أَوْرَعُ مِنْهُ"**[3]، وهذا يعني: كما أنَّ أهل البيت ﷺ كانوا هم الأنموذج الأسمى والأعلى، كذلك شيعتهم بالنسبة إلى

---

[1] عيون أخبار الرضاﷺ: ١/ ٣٠٧.

[2] بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليهم: ١/ ٤١٣.

[3] السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي: ٣/ ٦٣٩.

سائر الناس ينبغي أن يكونوا هم الأتقى والأورع والأفضل التزاماً وسلوكاً.

فإحياء أمر أهل البيت عليهم السلام في وسط أتباعهم وشيعتهم يكون بمعنى المزيد من الاقتداء والالتزام والاتباع لأهل البيت عليهم السلام.

الدرس السادس: الحذر من الامور التي تسبّب الخروج من ولاية أهل البيت عليهم السلام

قُلْ لَهُمْ: إِنَّا لَا نُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً إِلَّا بِعَمَلٍ صَالِحٍ، وَلَنْ يَنَالُوا وَلَايَتَنَا إِلَّا بِالْوَرَعِ

فلا نتصوّر أنَّ شفاعة أهل البيت عليهم السلام تأتينا هكذا بلا مقابل.!! فهي تحتاج إلى عناء ومكابدة وجهاد ومن أعظم الجهاد بل هو أعظمه هو جهاد النفس أي الورع والتقوى ثم هنالك كلمة أخرى من كلمات الإمام الصادق عليه السلام وهي تحير العقول حقيقة، عنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الباقر عليه السلام قَالَ:

" قَالَ لِي: يَا جَابِرُ أَيَكْتَفِي مَنِ انْتَحَلَ التَّشَيُّعَ، أَنْ يَقُولَ بِحُبِّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَوَ اللهِ مَا شِيعَتُنَا إِلَّا مَنِ اتَّقَى اللهَ وَأَطَاعَهُ وَمَا كَانُوا يُعْرَفُونَ يَا جَابِرُ إِلَّا بِالتَّوَاضُعِ وَالتَّخَشُّعِ وَالْأَمَانَةِ وَكَثْرَةِ ذِكْرِ اللهِ وَالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَالْبِرِّ بِالْوَالِدَيْنِ وَالتَّعَاهُدِ لِلْجِيرَانِ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَأَهْلِ الْمَسْكَنَةِ وَالْغَارِمِينَ وَالْأَيْتَامِ وَصِدْقِ الْحَدِيثِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَكَفِّ الْأَلْسُنِ عَنِ النَّاسِ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ وَكَانُوا أُمَنَاءَ عَشَائِرِهِمْ فِي الْأَشْيَاءِ قَالَ جَابِرٌ فَقُلْتُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ مَا نَعْرِفُ الْيَوْمَ أَحَداً بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَقَالَ يَا جَابِرُ لَا تَذْهَبَنَّ بِكَ الْمَذَاهِبُ حَسْبُ الرَّجُلِ أَنْ يَقُولَ أُحِبُّ عَلِيّاً وَأَتَوَلَّاهُ ثُمَّ لَا يَكُونَ مَعَ ذَلِكَ فَعَّالًا فَلَوْ قَالَ إِنِّي أُحِبُّ رَسُولَ اللهِ- فَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ عليه السلام ثُمَّ لَا يَتَّبِعُ سِيرَتَهُ وَلَا يَعْمَلُ بِسُنَّتِهِ مَا نَفَعَهُ حُبُّهُ إِيَّاهُ شَيْئاً فَاتَّقُوا اللهَ وَاعْمَلُوا لِمَا عِنْدَ اللهِ لَيْسَ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ قَرَابَةٌ، أَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَيْهِ أَتْقَاهُمْ وَأَعْمَلُهُمْ بِطَاعَتِهِ يَا جَابِرُ وَاللهِ مَا يُتَقَرَّبُ إِلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَّا بِالطَّاعَةِ وَمَا مَعَنَا بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَلَا عَلَى اللهِ لِأَحَدٍ مِنْ حُجَّةٍ مَنْ كَانَ للهِ مُطِيعاً فَهُوَ لَنَا وَلِيٌّ وَمَنْ كَانَ للهِ عَاصِياً فَهُوَ لَنَا عَدُوٌّ وَمَا تُنَالُ وَلَايَتُنَا إِلَّا بِالْعَمَلِ وَالْوَرَعِ"[1].

وهذا الحديث هو من الوضوح ما يغني عن التوضيح، وقد اختتم الإمام عليه السلام بعبارة جامعة تعبّر عن حقيقة الموالاة التي لا تتحقّق من دون طاعة الله والعمل والورع، حيث قال: **" مَنْ كَانَ للهِ مُطِيعاً، فَهُوَ لَنَا وَلِيٌّ، وَمَنْ كَانَ للهِ عَاصِياً، فَهُوَ لَنَا عَدُوٌّ وَمَا تُنَالُ وَلَايَتُنَا إِلَّا بِالْعَمَلِ وَالْوَرَعِ"**، وبذلك يتضح أنَّ مجرد ادعاء الموالاة والتّشيع لا يكفي، ولا يغني ولا يعصم.

---

[1] السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي: ٢/ ٧٤-٧٥.

الدّرس السابع: الحذر من النفاق

وَإِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمَنْ وَصَفَ عَمَلًا ثُمَّ خَالَفَ إِلَى غَيْرِهِ».

النفاقُ في اللغة العربية، مأخوذٌ من «النَّافِقاء»، والنَّافِقاءُ هو المَخْرجُ المستورُ لِجُحْر اليربوع، حيث إنَّ لجُحْرِهِ مَخرجين، مَخْرجٌ ظاهرٌ يُسمّى «الْقاصعاء»، ومخرجٌ آخر غيرُ ظاهر مستور بالتراب يُسمّى «النَّافِقاء»، وهذا المخرج يستخدمه اليربوع في الحالات الطارئة للهروب من المهاجمين، ولدى استخدامه لهذا المخرج يقال: «نافق اليربوع»، أي استخدم النَّافِقاء[1].

معنى النفاق في المصطلح الإسلامي

وأمّا النّفاق في المصطلح الإسلامي فَيُطلقُ على إظهار الإسلام قولاً وعملاً، وإضمار الكفر، ومَنْ يكون هذا حاله يُقالُ له "منافق".

والمنافق رأسماله الكذب والخديعة، فيتظاهر بالإيمان والعمل الصالح، ليتستَّر بالإسلام على كفره؛ ليأمن من بطش المسلمين، وليدفع الخطر عن نفسه، ويكون المنافق في الغالب مرتبكًا وخائفًا من الفضيحة.

ظاهرة النفاق هي من أخطر الأمور وأكبرها ضررًا على الأمّة الإسلامية، والمنافقون هم بمثابة الطابور الخامس الذي يعمل لمصلحة العدو، ومنذ اليوم الأوَّل لولادة الإسلام والأمة الإسلامية تعاني بشدّة من هذه الظاهرة الخطيرة.

ولقد حذَّرَ الله عَزَّ وجَلَّ في القرآن الكريم الرسول المصطفى ﷺ من خطر المنافقين في آيات عديدة، وبيَّن بعض صفاتهم وأساليبهم، وكشف عن بعض نواياهم وخططهم، كما وحذر الرسول المصطفى ﷺ المسلمين من ظاهرة النفاق والمنافقين وفضح مخطّطاتهم في مواقف كثيرة.

موقف القرآن الكريم من النفاق والمنافقين

نظراً لخطورة النفاق والمنافقين فلقد ذمَّ اللهُ المنافقين، وبيَّن خططهم، وأساليبهم، وأهدافهم، وتوعّدهم بالخزي والفضيحة والعذاب الأليم في آيات كثيرة من القرآن الكريم، كما وخصّص الله عَزَّ وجَلَّ سورة كاملة من سُور القرآن بالمنافقين لتحذير المؤمنين منهم، والسورة هي سورة " المنافقون ".

---

[1] لسان العرب: ١٠/ ٣٥٩. مفردات ألفاظ القرآن: ٨١٩. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ٢/ ٦١٨.

صفات المنافقين في القرآن الكريم

هنا ينبغي الإشارة إلى أبرز صفات المنافقين كما جاءت في القرآن الكريم بصورة سريعة:

- **الخداع:** قال الله تعالى وهو يذكر بعض صفاتهم: **(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً)**[1].
- **الكذب:** قال عزَّ مِنْ قائل: **(إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ)**[2].
- **التظاهر بالإيمان:** قال جلَّ جلاله: **(اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)**[3].
- **الخوف والقلق الدائم من الفضيحة:** قال سبحانه وتعالى: **(يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم قُلِ اسْتَهْزِؤُواْ إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ)**[4]، وقال سبحانه وتعالى: **(وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)**[5].
- **الاستكبار: قال الله عزَّ وَ جلَّ: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ)**[6].
- **الصَّد عن سبيل الله والإيمان به وبالرسول ﷺ:** قال جلَّ جلاله: **(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا)**[7].
- **التكاسل في أداء الواجبات، والرياء حين أدائها:** قال عزَّ مِنْ قائل: **(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً)**[8].
- **عدم الاستقرار والثبات في المواقف والقرارات:** قال الله تعالى: **(مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى**

---

[1] النساء: ١٤٢.

[2] المنافقون: ١.

[3] المنافقون: ٢.

[4] التوبة: ٦٤.

[5] المنافقون: ٤.

[6] المنافقون: ٥.

[7] النساء: ٦١.

[8] النساء: ١٤٢.

هَؤُلاء وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً)[1].

- **الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف والمنع منه:** قال سبحانه وتعالى: (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) [2].
- **الحلف كذباً بالله:** قال الله عزَّ مِنْ قائل: (يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ)[3].
- **محاولة قطع الموارد المالية عن المؤمنين والتضييق عليهم اقتصاديًّا حتى يَدَعوا طريق الحق والالتفاف حول المحور الحق:** قال الله تعالى: (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنفَضُّوا وَلِلهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ)[4].
- **الجهل وعدم الفهم:** قال الله سبحانه: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ)[5]، وقال: (يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ)[6].
- **التحاكم إلى الطاغوت بدل الكفر به:** قال عزَّ مِنْ قائل: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا)[7].
- **حالة التذبذب وعدم الاستقرار:** قال عَزَّ وجَلَّ: (مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً)[8].

---

[1] النساء: ١٤٣.

[2] التوبة: ٦٧.

[3] التوبة: ٧٤.

[4] المنافقون: ٧.

[5] المنافقون: ٣.

[6] المنافقون: ٨.

[7] النساء: ٦٠.

[8] النساء: ١٤٥.

المنافقون في الأحاديث الشريفة

ذكرت بعض الأحاديث جانباً من علامات المنافقين وصفاتهم وبيَّنت بعض الأسباب الموجبة للنفاق نذكر بعضاً منها:

قَالَ رسول الله ﷺ: **" إِيَّاكُمْ وَ تَخَشُّعَ النِّفَاقِ ، وَ هُوَ أَنْ يُرَى الْجَسَدُ خَاشِعاً وَ الْقَلْبُ لَيْسَ بِخَاشِعٍ "**[1].

رَوَى الْمُفِيدُ فِي الْاخْتِصَاصِ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام، أَنَّهُ رُوِيَ: **" أَنَّ لِلْمُنَافِقِ أَرْبَعاً مِنْ عَلَامَاتِ النِّفَاقِ: قَسَاوَةَ الْقَلْبِ، وَجُمُودَ الْعَيْنِ، وَالْإِصْرَارَ عَلَى الذَّنْبِ، وَالْحِرْصَ عَلَى الدُّنْيَا"** [2].

وَقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: **" إِيَّاكَ وَ النِّفَاقَ فَإِنَّ ذَا الْوَجْهَيْنِ لَا يَكُونُ وَجِيهاً عِنْدَ الله "**[3].

إلى غيرها من الأحاديث الكثيرة.

إنَّها حقًّا وصية تمثّل خلاصة تجربة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام والهدي الإلهي الذي أوحاه الله تعالى إلى عباده الصالحين، فقد احتوت على أصول الحق والمعرفية، وبيّنت سبل النّجاة في الدّنيا والآخرة.

---

[1] بحار الأنوار (الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (عليهم السلام)) : ٧٤ / ١٦٦ ، للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي ، المولود بإصفهان سنة : ١٠٣٧ ، و المتوفى بها سنة : ١١١٠ هجرية ، طبعة مؤسسة الوفاء ، بيروت / لبنان ، سنة : ١٤١٤ هجرية .

[2] مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: ١١/ ٣٦٧.

[3] عيون الحكم و المواعظ: ٩٨، لعلي بن محمد الليثي الواسطي، المتوفى في القرن السادس الهجري، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨ هجرية، قم/ إيران.

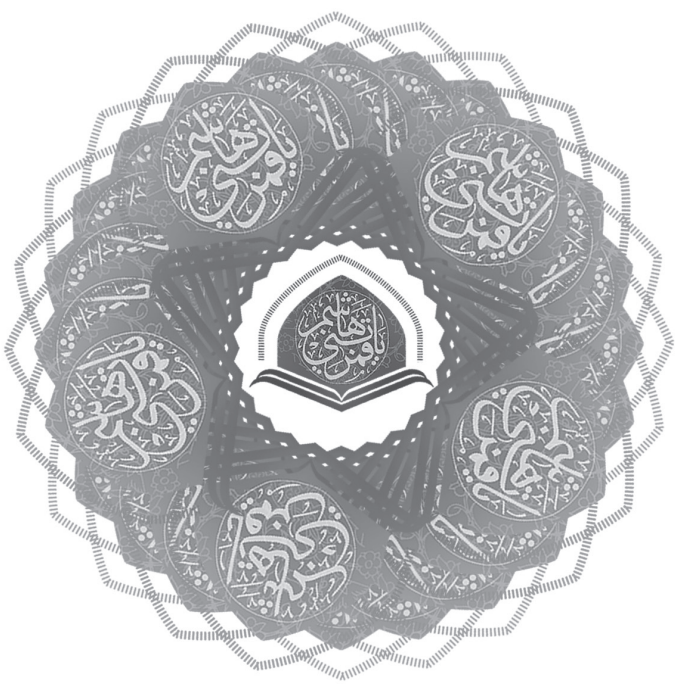

من تأريخ الإمام الهادي عليه السلام

الشيخ حيدر حسن

وُلد الإمام علي الهادي عليه السلام يوم الجمعة في الثاني من شهر رجب سنة ٢١٢ هجرية، وقيل: ٢١٤ هـ، في المدينة المنورة.

هذا على ما ذكره جمع من المؤرّخين، ويؤيّده الدّعاء المأثور في شهر رجب عن الناحية المقدسة على يد الشيخ الجليل أبي القاسم الحسين بن روح رحمه الله، وهو:

" اللهم إِنّي أَسْأَلُكَ بِالْمَوْلُودَيْنِ في رَجَبٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الثَّاني، وَابْنِهِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُنْتَجَبِ، وَأَتَقَرَّبُ بِهِما إِلَيْكَ خَيْرَ الْقُرَبِ، يا مَنْ إِلَيْهِ الْمَعْرُوفُ طُلِبَ، وَفيما لَدَيْهِ رُغِبَ. أَسْأَلُكَ سُؤالَ مُعْتَرِفٍ مُذْنِبٍ قَدْ أَوْبَقَتْهُ ذُنُوبُهُ، وَأَوْثَقَتْهُ عُيُوبُهُ، فَطالَ عَلَى الْخَطايا دُؤُوبُهُ، وَمِنَ الرَّزايا خُطُوبُهُ، يَسْأَلُكَ التَّوْبَةَ، وَحُسْنَ الْأَوْبَةِ، وَالنُّزُوعَ عَنِ الْحَوْبَةِ، وَمِنَ النَّارِ فَكاكَ رَقَبَتِهِ، وَالْعَفْوَ عَمَّا في رِبْقَتِهِ، فَأَنْتَ يا مَوْلايَ أَعْظَمُ أَمَلِهِ وَثِقَتِهِ. اللهم وَأَسْأَلُكَ بِمَسائِلِكَ الشَّريفَةِ، وَوَسائِلِكَ الْمُنيفَةِ، أَنْ تَتَغَمَّدَني في هذَا الشَّهْرِ بِرَحْمَةٍ مِنْكَ واسِعَةٍ، وَنِعْمَةٍ وازِعَةٍ، وَنَفْسٍ بِما رَزَقْتَها قانِعَةٍ إِلى نُزُولِ الْحافِرَةِ، وَمَحَلِّ الْآخِرَةِ، وَما هِيَ إِلَيْهِ صائِرَةٌ"[1].

وفي (كشف الغمة): " أما مولده عليه السلام ففي رجب من سنة مائتين وأربع عشرة للهجرة"[2].

نشأ الإمام علي الهادي عليه السلام في بيت النور والعلم، ومنبع الهداية، ومركز الإمامة، وأهل بيت الوحي، ذلك هو بيت رسول الله صلى الله عليه وآله الرفيع الذي أذهب الله عن أهله الرجس وجعلهم مطهّرين من الدّنس، معصومين من كلّ ذنب، مؤيدين بروح القدس، أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، وأعلام التقى، وذوي النُّهى، وأولي الحِجى، وكهف الورى، ورثة الأنبياء، والمثل الأعلى، والدعوة الحسنى، والحجة على أهل الدنيا، والآخرة والأولى.

وتربّى عليه السلام في حجر أبيه الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام ست[3] أو ثمان[4] سنين، وبعده كانت مدّة إمامته

---

[1] البلد الأمين والدرع الحصين: ١٨٠.

[2] كشف الغمة في معرفة الأئمة: ٢/ ٣٧٤.

[3] بناءً على أن ولادة الإمام عليه السلام كانت عام ٢١٤هـ.

[4] بناءً على أن ولادة الإمام عليه السلام كانت عام ٢١٢هـ.

ثلاثاً وثلاثين سنة.

الإمام علي الهادي عليه السلام هو الإمام العاشر من أئمّة أهل البيت عليهم السلام الذين نص على إمامتهم رسولُ الله صلى الله عليه وآله واحدًا بعد واحد، كما نصّ على إمامته أبوه الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام ومَن قبله من الأئمة عليهم السلام.

وهناك روايات عديدة أكّدت أنَّ الأئمة اثنا عشر، ولا يكون ذلك إلَّا عند أهل البيت عليهم السلام. ومنها ما دلَّ على أنَّ الأئمة من ذرّيّة الحسين عليه السلام تسعة[1].

علم الإمام عليه السلام

كان الإمام الهادي عليه السلام أعلم أهل زمانه، فهو الأعلم بالقرآن الكريم والسّنّة المطهّرة، وبجميع المسائل في مختلف العلوم، وذلك بالعلم اللدُنّي الذي منحه الله تعالى، وبما ورثه من آبائه الطاهرين عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد روي عنه عليه السلام من علوم القرآن والفقه والأخلاق وعلم التوحيد ومعرفة الباري عزوجل، وغيرها الكثير.

كما كان عليه السلام يجيب على مختلف الأسئلة وأنواع العلوم.

وقد اعترف بعلمه حتى أعداؤه من أعوان المتوكّل وخدمه، كما روي في (المناقب): من أنّ حاجب المتوكل رجع إلى الإمام الهادي عليه السلام فيما نذره المتوكل واختلف الفقهاء في تحديده[2].

وما قاله ابن أكثم للمتوكل: من أنَّ في ظهور علم الإمام الهادي عليه السلام تقوية للرافضة[3].

الاستدلال بالآيات الكريمة

في (المناقب): لما سُمّ المتوكل نذر لله إن رزقه الله العافية أن يتصدّق بمال كثير، فلمّا عوفي اختلف الفقهاء في (المال الكثير).

فقال لـه الحسن حاجبه: إن أتيتك يا أمير بالصواب فما لي عندك؟

قال: عشرة آلاف درهم، وإلاّ ضربتك مائة مقرعة.

قال: قد رضيت.

فأتى أبا الحسن ـ الهادي ـ عليه السلام فسأله عن ذلك؟

فقال: قل لـه: "يتصدق بثمانين درهماً".

فأخبر المتوكل، فسأله: ما العلة؟ فأتاه فسأله.

---

[1] ينظر: الاختصاص: ٢٠٧-٢٠٨. إعلام الورى: ٣٩٠. بحار الأنوار: ٣٦/ ٢٢٨. الخصال: ٢/ ٤٦٦-٤٦٧.

[2] مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، لابن شهرآشوب: ٤/ ٤٠٢.

[3] م. ن: ٤/ ٤٠٥.

قال عليه السلام: «إنَّ الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وآله: **(لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ)**[1] فعَدَدنا مواطن رسول الله صلى الله عليه وآله فبلغت ثمانين موطناً».

فرجع إليه فأخبره، ففرح وأعطاه عشرة آلاف درهم [2].

أقول: كأنَّ الإمام عليه السلام بيّن مصداقاً من مصاديق (الكثير)، أي: إنَّ الثمانين يصدق عليه الكثير، لا أنّ أقل الكثير الثمانين، ولا أنَّ أكثر من الثمانين لا يكون كثيراً.

وبما أنَّ الأئمة عليهم السلام كان من دأبهم نشر ثقافة القرآن الكريم، فحتى في مثل هذه المسألة الفقهية كانوا يستندون فيها إلى القرآن ويستدلون به، وذلك لبيان دور القرآن الكريم في استنباط الحكم الشرعي مضافاً إلى ضرورة التمسك بالعترة الطاهرة عليهم السلام.

ومما يستفاد من هذه الرّواية، معرفة الجميع بالمقام العلمي للإمام الهادي عليه السلام.

وهكذا كان علم الإمام عليه السلام بتفسير الحديث الشريف المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وعلمه عليه السلام بسيرة النبي صلى الله عليه وآله والوصي عليه السلام.

أخلاق الإمام عليه السلام

كان الإمام علي الهادي عليه السلام كآبائه الطاهرين عليهم السلام أفضل الناس خُلُقاً، وأكرمهم أخلاقاً.

قال ابن شهرآشوب: **" وَكَانَ أَطْيَبَ النَّاسِ بَهْجَةً وَأَصْدَقَهُمْ لَهْجَةً وَأَمْلَحَهُمْ مِنْ قَرِيبٍ وَأَكْمَلَهُمْ مِنْ بَعِيدٍ إِذَا صَمَتَ عَلَتْهُ هَيْبَةُ الْوَقَارِ وَإِذَا تَكَلَّمَ سَمَاهُ الْبَهَاءُ وَهُوَ مِنْ بَيْتِ الرِّسَالَةِ وَالْإِمَامَةِ وَمَقَرِّ الْوَصِيَّةِ وَالْخِلَافَةِ شُعْبَةٌ مِنْ دَوْحَةِ النُّبُوَّةِ مُنْتَضَاةٌ مُرْتَضَاةٌ وَثَمَرَةٌ مِنْ شَجَرَةِ الرِّسَالَةِ مُجْتَنَاةٌ مُجْتَبَاة"**[3].

وقد اعترف بفضله حتى الأعداء، فهذا عبيد الله بن يحيى بن خاقان ـ من عمال العباسيين والنواصب ـ يقول في وصف الإمام الحسن العسكري عليه السلام وأبيه عليه السلام :

"وَلَوْ رَأَيْتَ أَبَاهُ لَرَأَيْتَ رَجُلًا جَلِيلًا نَبِيلًا خَيِّراً فَاضِلا"[4].

وفي (شذرات الذهب): "كان عليه السلام فقيهاً إماماً متعبّداً"[5].

---

[1] التوبة: ٣٥.

[2] المناقب: ٤/ ٤٠٢.

[3] مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ٤/ ٤٠١.

[4] كمال الدين وتمام النعمة: ١/ ٤٢.

[5] شذرات الذهب: ١/ ١٢٨.

كرم وسخاء

كان الإمام علي الهادي ﷺ كآبائه الكرام ﷺ أكرم خلق الله؛ لأنَّ من صفات الإمام ﷺ أن يكون الأعلم والأتقى والأشجع والأكرم، أي أن يكون قمّة في الفضائل، وأن يكون أوحدي عصره.

دخل أبو عمرو عثمان بن سعيد ـ وهو أحد النّواب الأربعة ـ وأحمد بن إسحاق الأشعري، وعلي بن جعفر الهمداني، على أبي الحسن العسكري ﷺ . فشكا إليه أحمد بن إسحاق ديناً عليه.

فقال ﷺ: **" يَا أَبَا عَمْرو وَكَانَ وَكِيلَهُ ادْفَعْ إِلَيْهِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَإِلَى عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَخُذْ أَنْتَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فَهَذِهِ مُعْجِزَةٌ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا الْمُلُوكُ وَمَا سَمِعْنَا بِمِثْلِ هَذَا الْعَطَاء"**[1].

ولا يخفى أنَّ مثل هذا الكرم الذي كان يتفضل به الإمام ﷺ على البعض ليس إسرافاً وبداراً؛ لأنَّه كان يعلم بأنَّ هذا الشخص سيصرفه في الموارد المقرّرة شرعاً، وأنَّه سيقسمه على الفقراء والمساكين، لا أنَّه يستبد ويستفرد بالأموال. ومن المتعارف أن يُعطى لشيخ العشيرة ـ مثلاً ـ مبلغاً كبيراً حتى يقسمه على أفراده وأقربائه وأهل بلدته وعشيرته.

ما حاجتك؟

قال محمد بن طلحة: **" أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ ﷺ كَانَ يَوْماً قَدْ خَرَجَ مِنْ سُرَّ مَنْ رَأَى إِلَى قَرْيَةٍ لِمُهِمٍّ عَرَضَ لَهُ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ يَطْلُبُهُ فَقِيلَ لَهُ قَدْ ذَهَبَ إِلَى الْمَوْضِعِ الْفُلَانِيِّ فَقَصَدَهُ فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ قَالَ لَهُ مَا حَاجَتُكَ فَقَالَ أَنَا رَجُلٌ مِنْ أَعْرَابِ الْكُوفَةِ الْمُتَمَسِّكِينَ بِوِلَاءِ جَدِّكَ عَلِي بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَقَدْ رَكِبَنِي دَيْنٌ فَادِحٌ أَثْقَلَنِي حَمْلُهُ وَ لَمْ أَرَ مَنْ أَقْصُدُهُ لِقَضَائِهِ سِوَاكَ فَقَالَ لَهُ أَبُو الْحَسَنِ طِبْ نَفْساً وَقَرَّ عَيْناً ثُمَّ أَنْزَلَهُ فَلَمَّا أَصْبَحَ ذَلِكَ الْيَوْمَ قَالَ لَهُ أَبُو الْحَسَنِ أُرِيدُ مِنْكَ حَاجَةً اللهَ اللهَ أَنْ تُخَالِفَنِي فِيهَا فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ لَا أُخَالِفُكَ فَكَتَبَ أَبُو الْحَسَنِ وَرَقَةً بِخَطِّهِ مُعْتَرِفاً فِيهَا أَنَّ عَلَيْهِ لِلْأَعْرَابِيِّ مَالًا عَيَّنَهُ فِيهَا يَرْجَحُ عَلَى دَيْنِهِ وَقَالَ خُذْ هَذَا الْخَطَّ فَإِذَا وَصَلْتُ إِلَى سُرَّ مَنْ رَأَى أَحْضِرْ إِلَيَّ وَعِنْدِي جَمَاعَةً فَطَالِبْنِي بِهِ وَأَغْلِظِ الْقَوْلَ عَلَيَّ فِي تَرْكِ إِيفَائِكَ إِيَّاهُ اللهَ اللهَ فِي مُخَالَفَتِي فَقَالَ أَفْعَلُ وَأَخَذَ الْخَطَّ فَلَمَّا وَصَلَ أَبُو الْحَسَنِ إِلَى سُرَّ مَنْ رَأَى وَحَضَرَ عِنْدَهُ جَمَاعَةٌ كَثِيرُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْخَلِيفَةِ وَغَيْرِهِمْ حَضَرَ ذَلِكَ الرَّجُلُ وَأَخْرَجَ الْخَطَّ وَطَالَبَهُ وَقَالَ كَمَا أَوْصَاهُ فَأَلَانَ أَبُو الْحَسَنِ لَهُ الْقَوْلَ وَرَفَقَهُ وَجَعَلَ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ وَوَعَدَهُ بِوَفَائِهِ وَطَيَّبَ نَفْسَهُ فَنُقِلَ ذَلِكَ إِلَى الْخَلِيفَةِ الْمُتَوَكِّلِ فَأَمَرَ أَنْ يُحْمَلَ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَلَمَّا حُمِلَتْ إِلَيْهِ تَرَكَهَا إِلَى أَنْ جَاءَ الرَّجُلُ فَقَالَ خُذْ هَذَا الْمَالَ فَاقْضِ مِنْهُ دَيْنَكَ وَأَنْفِقِ الْبَاقِيَ عَلَى عِيَالِكَ وَأَهْلِكَ وَأَعْذِرْنَا فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِي: يَا ابْنَ**

---

[1] مناقب آل أبي طالب ﷺ: ٤/ ٤٠٩.

رَسُولِ اللهِ وَاللهِ إِنَّ أَمَلِي كَانَ يَقْصُرُ عَنْ ثُلُثِ هَذَا وَلَكِنَّ اللهَ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالاتِهِ وَأَخَذَ الْمَالَ وَانْصَرَف"[1].

أقول: لا يبعد أن تكون التقية هي السبب في عمل الإمام عليه السلام ذلك؛ لأنَّ الحاكم كان يزعم بأنَّ الإمام عليه السلام يجمع الأموال ويشتري السلاح للخروج عليه، فأراد الإمام عليه السلام أن يُبيّن له كذب هذه المزاعم، وأنَّه عليه السلام لا يملك حتى عشرة آلاف درهم.

هيبة ووقار

كان الإمام الهادي عليه السلام كآبائه الطاهرين عليهم السلام كثير الهيبة والوقار، عظيماً في قلوب الناس.

ففي (إعلام الورى): عن محمد بن الحسن الأشتر العلوي، قال: **" كُنْتُ مَعَ أَبِي عَلَى بَابِ الْمُتَوَكِّلِ وَأَنَا صَبِيٌّ فِي جَمْعٍ مِنَ النَّاسِ مَا بَيْنَ طَالِبِيٍّ إِلَى عَبَّاسِيٍّ وَجَعْفَرِيٍّ وَنَحْنُ وُقُوفٌ إِذْ جَاءَ أَبُو الْحَسَنِ تَرَجَّلَ النَّاسُ كُلُّهُمْ حَتَّى دَخَلَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لِمَ نَتَرَجَّلُ لِهَذَا الْغُلَامِ وَمَا هُوَ بِأَشْرَفِنَا وَلَا بِأَكْبَرِنَا وَلَا بِأَسَنِّنَا وَاللهِ لَا تَرَجَّلْنَا لَهُ فَقَالَ أَبُو هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيُّ وَاللهِ لَتَتَرَجَّلُنَّ لَهُ صَغِرَةً إِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَقْبَلَ وَبَصُرُوا بِهِ حَتَّى تَرَجَّلَ لَهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ فَقَالَ لَهُمْ أَبُو هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيُّ أَلَيْسَ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ لَا تَرَجَّلُونَ لَهُ فَقَالُوا لَهُ وَاللهِ مَا مَلَكْنَا أَنْفُسَنَا حَتَّى تَرَجَّلْنَا"**[2].

عفوٌ وسماحة

وقد عفا الإمام علي الهادي عليه السلام عن بريحة العباسي إمام الحرمين الذي سعى بالإمام إلى المتوكّل، وكتب رسالة قال فيها: " إن كان لك في الحرمين حاجة فأخرج علي بن محمد عليهما السلام منهما فإنَّه قد دعا الى نفسه واتبعه خلق كثير "[3].

فلمّا أمر المتوكِّل بشخوص الإمام عليه السلام إلى سامراء، وكتب رسالة تظاهر فيها بإكرام الإمام عليه السلام ، اتبعه بريحة مشيعًا فلمّا صار في بعض الطريق. قال له بريحة: قد علمت وقوفك على أنّي كنت السبب في حملك، وعليَّ حلف بأيمان مغلظة لئن شكوتني إلى الأمير أو أحد من خاصّته لأجمرنَّ نخلك، ولأقتلنَّ مواليك، ولأغورنَّ عيون ضيعتك، ولأفعلنَّ ولأصنعنَّ[4]!!.

فقال له أبو الحسن عليه السلام: "إنَّ أقرب عرضي إياك على الله البارحة، ما كنت لأعرضك عليه ثم أشكوك إلى غيره من خلقه".

فانكب إليه بريحة وضرع إليه واستعفاه.

---

[1] كشف الغمة في معرفة الأئمة: ٢/ ٣٧٥.

[2] إعلام الورى بأعلام الهدى: ٣٦٠-٣٦١.

[3] اثبات الوصية: ٢٣٣.

[4] م. ن: ٢٣٣.

فقال الإمام عليه السلام: "قد عفوت عنك"[1].

عبادة الإمام عليه السلام وزهده

كان الإمام الهادي عليه السلام أعبد أهل زمانه وأزهدهم.

عن يحيى بن هرثمة، قال: وجهني المتوكل إلى المدينة لإشخاص علي بن محمد بن علي بن موسى عليه السلام، وفتشت منزله فلم أصب فيه إلَّا مصاحف ودعاء وما أشبه ذلك[2].

وكان الإمام عليه السلام كثير الدعاء والتّضرّع إلى الله عزوجل..

الشّخوص إلى سامراء

إنَّ الإمام عليًّا الهادي عليه السلام وُلد في المدينة المنورة وكان فيها إلى الثامنة من عمره الشريف، فلما استشهد والده الإمام الجواد عليه السلام بالمدينة، انتقلت الإمامة إليه وكان يعيش في مدينة جده رسول الله صلى الله عليه وآله إلى زمن الطاغية المتوكِّل العباسي، حيث أمر جلاوزته بجلب الإمام عليه السلام إلى سامراء ليسكنه في منطقة العسكر، فيكون الإمام مُراقَباً ليلاً ونهاراً، وسرّاً وجهاراً.

قيل: إنَّ من أسباب ذلك أنَّ بريحة العباسي ـ وكان إمام الحرمين ـ كتب رسالة إلى المتوكّل جاء فيها: أن لو كانت لك حاجة بمكّة والمدينة، فأخرج علي بن محمد الهادي عليه السلام منها فإنَّ الناس هنا رهن طاعته.

وكتب آخرون أيضاً للمتوكِّل بهذه المضامين، كان منهم عبد الله بن محمد والي المدينة وكان من النواصب وكان يؤذي الإمام عليه السلام كثيراً، فكتب رسالة مليئة بالكذب ضدّ الإمام الهادي عليه السلام ، فغضب المتوكل.

ولما أُخبر الإمام عليه السلام برسالة الوالي إلى المتوكّل، كتب عليه السلام رسالة إلى المتوكل يُبيّن فيها الصورة الحقيقية، وقال: " إنَّ والي المدينة يقوم بإيذائي وقد كتب لك كتابًا مليئًا بالكذب والافتراء".

ولكن المتوكل ـ مع علمه بصدق الإمام عليه السلام كان يخاف من مكانة الإمام عليه السلام في المدينة وهو بين شيعته وأتباعه، فأراد جلب الإمام عليه السلام إلى سامراء، ومن جانب آخر كان لا يريد أن يثور عليه أحد عندما يقوم بإيذائه الإمام عليه السلام ، وإلاّ فإنَّ إيذاء والي المدينة للإمام كان بأمر المتوكل، كما هو واضح.

عند ذلك احتال المتوكل بعزل الوالي عبد الله بن محمد وتغيير منصبه، وجعل واليًا آخر للمدينة اسمه محمد بن فضل.

ثم كتب كتاباً لطيفاً للإمام عليه السلام وهو يعتذر عما فعله الوالي، وأخبر بعزله ونصب محمد بن فضل مكانه،

---

[1] اثبات الوصية: ٢٣٣.

[2] رواه الكليني في الكافي ج ١/ ص ٥٠١ .

وأنَّه أمره بإكرام الإمام عليه السلام وإعزازه.

هذا كله لمكانة الإمام عليه السلام بين الناس، ومخافة المتوكل من ثورة العلويّين ومن أشبه ضده.

ثم كتب المتوكل كتاباً آخر أرسله بيد إبراهيم بن عباس للإمام عليه السلام قال فيه: إنَّه مشتاق كثيراً إلى رؤية الإمام، وطلب من الإمام أن يخرج إلى سامراء بمن أحب من ذويه وأهل بيته، وقال: قد أرسلت إليكم يحيى بن هرثمة ليخدمكم في الطريق، وكانت هذه الرسالة في جمادى الآخرة من سنة مائتين وثلاثة وأربعين هجرية.

وفي الواقع كان المتوكّل أرسل ابن هرثمة لجلب الإمام عليه السلام .

فلما رأى الإمام عليه السلام أنَّه مضطرّ لذلك، خرج من مدينة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله كُرهًا، بعدما ودّع الرسول صلى الله عليه وآله، والصديقة البتول عليها السلام، وأجداده الطاهرين عليهم السلام في البقيع.. نحو سامرّاء.

فلمَّا وصل الإمام عليه السلام إلى سامراء واطمأنَّ المتوكّل أنَّ الإمام عليه السلام أصبح في قبضته ـ بحسب الظاهر ـ غيّر سلوكه الظاهري وأبرز حقده على أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، فأنزل الإمام عليه السلام في خان الصعاليك وهو مكان مخصّص للفقراء والمساكين والغرباء ومن أشبه؛ وذلك لتحقير منزلة الإمام عليه السلام[1].

قال الشيخ المفيد –رحمه الله– في (الإرشاد): **" وَكَانَ سَبَبُ شُخُوصِ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام إِلَى سُرَّ مَنْ رَأَى أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ مُحَمَّدٍ كَانَ يَتَوَلَّى الْحَرْبَ وَالصَّلَاةَ فِي مَدِينَةِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله فَسَعَى بِأَبِي الْحَسَنِ عليه السلام إِلَى الْمُتَوَكِّلِ وَكَانَ يَقْصِدُهُ بِالْأَذَى "**[2].

وقال سبط بن الجوزي في (تذكرة الخواص): قال علماء السير: " إنَّما أشخصه المتوكل من المدينة إلى بغداد؛ لأنَّ المتوكّل كان يبغض عليًّا وذرّيّته، فبلغه مقام علي الهادي بالمدينة وميل الناس إليه فخاف منه، فدعا يحيى بن هرثمة وقال: اذهب إلى المدينة وانظر في حاله وأشخصه إلينا" [3].

قال المفيد رحمه الله: "وَبَلَغَ أَبَا الْحَسَنِ سِعَايَتُهُ بِهِ فَكَتَبَ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ يَذْكُرُ تَحَامُلَ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَيُكَذِّبُهُ فِيمَا سَعَى بِهِ فَتَقَدَّمَ الْمُتَوَكِّلُ بِإِجَابَتِهِ عَنْ كِتَابِهِ وَدُعَائِهِ فِيهِ إِلَى حُضُورِ الْعَسْكَرِ عَلَى جَمِيلٍ مِنَ الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ"[4].

وقد مرَّ أنَّ المتوكل أمر جلاوزته بإخراج الإمام عليه السلام من مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكنه تظاهر بمثل هذا الكتاب اللطيف لكي لا يثور عليه أهل المدينة.

---

[1] ينظر الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ٢/ ٣٠٩.

[2] الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ٢/ ٣٠٩.

[3] تذكرة الخواص المعروف بتذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمة، سبط ابن الجوزي (ت:٦٥٤ هـ)، المحقق : الدكتور عامر النجار، مكتبة الثقافة الدينية، الأولى ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م:١/٦٥٩.

[4] الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ٢/ ٣٠٩.

ومن هنا يُعلم بأنَّ الإمام جُلب إلى سامراء ولم يهاجر إليها باختياره، روي عن المنصوري، عن عم أبيه، قال: قال يوماً الإمام علي بن محمد عليه السلام: " يَا أَبَا مُوسَى، أُخْرِجْتُ إِلَى سُرَّ مَنْ رَأَى كُرْهاً، وَلَوْ أُخْرِجْتُ عَنْهَا خَرَجْتُ كُرْهاً. قَالَ: قُلْتُ: وَلِمَ يَا سَيِّدِي قَالَ: لِطِيبِ هَوَائِهَا وَعُذُوبَةِ مَائِهَا وَقِلَّةِ دَائِهَا. ثُمَّ قَالَ: تَخْرَبُ سُرَّ مَنْ رَأَى حَتَّى يَكُونَ فِيهَا خَانٌ، وَبَقَّالٌ لِلْمَارَّةِ، وَعَلَامَةُ تَدَارُكِ خَرَابِهَا تَدَارُكُ الْعِمَارَةِ فِي مَشْهَدِي مِنْ بَعْدِي"[1].

أقول: (أخرجت كرهاً)، أي: إنَّ خروجي إلى سامراء وبقائي فيها وخروجي منها لو خرجت، فهو كره، مما يدل على أنَّ الإمام عليه السلام تحت السيطرة الشَّديدة حتى لا يمكنه أن يختار البقاء والخروج.

الإمام عليه السلام في حبس الطغاة

عاش الإمام الهادي عليه السلام فترة من عمره الشريف في سجن المتوكل العباسي، فإنَّ المتوكل لم يكتفِ بجعل الإمام عليه السلام تحت الإقامة الجبرية في العسكر بسامراء، ولا بمنع الإمام عليه السلام من الخروج حتى من بيته، بل كان يأمر أحياناً جلاوزته بحبس الإمام عليه السلام في سجونه المظلمة.

حبس الإمام عليه السلام

وفي رواية الصقر بن أبي دلف الكرخي ما يدلّ على حبس الإمام عليه السلام من قبل المتوكل، حيث جاء الصقر ليسأل عن الإمام علي الهادي عليه السلام وكان الإمام عليه السلام في الحبس، فنظر إليه الزراقي وهو حاجب المتوكل وكان شيعيًّا يخفي تشيّعه، فسأله: **" يَا صَقْرُ مَا شَأْنُكَ فَقُلْتُ خَيْرٌ أَيُّهَا الْأُسْتَاذُ فَقَالَ اقْعُدْ فَأَخَذَنِي مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ وَقُلْتُ أَخْطَأْتُ فِي الْمَجِيءِ قَالَ فَوَحَى النَّاسَ عَنْهُ ثُمَّ قَالَ لِي مَا شَأْنُكَ وَفِيمَ جِئْتَ قُلْتُ لِخَيْرٍ مَا فَقَالَ لَعَلَّكَ تَسْأَلُ عَنْ خَبَرِ مَوْلَاكَ فَقُلْتُ لَهُ وَمَنْ مَوْلَايَ مَوْلَايَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ اسْكُتْ مَوْلَاكَ هُوَ الْحَقُّ فَلَا تَحْتَشِمْنِي فَإِنِّي عَلَى مَذْهَبِكَ فَقُلْتُ الْحَمْدُ لله قَالَ أَتُحِبُّ أَنْ تَرَاهُ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ اجْلِسْ حَتَّى يَخْرُجَ صَاحِبُ الْبَرِيدِ مِنْ عِنْدِهِ قَالَ فَجَلَسْتُ فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ لِغُلَامٍ لَهُ خُذْ بِيَدِ الصَّقْرِ وَأَدْخِلْهُ إِلَى الْحُجْرَةِ الَّتِي فِيهِ الْعَلَوِيُّ الْمَحْبُوسُ وَخَلِّ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ"**[2].

وكم مرّة أراد المتوكّل أن يقتل الإمام عليه السلام وأمر الجلاوزة بقتله بالسيف، ولكنَّ الله تعالى حفظ الإمام عليه السلام من كيدهم.

---

[1] الأمالي، للطوسي: ٢٨١.

[2] الخصال: ٢/ ٣٩٥.

ملاحقة شيعة الإمام عليه السلام

قام المتوكل بملاحقة شيعة الإمام عليه السلام والموالين له في كلّ مكان لاعتقالهم وسجنهم وتعذيبهم وقتلهم.

فقد روي: " أنَّ الحارث الذي جعله المتوكّل لحرث قبر الحسين عليه السلام كان كافراً، فلمّا رأى المعجزات أسلم وتشيّع، فلمّا علم به المتوكل أمر بقتل الحارث وأمر أن يشد في رجله حبل ويسحب على وجهه في الأسواق ثم يصلب في مجمع الناس ليكون عبرة لمن اعتبر ولا يبقى أحد يذكر أهل البيت عليهم السلام بخير أبداً"[1].

كما قتل المتوكّلُ ابنَ السّكيت وهو من أكبر علماء زمانه في اللغة والشعر والأدب والمنطق، قتله بأبشع قتلة لأجل تشيعه وولائه لأهل البيت عليهم السلام وذلك في خامس رجب سنة ٢٤٤ هـ، حيث سأله المتوكل:

أيّما أحب إليك ابناي هذان ـ أي المعتز والمؤيد ـ أم الحسن والحسين؟

فقال ابن السّكّيت: والله إنَّ قنبراً خادم علي بن أبي طالب عليه السلام خير منك ومن ابنيك.

فقال المتوكل للأتراك: سلوا لسانه من قفاه. ففعلوا فمات.

وقيل: بل أثنى ابن السّكّيت على الحسن والحسين عليهما السلام ولم يذكر ابنيه، فأمر المتوكّل الأتراك فداسوا بطنه فحمل إلى داره فمات بعد غد ذلك [2].

وكثيرًا ما كان المتوكّل يضيّق على الشّيعة ويقطع أرزاقهم، ففي (الأمالي) للشيخ الطوسي -رحمه الله-: عن المنصوري، عن عمّ أبيه، قال: **" قَصَدْتُ الْإِمَامَ عليه السلام يَوْماً فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي، إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ اطَّرَحَنِي وَقَطَعَ رِزْقِي وَمَلَّنِي، وَمَا أَتَّهِمُ فِي ذَلِكَ إِلَّا عِلْمَهُ بِمُلَازَمَتِي لَك"**[3].

وكثيرًا ما كان المتوكّل يسجن الشيعة ويعذّبهم، ففي (إعلام الورى): عن علي بن محمد النوفلي، قال: قال لي محمد بن الفرج الرخجي: **" إِنَّ أَبَا الْحَسَنِ كَتَبَ إِلَيْهِ يَا مُحَمَّدُ أَجْمِعْ أَمْرَكَ وَخُذْ حِذْرَكَ قَالَ فَأَنَا فِي جَمْعِ أَمْرِي وَلَيْسَ أَدْرِي مَا كَتَبَ إِلَيَّ حَتَّى وَرَدَ عَلَيَّ رَسُولٌ حَمَلَنِي مِنْ مِصْرَ مُقَيَّداً وَضَرَبَ عَلَى كُلِّ مَا أَمْلِكُ وَكُنْتُ فِي السِّجْنِ ثَمَانَ سِنِين"**[4].

---

[1] راجع: بحار الأنوار: ٤٥/ ٤٠٦.

[2] الكنى والألقاب: ١/ ٣١٤.

[3] الأمالي، للطوسي: ٢٨٥.

[4] الكافي: ١/ ٥٠٠.

استشهاد الإمام عليه السلام

روى العلامة المجلسي -رحمه الله- في (جلاء العيون)، وغيره في غيره: أنَّ الإمام علي الهادي عليه السلام توفي مسموماً شهيداً وله من العمر أربعون سنة، وقيل إحدى وأربعون سنة.

فإنَّه عليه السلام تصدّى للإمامة الكبرى والخلافة العظمى بعد أبيه الإمام الجواد عليه السلام، وكان لـه من العمر ست سنوات وخمسة أشهر، وكانت مدّة إمامته ثلاثًا وثلاثين سنة وعدّة أشهر.

عاش الإمام الهادي عليه السلام في مدينة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله قرابة عشرين سنة، وبعد ذلك طلبه المتوكّل العباسي إلى سامراء فكان فيها عشرين سنة إلى أن توفّي مسموماً شهيداً، ودُفن في داره حيث مدفنه الشريف الآن بعدما قضى فترة من عمره الشريف في السجون وفي خان الصعاليك.

ثم إنَّ قاتل الإمام الهادي عليه السلام هو المعتمد العبّاسي، كما ذكره ابن بابويه وغيره، ورأى البعض أنَّ قاتله هو المعتز العباسي.

وكان استشهاد الإمام الهادي عليه السلام بسامراء في جمادى الآخرة لخمس ليالٍ بقين منه، وقيل: في الثالث من رجب، وقيل: يوم الاثنين لثلاث ليالٍ بقين من جمادى الآخرة نصف النهار سنة ٢٥٤ هـ.

قال المسعودي في (إثبات الوصية): اعتل أبو الحسن علي الهادي علّته التي توفّي فيها عليه السلام، فأحضَر عليه السلام أبا محمد ابنه ـ إلى أن قال ـ وأوصى إليه.

وقال المسعودي أيضاً ولمّا توفّي عليه السلام "وقد اجتمع فيها جملة بني هاشم من الطالبيين والعباسيين واجتمع خلق من الشيعة ولم يكن ظهر عندهم أمر أبي محمّد عليه السلام ولا عرف خبره إلّا الثقات الذين نصّ أبو الحسن عندهم عليه فحكوا أنَّهم كانوا في مصيبة وحيرة. فهم في ذلك إذ خرج من الدار الداخلة خادم فصاح بخادم آخر:

يا رياش خُذ هذه الرقعة وامض بها الى دار أمير المؤمنين واعطها الى فلان وقل له: هذه رقعة الحسن بن علي.

فاستشرف الناس لذلك ثم فُتح من صدر الرواق باب وخرج خادم أسود ثم خرج بعده أبو محمد عليه السلام حاسرًا مكشوف الرأس مشقوق الثياب وعليه مبطنة بيضاء وكان وجهه وجه أبيه عليه السلام لا يُخطئ منه شيئا وكان في الدار أولاد المتوكل وبعضهم ولاة العهود فلم يبقَ أحدٌ إلّا قام على رجله. ووثب إليه أبو محمد الموفق فقصده أبو محمد عليه السلام فعانقه ثم قال له: مرحبًا بابن العم.

وجلس بين بابي الرواق والناس كلّهم بين يديه وكانت الدار كالسوق بالأحاديث.

فلمّا خرج وجلس أمسك الناس، فما كُنّا نسمع شيئًا إلّا العطسة والسعلة وخرجت جارية تندب أبا الحسن

عليه السلام فقال أبو محمد ما هاهنا من يكفي مؤونة من هذه الجاهلة.

فبادر الشيعة إليها فدخلت الدار ثم خرج خادم فوقف بحذاء أبي محمد عليه السلام فنهض(صلوات الله عليه) وأخرجت الجنازة وخرج يمشي حتى أخرج بها الى الشارع الذي بإزاء دار موسى بن بقا.

وقد كان أبو محمّد (صلوات الله عليه) قبل أن يخرج الى الناس وصلّى عليه لمّا أخرج المعتمد ثم دفن في دار من دوره. واشتدّ الحر على أبي محمّد عليه السلام وضغطه الناس في طريقه ومنصرفه من الشارع بعد الصلاة عليه، فصار في طريقه الى دكان بقّال رآه مرشوشا فسلّم واستأذنه في الجلوس فأذن له وجلس، ووقف الناس حوله. فبينا نحن كذلك إذ أتاه شاب حسن الوجه نظيف الكسوة على بغلة شهباء على سرج ببرذون أبيض قد نزل عنه فسأله أن يركبه، فركب حتى أتى الدار ونزل وخرج في تلك العشية الى الناس ما كان يحزم عن أبي الحسن عليه السلام حتى لم يفقدوا منه إلّا الشخص.

وتكلّمت الشيعة في شق ثيابه وقال بعضهم: هل رأيتم أحدًا من الأئمة شقّ ثوبه في مثل هذه الحال؟

فوقع الى من قال ذلك: يا أحمق ما يدريك ما هذا؟ قد شقّ موسى على هارون عليهما السلام"[1].

---

[1] اثبات الوصية: ٢٤٣-٢٤٤.

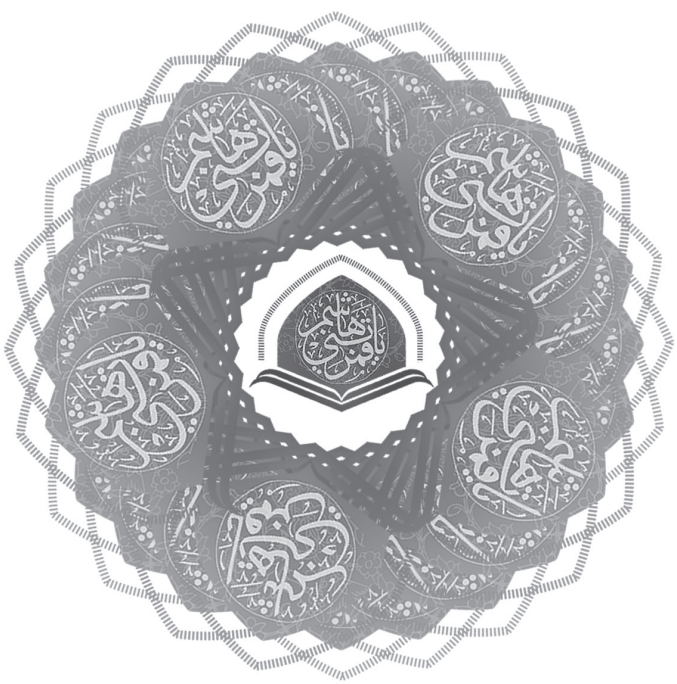

الإعلام الزينبي والإعلام الإسلامي
مقاربة بين العالمية والوظيفية

أ . م . د. حازم طارش حاتم

المنطلقات الأساسية للحركة الإعلامية الزّينبية هي منطلقات إسلامية موضوعها الأساس الإنسان؛ لأنَّها بحركتها هذه تدور مدار حركة القرآن، وتمتدّ بامتداد أفقه الساعي إلى جلب السعادة له، ودفع الشقاوة عنه؛ لأنَّ القرآن موضوعه الإنسان[١]، ووظيفته الهداية والإرشاد، ولغة الإعلام الزينبي تستظهر ذلك عن طريق الاستيضاحات التي تقدّمها للمتلقين بالقضايا ذات الصلة بهم، في ضوء مقتضاها المباشر، أو بالمجتمع الذي يعيشون به، وهنا تتأتى الرسالة الإعلامية، التي تُشكّل هويّة المرسل؛ لأنَّ (الرسالة الإعلامية) ما هي إلَّا معتقد تتشكل فيه الهوية الذَّاتيّة.

فتحديد المنطلقات في أصل أيّ حركة إعلامية يستلزم منّا معرفة أهداف هذه الحركة، ومن أجل معرفة الأهداف يجب تحديد القيم والمبادئ التي ترتكز عليها؛ لذا أضحت نظريات الإعلام توسم بالمبادئ والقيم التي تؤمن بها، وتعمل على أساسها في توليد فضاءات تمثّل جلَّ أهدافها، فالنظريات المتعلّقة بالجمهور أساسها القيمي محدّد في (الدوافع النفسية أو الاجتماعية)، ومن هذه النظريات (نظرية الاستخدامات والإشباعات)، وتقوم مباني هذه النظرية على أساس أنَّ الجمهور يستعمل الإعلام من أجل إشباع رغبات كامنة لديه، وتلبية حاجيات[٢]، فضلًا عن ذلك (نظرية الاعتماد) التي تعتمد فكرة مؤدّاها أنَّ وسائل الإعلام لها القدرة على تغيير المجتمع، ولاسيما إذا قامت الوسائل بوظيفة نقل المعلومات بصورة مميزة ومكثّفة[٣]، ومن النظريات (المتعلقة بالقائم بالاتصال)، ومن هذه النظريات[٤]:

نظرية الرّصاصة أو الحقنة تحت الجلد: تذهب هذه النظرية إلى القول إنَّ الإعلام يؤثّر تأثيرًا مباشرًا وسريعًا في المجتمع، وإنَّ الاستجابة لهذا الإعلام مثل رصاصة البندقية تؤثّر بعد انطلاقها مباشرة.

---

[١] ينظر: المبادئ الأساسية لفهم القرآن: للمودودي: ١٦.

[٢] ينظر: نظريات الإعلام: د. محمود حسن إسماعيل: ٥٩.

[٣] المصدر نفسه: ٥٩.

[٤] ينظر: المصدر نفسه: ٦٠.

نظرية الغرس الثقافي: يرى أصحاب هذه النظرية: إنَّ الجمهور يتأثّر بوسائل الإعلام في إدراك العالم الخارجي، فضلاً عن ذلك زيادة معارفهم، ولاسيما الأفراد الذين يتعرّضون بكثافة لوسائل الإعلام.

نظرية ترتيب الأولويات: وتفرض هذا النظرية أنَّ وسائل الإعلام هي من ترتّب الاهتمامات التي تعتني بالمجتمع، وتنال اهتمام الأفراد عن طريق تناول قضاياهم الأساسية.

وهناك نظريات أخر[1]، إلاّ أنَّ مدار الكلام في إثبات ما تطرحه النظريات من مبادئ وقيم لها تعلّق مباشر في المجتمع بشكلٍ عام والفرد بشكلٍ خاصّ إلَّا أنَّ هذه النظريات تباينت رؤاها، وتقاطعت مبادِئها في تحصيل التغير على مستوى المجتمع والفرد، فضلاً عن ذلك ظهرت عيوب لهذه النظريات استدعت المهتمّين بالتواصل إلى إيجاد نظريات إلَّا أنَّها لم تخلو من عيوب أيضًا.

وفي ضوء النّظريات الإعلامية تتشكّل المجتمعات؛ لذا تبنّى الإسلام نظريته الخاصّة في الإعلام في توطيد القيم، وإيجاد المبادئ الإسلامية التي تحقّق السعادة للمجتمعات والأفراد؛ لهذا قالوا: إنَّ الإعلام الإسلامي ((فنّ إيصال الحق للناس قصد اعتناقه والتزامه، وفن كشف الباطل ودحضه قصد اجتنابه))[2].

الخطاب الإعلامي الزّينبي تبنّى هذه القيم والمبادئ، وفي ضوء الخطاب الزّينبي نستظهر الإعلام الإسلامي، وبذلك يتّضح الامتداد الطبيعي للإعلام الزّينبي بشكله الطّولي؛ لأنَّه إعلام يمكن وصفه بأنَّه "إعلام أخلاقي" يسعى إلى تعريف الإنسان بالحقّ، وتحذيره من الباطل، ولم يتمثّل في مقاصده تحقيق منافع دنيوية، وهذا سرّ بقاء الخطاب الزّينبي وديمومته، ويمكن تمثيل ذلك:

أوَّلاً: عالمية الإعلام الزّينبي:

متلقّي الخطاب الزّينبي وإن كان معروفًا عند الجميع بشكله الخاص، فضلاً عن جغرافية المكان وخصوصية الزمان، إلّا أنَّه "خطاب قيمي" ينشد ترسيخ هذه القيم من أجل الحفاظ على الهويّة الإنسانية التي تكفل له الحياة السّعيدة، وهذه التّنشئة الاجتماعية مثّلت أصداءً في الحركة الإنسانية في أبعادها التكاملية فقولها ﷺ "يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر والخذل، ألا فلا رقأت العبرة ولا هدأت الزّفرة، إنَّما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً تتّخذون أيمانكم دخلاً بينكم، هل فيكم إلا الصَّلف والعجب، والشنف، والكذب، وملق الإماء وغمز الأعداء، أو كمرعى على دمنة، أو كفضّة على ملحودة، ألا بئس ما قدَّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون "[3].

---

[1] ينظر: الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي: د. إبراهيم أبو عرقوب: ٥٩ – ٧١.

[2] الإعلام الإسلامي المفهوم والخصائص: د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي: ٧٦.

[3] الاحتجاج: للطبرسي: ٢: ٢٧.

سيميائية المكان لها دلالة إيحائية في الإعلامي، ولاسيما إنّ المكان يمثّل الحاضرة الأولى في تشكيل الخطاب الإعلامي، وهذا الخطاب تشكّل في الكوفة حين ضجّت الشوارع والأزقّة بالجموع الزّاخرة، وقد أحاطت بها، فاندفعت عليها السلام إلى الخطابة من أجل توليد رأي عام جماهيريّ رافض ما وقع على الإنسانية من ظلم واضطهاد بقتل ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، وتحميل الكوفيّين مسؤولية هذه الجريمة النكراء[1]؛ لذا جاء الخطاب معبّأ بالصِّفات الذّميمة «الختل، الغدر، الخذل، العجب، الشنف، الكذب، ملق، غمز» العاكسة لبشاعة هؤلاء الناس، وفقدانهم إنسانيّتهم بهذا العمل، والإعلان عن رفض هذه الصفات، وتزويدها للجماهير بكلّ موضوعية، دليل على عقلية الجماهير إذا كانوا بالعنوان الخاص أو العام؛ لأنَّ الخطاب الزّينبيّ خطاب كونيّ، وممكن استشعار ذلك في ضوء التّضمينات القرآنية «مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً، تتّخذون أيمانكم دجلاً بينكم» العاكسة للمضامين القرآنية الكاشفة عن صفات القوم الذين كان حالهم حال المرآة التي نقضت غزلها بعدما جهدت في غزلها، وهي امرأة حمقاء من قريش، وقيل: إنَّه مثلٌ ضربَه الله تعالى: شبّه فيه حال الناقض للعهد بمن كان كذلك « أنكاثاً » وهو الغزل من الصوف والشعر يبرم ثم ينكث، وينقض ليغزل من جديد « تتخذون أيمانكم دخلا بينكم » أي دخلاً وخيانة ومكراً، فتقديره: لا تنكثوا أيمانكم متخذينها دخلاً وغدراً وخديعةً لمداراتكم قوماً هم أكثر عددًا ممن حلفتم له ولقلّتكم وكثرتهم، بل عليكم الوفاء بما حلفتم والحفظ لما عاهدتم عليه[2]، وهذا التّوظيف والتّضمين يعكس عالمية الخطاب الإعلاميّ الزّينبيّ الذي أخبر عن القيم الإنسانية الهابطة التي أخذت حيّزًا في الخطاب الكوني العالمي القرآني، وهذا الاستدعاء والحضور يقصده المرسل في رسالته الإعلامية حتى يولّد رأيًا جماهيريًّا عامًّا رافضًا لهذه القيم التي تفقد الإنسان إنسانيته، ولاسيّما أنَّ هذا الفعل مذموم ينتج عنه « سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون»، وهذه « التّنشئة الاجتماعية » التي تزوّد المتلقّين بمجموعة من المعارف الإسلامية ذات أبعاد قيميّة تشكّل الهوية الثقافية الإسلامية للمنتمي الحقيقي[3].

وعلى أثر طلب رجل من أهل الشام بأن يهب يزيد –لعنه الله– فاطمة بنت الحسين له؛ كونها جارية بحسب الإعلام المضلل الذي مارسته السلطة الحاكمة اتجاه الثّورة الإصلاحية الحسينيّة التي كان نتاجها قتل الحسين عليه السلام على يد الظالمين، فـ" قالت زينب عليها السلام للشامي: كذبت ولؤمت، والله ما ذاك لك ولا له، فغضب يزيد ثم قال: إنّ ذلك لي ولو شئت أن أفعل لفعلت.

---

[1] ينظر: السيدة زينب رائدة الجهاد في الإسلام: تأليف باقر شريف القرشي : ٣١٣ .

[2] ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: للطبرسي : ٦ : ١٦٤ .

[3] ينظر: سوسيولوجيا الإعلام الجماهيري: د . فواز منصور الحكيم : ١٧٣ – ١٧٤ .

قالت زينب: كلا، والله ما جعل ذلك لك، إلَّا أن تخرج من ملّتنا وتدين بغير ديننا.

فقال يزيد: إنَّما خرج من الدين أبوك، وأخوك.

قالت زينب: بدين الله، ودين أبي، ودين أخي، اهتديت أنت إن كنت مسلماً.

قال يزيد: كذبتِ يا عدوّة الله.

فقالت زينب: أنت أمير تشتم ظلماً، وتقهر بسلطانك "[1].

حوار في بعده التواصلي المتمثّل في « قالت ... وقال »، يمثّل موضوعة أساسية في الإعلام الزينبي، ولاسيّما إذا كان الفعل الحواريّ مباشرًا؛ لأنَّه يكشف عن الأدوات الإعلامية التي يحتكم إليها طرفا النّزاع، وهذه الأدوات الإعلامية هي بدورها تكشف عن القيم الإعلامية، فأداة السلطة المتمثّلة بالحاكمية ليزيد استظهرت قيم « التجهيل » بدلالة طلب الشامي، المتصوّر به أنَّ هؤلاء خوارج، وما النّسوة إلَّا جواري؟، وتتّضح هذه الأداة بقوله « إنّ ذلك لي ولو شئت أن أفعل لفعلت » أي: إن أعطيها له في معرض ردّه على الحوراء زينب ﷺ عندما قالت له: « كذبت ولؤمت، والله ما ذاك لك، ولا له»، وتكشف عن هذه السلطة بقولها ﷺ: « أنت أمير تشتم ظلماً، وتقهر بسلطانك»، وهنا تظهر قيم أخرى وهي « الظلم» و « الجور»، فضلاً عن قيمة « التكذيب»، بقوله « كذبت يا عدوة الله»، وهذا التقابل المتضاد بين طرفي الخطاب يعكس الهويّة الذاتية لكلا الطرفين، فالهوية الذاتية للإعلام الزينبي، تنتمي إلى القيم الإنسانية، التي تحفظ إنسانية الإنسان، وتركز فيه الإنسانية عن طريق الأبعاد المعرفية التي ترسلها عبر المنظومة التواصلية، وهي المنظومة الإسلامية، وهي منظومة عالمية؛ لأنَّها تحكي قيماً ترتبط بالإنسان، ولا تنفك عنه، بل مدارها مدار الإنسان، وهذا ما تمثّل في قولها ﷺ، فضلاً عن ذلك أنّها قيم قرآنية:

إلّا أن تخرج من ملّتنا وتدين بغير ديننا.

إنَّما خرج من الدين أبوك، وأخوك.

بدين الله، ودين أبي، ودين أخي، اهتديت أنت إن كنت مسلماً.

في ضوء تلك القيم القرآنية يتشكّل الخطاب الديني الإعلامي الزّينبي، وهو يكشف الخطاب الديني المزيّف الذي استعملته الجهة المضادة، التي أخذت من الدين غطاء في تسويق مادّتهم الإعلامية العسكرية ضدّ الإمام الحسين ﷺ، ذات الأبعاد السياسية، وهي السيطرة على «الخلافة»، والإمام الحسين ﷺ كانت في حركته العسكرية اتجاه الظالمين حركة إعلامية تمثلت في إعلامية الخطاب الزينبي، المتمثل في القيم السماوية.

---

[1] الاحتجاج: ٢ : ٣٤ .

ثانياً: الوظيفية في الإعلام الزينبي:

وظيفة الإعلام الأساسية هي الإخبار عن المعلومات الحقيقية للجماهير من أجل زيادة المعرفة والوعي والإدراك في نفوس متلقي الخطاب الإعلامي، وهذا يُسهم في تعريف الرأي العام بالمشكلات المطروحة والعالقة [1].

والإعلام الزّينبي في وظيفته الدعوية أكَّد ذلك، فقولها عليها السلام " أتبكون؟ أجل والله فابكوا فإنَّكم أحرى بالبكاء فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً، فقد أبليتم بعارها، ومنيتم بشنارها، ولن ترحضوها أبداً، وأنَّى تحرضون قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة، وسيّد شباب أهل الجنة، وملاذ حربكم، ومعاذ حزبكم، ومقر سلمكم، وآسي كلمكم، ومفزع نازلتكم، والمرجع إليه عند مقاتلتكم، ومدرة حججكم، ومنار محجتكم، ألا ساء ما قدّمت لكم أنفسكم، وساء ما تزرون ليوم بعثكم"[2].

تقرير حقيقة الفعل والإخبار عنه بأسلوب الاستفهام الإنكاري لها وقع في نفوس متلقّي الخطاب ولاسيما إنَّهم من قاموا بهذا الفعل؛ لذا قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: ((إنَّ هؤلاء يبكون وينحبون من أجلنا فمن قتلنا؟))[3]، ثم تقرر حقيقة بأسلوب التعجّب بأنَّ هذا المقتول أخي، والخطاب هنا يستلزم حفظ أهل بيته إذا كنتم نادمين على فعلتكم، إلَّا أنكم غير نادمين؛ لذا جاء الأمر « فابكوا فإنَّكم أحرى بالبكاء فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً»، والخطاب يعلّل سبب هذا الأمر بالبكاء وأنتم أحرى بالبكاء؛ لأنَّكم « أبليتم بعارها » و «ومنيتم بشنارها »، ثم الأخبار بأنَّ هذا العار لن يغسل أبدًا، وهذه الأبدية مسوّغة:

«قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة، وسيّد شباب أهل الجنة، وملاذ حربكم، ومعاذ حزبكم، ومقر سلمكم، وآسي كلمتكم، ومفزع نازلتكم، والمرجع إليه عند مقاتلتكم».

تعدّد هذه الأخبار، ومركزها وجوهرها الإمام الحسين عليه السلام، وربط حركته عليه السلام بحركة النبوة والرسالة، وإنَّ دعوته سماوية، ارتبطت بدعوة النبي صلى الله عليه وآله، وهذا التخاطب العقلي أُستند في أطروحاته إلى الحجج والبراهين؛ لتدعيم الدَّعوى، فالمنهج الإعلامي الزينبي يقوم على التثقيف والإحاطة بالمعلومات الصادقة التي تنساب إلى العقول الأفراد ووجدانهم، فترفع من مستواهم المعرفي، وتدفعهم إلى العمل، وتخلق فيما بينهما مناخاً مناسباً يمكنهم من الانسجام والتكيف والحركة، فيقع التفاعل في بناء المجتمع الإسلامي[4]، وهذا المنهج منهج قرآني،

---

[1] ينظر: الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام: د. سمير محمد حسين: ٢٢.

[2] الاحتجاج: للطبرسي: ٢: ٢٧.

[3] عوالم العلوم والمعارف والأحوال: الشيخ عبد الله البحراني الأصفهاني: ١٧: ٣٧٣ .

[4] ينظر: المنظور القرآني لوظائف علم الاتصال: د . وداد غازي : ٦٥ .

فالإعلام القرآني يعلن عن موقفه من القضايا الاجتماعية، فضلاً عن ذلك نشر تعاليم الدين الجديد، وتثبيت دعائم الإسلام واستكمال بناء المجتمع؛ لذا لم يترك الإعلام القرآني معرفةً أو فضيلةً أو حقيقةً إلَّا وذكرها لما في ذلك من نفع للناس في معارفهم وأخلاقهم، وهو بذلك يناغم العقل[١].

وحركة الاستفهامات في الخطاب الإعلامي الزّينبي تقرر حقائق وتخبر عن وقائع فقولها ﷺ "أتدرون ويلكم أيَّ كبدٍ لمحمد ﷺ فريتم؟ وأيَّ عهدٍ نكثتم؟ وأيَّ كريمة له أبرزتم؟ وأيَّ دمٍ له سفكتم؟ لقد جئتم شيئاً إدًّا تكاد السماوات يتفطّرن منه وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال هدّا؟"[٢].

الاستفهام يثير في لغة الإعلام سلسلة من الأفكار والرؤى في ذهن متلقّي الخطاب، ولاسيما إذا كان الخطاب يحمل في طيّاته قيمًا إنسانيّة عالية تتشكّل في ضوئها إنسانية المتلقّي، وهذه الاستفهامات مدارها مدار القضية المعروضة[٣]، وإجابات هذه التّساؤلات حاضرة في ذهن المتلقّي، وإثارتها تُشكّل مثيراً للمشاعر والأحاسيس الكاشفة عن السلوك الخاطئ، الذي يعضد هذا المثير في الإعلام الزّينبي، وهو الإعلان عن قبائح أفعالهم، واستعمل الخطاب الفعل « تكاد»، وهي من أفعال المقاربة أي: إنَّ أفعالهم قاربت السماء أن تتفطّر منها، والأرض أن تنشقّ منها، والجبال أن تخرّ منها، والخطاب الزّينبي في خطابه الضّمني يولّد دعوى إلى التكفير عن ذنبهم الذي أذنبوه، وتصحيح المسار الذي ساروا به، هذا في إطاره الخاص، أمّا في إطاره العام؛ فهي تدعو إلى مناصرة الحق، ونبذ الباطل بكلّ أصنافه، وهذه الدعوى أضحت مدوّية في أصقاع الأرض؛ لأنَّ منطلقاتها منطلقات قرآنية تمسك بالحق وتفترق عن الباطل؛ لذا قيل « الدين محمّدي الوجود حسينيّ البقاء» .

ومن المنبّهات التي تولد مثيرات في الإعلام الزينبي مبدأ « الثواب والعقاب»، وهذا المبدأ صنف من صنوف الإعلام القرآني، والذي كان حاضرًا بقوّة في تعديل سلوكيّات الأفراد وتكيفها في المجتمعات الإسلامية، ولاسيما في القصص القرآني وهي تحكي سلوكيّات أفراد تنعّموا بفضل الطاعة، وسلوكيات أفراد باءوا بغضب الله، وقد انتهجت لغة الإعلام الزينبي هذا المنهج في تقويم سلوكيات الأفراد، فقالت ﷺ: "فتعساً فتعساً ؟ ونكساً ونكساً ؟ لقد خاب السعي، وتبّت الأيدي، وخسرت الصّفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذّلّة والمسكنة"[٤]

تستند لغة الإعلام على فلسفة التكرار في تثبيت الأخبار والوقائع والأحداث في أذهان متلقي الإعلام من

---

[١] ينظر: الإعلام والمجتمع: د . غازي زين عوض الله : ١١١

[٢] الاحتجاج : ٢ : ٢٧ .

[٣] ينظر: الإعلان رؤية جديدة : د . ناجي فوزي خشبة : ٦١ .

[٤] الاحتجاج: ٢: ٢٧ .

أجل كسب التأييد والقناعة بفحوى تلك الأخبار، وهذا أسلوب يُعدّ من أهم أساليب الدعوة لتغير سلوكيّات الأفراد، وتوليد أراء صائبة تُسهم في التّنشئة الاجتماعية[1]، وهذا الأسلوب كان حاضراً في لغة الإعلام الزّينبي « فتعساً فتعساً ؟ ونكساً ونكساً ؟»، يستظهر به حالة الخسران التي منيت بها الأمّة، وهي تتّبع الإعلام المزيّف، وفي ذلك تنبيه وتحذير للمتلقي الخطاب العالمي الذي تقصده لغة الخطاب الزينبي؛ لأنَّه خطاب ذات قيم إنسانية.

[1] ينظر: الأسس النظرية والنماذج التطبيقية: د . عاطف عدلي العبد : ٢٣- ٢٥ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي : د . إبراهيم أبو عرقوب، ط ٥، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٢ م

٢. الاحتجاج : أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت ٥٢٠ هـ)، ط١،تعليقات: محمد باقر الموسوي الخرساني، منشورات ذوي القربى، قم ، ١٤٢٦ هـ .

٣. الأسس النظرية والنماذج التطبيقية : د . عاطف عدلي العبد، (د . ط)، دار الفكر، القاهرة، (د . ت) .

٤. إضاءات حول الإعلام الإسلامي : د . عبد القادر طاش، كتاب الأمة رقم ٢٨ مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي، قطر، ١٤١١هـ .

٥. الإعلام الإسلامي المفهوم والخصائص : د . سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ط١، عالم الكتب، الرياض، ١٩٨٦ م .

٦. الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر: أستاذ : عبد الله قاسم، ط٢، علم الكتب، الرياض، ٢٠٠١ م .

٧. الإعلام في الإسلام: د . رفعت عارف الضبع، ط١، المكتب المصري للمطبوعات، القاهرة، ٢٠١٤ م .

٨. الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام: د. سمير محمد حسين، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٤م.

٩. ١٠. الإعلام والثقافة العربية: د . تيسير أبو عرجة، ط ١، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٣ م .

١٠. الإعلام والمجتمع: د. غازي زين عوض الله، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥ م .

١١. الإعلان رؤية جديدة: د . ناجي فوزي خشبة، ط١، المكتبة العصرية، القاهرة، ٢٠٠٥ م .

١٢. سوسيولوجيا الإعلام الجماهيري: د . فواز منصور الحكيم، ط١، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١١ م .

١٣. السيدة زينب-عليها السلام-رائدة الجهاد في الإسلام: تأليف باقر شريف القرشي، ط١٠، دار المعارف، مؤسسة الإمام الحسين-عليه السلام-، النجف الأشرف، ٢٠١٣ م .

١٤. عوالم العلوم والمعارف والأحوال: الشيخ عبد الله البحراني الأصفهاني(ت ١١٣٠هـ)، ط١، مدرسة ومؤسسة الإمام المهدي -عجل الله فرجه-، قم المقدسة، ١٤٠٧هـ.

١٥. المبادئ الأساسية لفهم القرآن الكريم: أبو الأعلى المودودي (ت ١٣٩٩ هـ)، ط١، دار التراث العربي، لبنان، (د . ت) .

١٦. مجمع البيان في تفسير البيان: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ)، ط١، دار القارئ، لبنان، ٢٠٠٩ م .

١٧. المنظور القرآني لوظائف علم الاتصال: د. وداد غازي، ط١، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٣ م.
١٨. موسوعة العلوم السياسية: مجموعة مؤلفين، (د . ط)، إصدارة جامعة الكويت بالتعاون مع مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، (د . ت) .
١٩. نظريات الإعلام: د . محمود حسن إسماعيل، ط١، المكتبة المصرية للمطبوعات، القاهرة، ٢٠١٣ م .

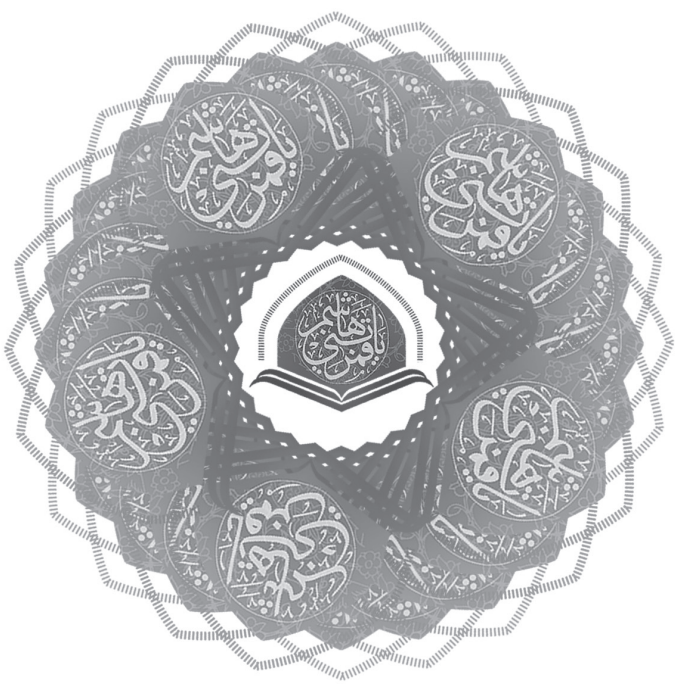

الحياة الأسرية للإمام الكاظم عليه السلام

الشيخ فوزي آل سيف

عَنْ يَزِيدَ بْنِ سَلِيطٍ قَالَ: " لَمَّا أَوْصَى أَبُو إِبْرَاهِيمَ عليه السلام .... وَإِنِّي قَدْ أَوْصَيْتُ إِلَى عَلِيٍّ وَبَنِيَّ بَعْدُ مَعَهُ إِنْ شَاءَ وَآنَسَ مِنْهُمْ رُشْداً وَأَحَبَّ أَنْ يُقِرَّهُمْ فَذَاكَ لَهُ وَإِنْ كَرِهَهُمْ وَأَحَبَّ أَنْ يُخْرِجَهُمْ فَذَاكَ لَهُ وَلا أَمْرَ لَهُمْ مَعَهُ وَأَوْصَيْتُ إِلَيْهِ بِصَدَقَاتِي وَأَمْوَالِي وَمَوَالِيَّ وَصِبْيَانِيَ الَّذِينَ خَلَّفْتُ وَوُلْدِي إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَالْعَبَّاسِ وَقَاسِمٍ وَإِسْمَاعِيلَ وَأَحْمَدَ وَأُمِّ أَحْمَدَ وَإِلَى عَلِيٍّ أَمْرُ نِسَائِي دُونَهُمْ وَثُلُثُ صَدَقَةِ أَبِي وَثُلُثِي يَضَعُهُ حَيْثُ يَرَى وَيَجْعَلُ فِيهِ مَا يَجْعَلُ ذُو الْمَالِ فِي مَالِهِ فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَبِيعَ أَوْ يَهَبَ أَوْ يَنْحَلَ أَوْ يَتَصَدَّقَ بِهَا عَلَى مَنْ سَمَّيْتُ لَهُ وَعَلَى غَيْرِ مَنْ سَمَّيْتُ فَذَاكَ لَهُ.

وَهُوَ أَنَا فِي وَصِيَّتِي فِي مَالِي وَفِي أَهْلِي وَوُلْدِي وَإِنْ يَرَى أَنْ يُقِرَّ إِخْوَتَهُ الَّذِينَ سَمَّيْتُهُمْ فِي كِتَابِي هَذَا أَقَرَّهُمْ وَإِنْ كَرِهَ فَلَهُ أَنْ يُخْرِجَهُمْ غَيْرَ مُثَرَّبٍ عَلَيْهِ وَلا مَرْدُودٍ فَإِنْ آنَسَ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي فَارَقْتُهُمْ عَلَيْهِ فَأَحَبَّ أَنْ يَرُدَّهُمْ فِي وَلايَةٍ فَذَاكَ لَهُ وَإِنْ أَرَادَ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنْ يُزَوِّجَ أُخْتَهُ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يُزَوِّجَهَا إِلا بِإِذْنِهِ وَأَمْرِهِ فَإِنَّهُ أَعْرَفُ بِمَنَاكِحِ قَوْمِهِ وَأَيُّ سُلْطَانٍ أَوْ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ كَفَّهُ عَنْ شَيْءٍ أَوْ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ شَيْءٍ مِمَّا ذَكَرْتُ فِي كِتَابِي هَذَا أَوْ أَحَدٍ مِمَّنْ ذَكَرْتُ فَهُوَ مِنَ اللهِ وَمِنْ رَسُولِهِ بَرِيءٌ وَاللهِ وَرَسُولُهُ مِنْهُ بُرَآءُ وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَغَضَبُهُ وَلَعْنَةُ اللاعِنِينَ وَالْمَلائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَالنَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ وَجَمَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَيْسَ لاحَدٍ مِنَ السَّلاطِينِ أَنْ يَكُفَّهُ عَنْ شَيْءٍ وَلَيْسَ لِي عِنْدَهُ تَبِعَةٌ وَلا تِبَاعَةٌ وَلا لاحَدٍ مِنْ وُلْدِي لَهُ قِبَلِي مَالٌ فَهُوَ مُصَدَّقٌ فِيمَا ذَكَرَ فَإِنْ أَقَلَّ فَهُوَ أَعْلَمُ وَإِنْ أَكْثَرَ فَهُوَ الصَّادِقُ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا أَرَدْتُ بِإِدْخَالِ الَّذِينَ أَدْخَلْتُهُمْ مَعَهُ مِنْ وُلْدِي التَّنْوِيهَ بِأَسْمَائِهِمْ وَالتَّشْرِيفَ لَهُمْ وَأُمَّهَاتُ أَوْلادِي مَنْ أَقَامَتْ مِنْهُنَّ فِي مَنْزِلِهَا وَحِجَابِهَا فَلَهَا مَا كَانَ يَجْرِي عَلَيْهَا فِي حَيَاتِي إِنْ رَأَى ذَلِكَ وَمَنْ خَرَجَتْ مِنْهُنَّ إِلَى زَوْجٍ فَلَيْسَ لَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَى مَحْوَايَ إِلا أَنْ يَرَى عَلِيٌّ غَيْرَ ذَلِكَ وَبَنَاتِي بِمِثْلِ ذَلِكَ وَلا يُزَوِّجُ بَنَاتِي أَحَدٌ مِنْ إِخْوَتِهِنَّ مِنْ أُمَّهَاتِهِنَّ وَلا سُلْطَانٌ وَلا عَمٌّ إِلا بِرَأْيِهِ وَمَشُورَتِهِ فَإِنْ فَعَلُوا غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ خَالَفُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَجَاهَدُوهُ فِي مُلْكِهِ وَهُوَ أَعْرَفُ بِمَنَاكِحِ قَوْمِهِ فَإِنْ أَرَادَ أَنْ يُزَوِّجَ زَوَّجَ وَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَتْرُكَ تَرَكَ وَقَدْ أَوْصَيْتُهُنَّ بِمِثْلِ مَا ذَكَرْتُ فِي كِتَابِي هَذَا وَجَعَلْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِنَّ شَهِيداً وَهُوَ وَأُمُّ أَحْمَدَ شَاهِدَانِ وَلَيْسَ لاحَدٍ أَنْ يَكْشِفَ وَصِيَّتِي وَلا يَنْشُرَهَا وَهُوَ مِنْهَا عَلَى غَيْرِ مَا ذَكَرْتُ وَسَمَّيْتُ فَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهِ وَمَنْ أَحْسَنَ فَلِنَفْسِهِ وَمَا رَبُّكَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَلَيْسَ لاحَدٍ

مِنْ سُلْطَانٍ وَلا غَيْرِهِ أَنْ يَفُضَّ كِتَابِي هَذَا الَّذِي خَتَمْتُ عَلَيْهِ الاسْفَلَ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله وَغَضَبُهُ وَلَعْنَةُ اللاعِنِينَ وَالْمَلائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَجَمَاعَةِ الْمُرْسَلِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَعَلَى مَنْ فَضَّ كِتَابِي هَذَا وَكَتَبَ وَخَتَمَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ وَالشُّهُودُ وَصَلَّى الله عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ قَالَ أَبُو الْحَكَمِ فَحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بْنُ آدَمَ الْجُعْفَرِيُّ عَنْ يَزِيدَ بْنِ سَلِيطٍ قَالَ كَانَ أَبُو عِمْرَانَ الطَّلْحِيُّ قَاضِيَ الْمَدِينَةِ فَلَمَّا مَضَى مُوسَى قَدَّمَهُ إِخْوَتُهُ إِلَى الطَّلْحِيِّ الْقَاضِي فَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مُوسَى أَصْلَحَكَ الله وَأَمْتَعَ بِكَ إِنَّ فِي أَسْفَلِ هَذَا الْكِتَابِ كَنْزاً وَجَوْهَراً وَيُرِيدُ أَنْ يَحْتَجِبَهُ"[1].

أهمّيّة الوصية:

هذه الوصية تشير إلى لزوم أن يتحرّك الإنسان بالإيصاء بما أهمّه؛ لكي تجري الأمور كما يريدها، فبمجرد أن يموت الإنسان لا يستطيع أن يباشر إراداته ومبتغياته، وقد وُضِعَ طريقٌ من قبل الشرع لصيانة إيرادات الإنسان وهو الوصية، فكانت الوصية **(حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِين)**[2] كما في القرآن الكريم.

يضاف الى ذلك أنَّ التّأمّل من خلال هذه الوصية تدلّنا على الحياة الأسرية والزوجية التي كان يعيشها الإمام الكاظم ﷺ، وهذا أمر مهمّ في أن يقتدي الإنسان المؤمن في حياته وتعامله مع زوجاته وأسرته من بنين وبنات على وفق هدى أئمّة الهدى ﷺ.

ومضات من الوصية:

في هذه الوصية أوصى فيها الإمام ﷺ إلى أبنائه وعدّدَهم، والغرض في ذلك هو تشريفهم والتنويه بذكرهم، وأشار في هذه الوصية الى إحدى زوجاته، وهي أم أحمد بن موسى بن جعفر؛ هذه المرأة الصالحة، وهي ليست أم الإمام الرضاﷺ، ولكنها امرأة من الفاضلات، وراوية من الرّاويات، ومؤمنة بإمامة الإمام الرضاﷺ، كما صرح العلامة المجلسي في كتاب مرآة العقول.

ومن هنا نستفيد أنَّه بالإمكان أن تكون المرأة وصيّةً فلا يشترط الذكورة في الوصيّة، فالإمام ﷺ ذكر أمّ أحمد كواحدة من الأوصياء، وقد أفرد الإمام الكاظمﷺ ابنه الإمام الرضاﷺ وجعل له دونهم أمرين:

أوّلاً: أمر بناته

ثانياً: أمر زوجاته

فقد كلّف الإمام الرضا ﷺ أن يصرف على من بقي من زوجات أبيه، إذا بقيت في بيته، ولم تتزوّج، فكما تعلمون أنَّ بإمكان زوجات الأئمة أن يتزوّجنَ بعد الإمام، واختص فقط النبي الأكرم ﷺ بأن لا تنكح أزواجه

---

[1] الكافي: ١/ ٣١٦.

[2] البقرة: ١٨٠.

من بعده، ولكن الأئمة ليسوا كذلك وإن كان الإمام علي عليه السلام نفس النبي صلى الله عليه وآله.

وقد أوصى الإمام الكاظم عليه السلام بأنَّه إذا تزوّجت امرأة من نسائه من بعده فلا يصرف عليها شيئاً من ثلث مال الإمام الكاظم عليه السلام، وهذا يدل على رجحان ترك الإنسان ثلث أمواله فيما يريد من الأمور، وثلث الإمام الكاظم عليه السلام شيء عظيم جدًّا، ولا يزال في المدينة المنورة بعض البساتين مما هي من أملاك الإمام الكاظم عليه السلام، فقد كانت للإمام عليه السلام في فترة من الفترات بالمدينة أهم الضِيع والبساتين حيث توصّل الى شرائها من ماله الخاص الشخصي، وليس من الأموال العامة -كالأخماس والصدقات فهذه مصارفها محدّدة ومعروفة - فالموارد المالية الخاصّة بأهل البيت عليهم السلام يحصلون عليها من مصادر مختلفة، ويستطيع الإمام أن يورِّث أبناءه من هذا المال الخاص، ويستطيع أن يوصي بالثلث منه كذلك، فلم تكن كلّ نفقاته من الحقوق الشرعية التي يصرفها من بيت المال العام، فقد كان الإمام الكاظم عليه السلام يعيل أكثر من ٣٢ ولداً بين ذكر وأنثى، وعددًا من الزّوجات، وأن يخلف ثلثاً لبناته اللاتي لم يتزوّجن، وزوجاته اللاتي بقين في منزله من دون أن يتزوّجن بعده. لذا أيّها الإنسان تدارك واجعل ثلث مالك بعد موتك للإنفاق على عائلتك المحتاجين أو الإنفاقات العامة في وجوه الخير أو في عبادات او مشاريع خيرية أو تبليغية حتَّى يبقى لك عمل صالح مستمر بعد موتك.

فالإمام أوصى بثلث ماله حتى يصرفه الإمام الرضا دون باقي الأوصياء أي تحت ولاية الإمام الرضا عليه السلام.

الملاحظة هنا شدّة اهتمام الإمام الكاظم بأمر البنات فلم يجعل للأبناء شراكة مع البنات في ثلث ماله مع ملاحظة أنَّه قد يكون هناك أبناء محتاجون، فتخصيص الإمام للبنات اللاتي لم يتزوّجن، فيه تأكيد على مراعاة جهة الضّعف، فالابن يستطيع أن يعمل ويحصل الأموال، والبنت التي تتزوّج غالباً يكون هو من ينفق عليها، لكن البنت التي بقيت بعد أبيها لم تتزوّج أو مطلقة وباقية في منزل أبيها فهنا جانب ركّز الإمام عليه فأوصى لهنَّ بأن تكون مؤنتهنّ من ثلث أمواله التي كانت واسعة وكبيرة.

لقد كان الإمام الكاظم عليه السلام من أكثر الأئمة أولادًا، ولفظة الأولاد تشمل الذّكور والإناث كما جاء في القرآن الكريم: **(يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ. لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ)**[1]، وقد قيل -وهو كلام غير صحيح كما في كتاب عمدة الطالب - بأنَّ للإمام ستين ولداً، وقيل له أربعون[2]، وهذا غير صحيح أيضاً والصحيح ما نقل في هذه الرواية: " وأقبل الإمام عليه السلام وقد وصفه المأمون فقال: **" شَيْخٌ مُسَخَّدٌ[3] قَدْ أَنْهَكَتْهُ الْعِبَادَةُ كَأَنَّهُ شَنٌّ بَالٍ قَدْ كَلَمَ**

---

[1] النساء: ١١.

[2] البداية والنهاية، ابن كثير(ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الأولى، ١٤١٨هـ: ١٣/ ٦٢٣.

[3] أَصبح فلان مُسَخَّداً إِذا أَصبح وهو مصفر مورم. لسان العرب: ٣/ ٢٠٧.

السُّجُودُ وَجْهَهُ وَأَنْفَهُ فَلَمَّا رَأَى الرَّشِيدَ رَمَى بِنَفْسِهِ عَنْ حِمَارٍ كَانَ رَاكِبَهُ فَصَاحَ الرَّشِيدُ لَا وَاللهِ إِلَّا عَلَى بِسَاطِي فَمَنَعَهُ الْحُجَّابُ مِنَ التَّرَجُّلِ وَنَظَرْنَا إِلَيْهِ بِأَجْمَعِنَا بِالْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ فَمَا زَالَ يَسِيرُ عَلَى حِمَارِهِ حَتَّى سَارَ إِلَى الْبِسَاطِ وَالْحُجَّابُ وَالْقُوَّادُ مُحْدِقُونَ بِهِ فَنَزَلَ فَقَامَ إِلَيْهِ الرَّشِيدُ وَ اسْتَقْبَلَهُ إِلَى آخِرِ الْبِسَاطِ وَقَبَّلَ وَجْهَهُ وَعَيْنَيْهِ وَأَخَذَ بِيَدِهِ حَتَّى صَيَّرَهُ فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ فِيهِ وَجَعَلَ يُحَدِّثُهُ وَيُقْبِلُ بِوَجْهِهِ عَلَيْهِ وَيَسْأَلُهُ عَنْ أَحْوَالِهِ ثُمَّ قَالَ يَا أَبَا الْحَسَنِ مَا عَلَيْكَ مِنَ الْعِيَالِ؟

فَقَالَ يَزِيدُونَ عَلَى الْخَمْسِمِائَة.

أَوْلَادٌ كُلُّهُمْ؟

قَالَ: لَا أَكْثَرُهُمْ مَوَالِيَّ وَحَشَمٌ فَأَمَّا الْوَلَدُ فَلِي نَيِّفٌ وَثَلَاثُونَ الذُّكْرَانُ مِنْهُمْ كَذَا وَالنِّسْوَانُ مِنْهُمْ كَذَا قَالَ فَلِمَ لَا تُزَوِّجِ النِّسْوَانَ مِنْ بَنِي عُمُومَتِهِنَّ وَأَكْفَائِهِنَّ. قَالَ: الْيَدُ تَقْصُرُ عَنْ ذَلِكَ. قَالَ فَمَا حَالُ الضَّيْعَةِ؟ قَالَ تُعْطِي فِي وَقْتٍ وَتَمْنَعُ فِي آخَرَ. قَالَ فَهَلْ عَلَيْكَ دَيْنٌ قَالَ نَعَمْ. قَالَ كَمْ؟ قَالَ نَحْوٌ مِنْ عَشَرَةِ آلَافِ دِينَارٍ. فَقَالَ الرَّشِيدُ يَا ابْنَ عَمِّ أَنَا أُعْطِيكَ مِنَ الْمَالِ مَا تُزَوِّجُ بِهِ الذُّكْرَانَ وَالنِّسْوَانَ وَتَعْمُرُ الضِّيَاعَ فَقَالَ لَهُ وَصَلَتْكَ رَحِمٌ يَا ابْنَ عَمِّ وَ شَكَرَ اللهُ لَكَ هَذِهِ النِّيَّةَ الْجَمِيلَةَ وَالرَّحِمُ مَاسَّةٌ وَالْقَرَابَةُ وَاشِجَةٌ وَالنَّسَبُ وَاحِدٌ وَالْعَبَّاسُ عَمُّ النَّبِيِّ ص وَصِنْوُ أَبِيهِ وَعَمُّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام وَصِنْوُ أَبِيهِ وَمَا أَبْعَدَكَ اللهُ مِنْ أَنْ تَفْعَلَ ذَلِكَ وَقَدْ بَسَطَ يَدَكَ وَأَكْرَمَ عُنْصُرَكَ وَأَعْلَى مَحْتِدَكَ فَقَالَ أَفْعَلُ ذَلِكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ وَكَرَامَةً. فَقَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ فَرَضَ عَلَى وُلَاةِ عَهْدِهِ أَنْ يَنْعَشُوا فُقَرَاءَ الْأُمَّةِ وَيَقْضُوا عَنِ الْغَارِمِينَ وَيُؤَدُّوا عَنِ الْمُثْقَلِ وَيَكْسُوا الْعَارِيَ وَيُحْسِنُوا إِلَى الْعَانِي وَأَنْتَ أَوْلَى مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ فَقَالَ أَفْعَلُ يَا أَبَا الْحَسَن"[1].

هناك تساؤل: هل تزوّجن بنات الإمام الكاظم عليه السلام؟

هناك قولان:

القول الأول: ويتفرع منه ثلاثة احتمالات:

الأوَّل: ينتهي إلى أنَّ بنات الإمام الكاظم جميعهنَّ -ثماني عشرة فتاة- لم يتزوّجنَ، ودليلهم ورود نصوص في كتاب تاريخ اليعقوبي أنَّ الإمام الكاظم أوصى بأن لا تتزوّج بناته[2]، والبعض علّل ذلك لعدم وجود الكفوء أو بسبب الوضع السياسي والأمني الصّعب الموجود في ذلك الوقت.

لكن البعض اعترض على هذه المقولة، وقالوا: إنَّ تاريخ اليعقوبي متأخّر؛ لذا لابُدَّ أن يعرض مستنداً لهذا الكلام حيث لم يوجد في روايات الإمام شيء من هذا المعنى، ولا في سيرة الإمام الكاظم عليه السلام، فربما اليعقوبي

[1] عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ٨٩ – ٩٠.

[2] تاريخ اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب(ت: ٢٨٤هـ)، تحقيق: عبد الأمير مهنا، شركة الاعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، الأولى ١٤٣١هـ: ٢/ ٣٦١.

استنتج ذلك بالاستفادة من وصيّة الإمام أنَّه من تزوَّجت من بناته فلا تعطى شيء من ثلث ماله، ومن لم تتزوّج يُعطى لها ما يكفيها منه ويكفلها، فاستنتج بأنَّ الإمام لا يريد أن تتزوّج بناته، ولكن هذه الاستفادة كما يراها البعض في غير محلّها.

الثاني: إنَّ البنات في حياته لم تتزوّج، وأمَّا بعد استشهاده فلا يوجد ما يؤيّد بقاءهنَّ بلا زواج، ومما يؤيد هذا القول، ما ذكر في الرواية السابقة: لِمَ لا تتزوّج النسوة من بني عمومتهنَّ؟ قال الإمام: "اليد تقصر عن ذلك..". ولذلك قِيل إنَّه يتّضح أنَّ الإمام لم يزوّج بناته في حياته.

الثالث: لم يتم العثور في التاريخ على أنَّ إحدى بنات الإمام الكاظم تزوّجت سوى ابنة واحدة اسمها أمّ سلمة، وباقي بنات الإمام الكاظم لم يعثر على أنّهنّ تزوّجنَ، وقد تزوّجها حفيد الإمام الصادق القاسم بن محمد بن الإمام الصادق عليه السلام [1].

القول الثاني:

لا يتصوّر أنَّ هناك منعاً من الزواج أو عزوفاً عن النكاح، فليس من المعقول أن يترك الإمام الكاظم سُنَّة جدّه في هذا الشأن، ويوصى بعدم تزويجهنَّ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: " النِّكَاحُ سُنَّتِي فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي "[2] وأوّل شخص يمكن أن يطبّق سنّة النبي هو الإمام فهو ابن النبي لذلك لا يتصور أن تبقى سبع عشرة فتاة من بنات الإمام الكاظم عليه السلام بلا زواج.

إنَّ تأخير أمر زيجة الفتيات أحياناً من الأمور المرجوحة[3] غير الصحيحة والإنسان المؤمن لا يؤخّر زيجة فتياته، مثلا، لأغراض معينة، فهذه الأغراض هي ليست مبرّرات شرعية أو قانونية، فمقتضى ولاية ولي الأمر هو أن ينظر الى مصلحتها الدّينية والأخلاقية في تكوين أسرة، وأن تسعد بحياتها، وهناك دليل آخر وهو أنَّ أمّ سلمة بنت الإمام قد تزوَّجت، فلو كان الإمام يوصي بعدم تزويجهنَّ فكيف أمّ سلمة تزوّجت؟

ويُطرح هنا تساؤل:

لماذا لا توجد أخبار عن زيجات بنات الإمام الكاظم عليه السلام؟

والجواب إنَّ هذا وضع طبيعيّ فنحن أيضًا لم نسمع عن زيجات بنات الإمام الباقر والصادق عليهما السلام وغيرهم من الأئمة؟

فالتاريخ لا ينقل كلَّ صغيرة وكبيرة، وإنَّما ينقل الحدث إذا اقترن بخبر ومناسبة،

---

[1] تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٣٦١.

[2] جامع الأخبار، للشعيري: ١٠١.

[3] اكمال الدراسة والحصول على العلم امر مرجوح

فخبر زواج أمّ سلمة نُقل عندما نقل المؤرخون خبر خروج القاسم بن محمد بن الصادق الى مصر فنقلوا أنَّه ذهب مع زوجته أم سلمة بنت الإمام الكاظم، ومعلوم أنَّ هناك بنات للإمام موسى بن جعفر لم يتزوّجنَ مثل السيدة فاطمة المعصومة، ولكن الباقيات ليس معلوماً هل تزوّجن أم لا.

ثم إنَّنا نجد بين أبناء وبنات الإمام ﷺ أسماءً لبعضهم في الرّوايات الشريفة، فهنّ راويات عالمات، ونقل في أكثر من مصدر أنَّ ثلاثًا من فتيات الإمام الكاظم -وهم فاطمة المعصومة وأم كلثوم وزينب- يشتركنَ في سند واحد في روايات عدّة كخبر الغدير[1]، حيث يبدأ من فاطمة بنت الإمام الرضا الى فاطمة بنت رسول الله الى أمير المؤمنين، وأيضًا خبر المنزلة: " أنت منّي بمنزلة هارون من موسى"[2]، وأيضًا خبر المعراج: **" لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِقَصْرٍ مِنْ دُرَّةٍ بَيْضَاءَ مُجَوَّفَةٍ وَعَلَيْهَا بَابٌ مُكَلَّلٌ بِالدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ وَعَلَى الْبَابِ سِتْرٌ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا مَكْتُوبٌ عَلَى الْبَابِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ عَلِيٌّ وَلِيُّ الْقَوْمِ وَإِذَا مَكْتُوبٌ عَلَى السِّتْرِ بَخْ بَخْ مِنْ مِثْلِ شِيعَةِ عَلِي "**[3].

وفي نسخة أخرى من الرواية: ((عَلِيٌّ وَلِيُّ الله))[4] أي ولي العهد. فهذه من الروايات التي نقلتها بعض بنات الإمام الكاظم ﷺ.

ومن نساء الإمام الكاظم ﷺ تكتم[5] وهي أمّ الإمام الرضا ﷺ، ويكفيها فخرًا أنّها وعاء الإمامة، ومن نساء الإمام الكاظم ﷺ الفضليات أم أحمد بن موسى، وقد ورد أنَّها من أوصياء الإمام الكاظم، وعندما أراد الإمام الخروج الى بغداد سنة ١٧٩ هجرية سلّمها كتبه ومختصّات الإمامة والمواريث وقال لها: "من أتاكِ فطلب منك ما دفعته إليكِ وأعطاكِ صفته فادفعيه إليه. ودفع إليها رقعة مختومة وأمرها بأن تسلّمها مع ما قبلها"[6] وبالفعل مرّت أربع سنوات حتى جاءت سنة ١٨٣ هجرية وقد كان الإمام الرضا ﷺ بالمدينة في ذلك الوقت، ودخل الدار وأمر أمّ أحمد أن تدفع إليه ما عندها وأعطاها العلامة، فصرخت ولطمت وقالت: «مات

---

[1] ينظر: عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال: ٢١/ ٣٥٣. الغدير، عبد الحسين بن احمد الاميني(.:) دار الكتاب العربي بيروت ١٩٦٩م: ١/ ١٩٧.

[2] م. ن: ٢١/ ٣٥٤.

[3] بحار الأنوار: ٦٥/ ٧٦ – ٧٧.

[4] الفضائل، لابن شاذان القمي: ٨٣.

[5] اشْتَرَتْ حَمِيدَةُ الْمُصَفَّاةُ وَهِيَ أُمُّ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ وَكَانَتْ مِنْ أَشْرَافِ الْعَجَمِ جَارِيَةً مُوَلَّدَةً وَاسْمُهَا تُكْتَمُ وَكَانَتْ مِنْ أَفْضَلِ النِّسَاءِ فِي عَقْلِهَا وَدِينِهَا وَإِعْظَامِهَا لِمَوْلَاتِهَا حَمِيدَةَ الْمُصَفَّاةِ حَتَّى أَنَّهَا مَا جَلَسَتْ بَيْنَ يَدَيْهَا مُنْذُ مَلَكَتْهَا إِجْلَالًا لَهَا فَقَالَتْ لِابْنِهَا مُوسَى ﷺ يَا بُنَيَّ إِنَّ تُكْتَمَ جَارِيَةٌ مَا رَأَيْتُ جَارِيَةً قَطُّ أَفْضَلَ مِنْهَا وَلَسْتُ أَشُكُّ أَنَّ اللهَ تَعَالَى سَيُظْهِرُ نَسْلَهَا إِنْ كَانَ لَهَا نَسْلٌ وَقَدْ وَهَبْتُهَا لَكَ فَاسْتَوْصِ خَيْرًا بِهَا فَلَمَّا وَلَدَتْ لَهُ الرِّضَا ﷺ سَمَّاهَا الطَّاهِرَةَ. عيون أخبار الرضا ﷺ: ١/ ١٤ – ١٥.

[6] اثبات الوصية: ١٩٩.

والله سيدي» فكفّها ﷺ وقال لها: «اكتمي ولا تظهري شيئًا حتى يرد الخبر والي المدينة»[1]. ثم سلّمته الكتب والمواريث وأمرت ابنيها أحمد والحسين -وهما من أعيان أبناء الكاظم- بالتسليم للإمام الرضا والتدعيم له. فهذه المرأة الفاضلة تعترف بإمامة الرضا ﷺ وتسانده بالتسليم والتدعيم له، وهذا ليس موقفًا سهلاً فما هو معتاد في الأماكن غير النزيهة أنَّ الزوجة لا تعترف لابن الزوجة الأخرى بفضيلة ومزيّة وتكيد له، ويكيد لها، وتحصل معركة بين زوجة الأب وأولاد الزّوج من الزوجات الأخريات على أموال الزوج -الإرث-، ولكن الفاضلة أم أحمد بن موسى بن جعفر زوجة الإمام كانت عكس ذلك، فقد أقامت العزاء على الإمام في بيتها، وعندما اجتمع شيعة الإمام في بيتها قام أحمد بن موسى خطيبًا بين الناس وأمرهم بالتسليم للإمام الرضا، وقال لهم: إنَّه أوّل من بايعه بالإمامة - بالرغم من أنَّ البعض كان يعتقد بأنَّ أحمد بن موسى هو من سيكون الإمام بعد أبيه لما كان عليه من الفضل- فهذا مثال يُحتذى به في البيوت المتعدّدة الزّوجات.

ومن إخوان الإمام الرضا العباس بن موسى بن جعفر، وقد كان حاسدًا لأخيه الإمام الرضا ﷺ ولكن ما ناله الإمام الرضا ﷺ هو وصيّة الإمام الكاظم ﷺ والدهم، وقد ورد بأنَّ أم أحمد بن موسى بن جعفر كانت راوية عن الإمام، ومن الروايات التي تُنقل عنها رواية ما لو خيف عوز الماء يوم الجمعة لغسل الجمعة، بالإضافة الى روايات أخر.

وقد عاشت هذه المرأة الصالحة الصابرة المعاناة على إثر ما يحصل للإمام فقد كان ينقل من سجن الى سجن ففي المرّة الأخيرة سجن في البصرة، ثمَّ نقل الى سجن ببغداد، وصار ينقل من سجن الى سجن في حالة من الاضطهاد والإيذاء الى أن صار في آخر أمره في سجن السندي بن شاهك وهو شديد القسوة ولا يرعى للإمام حرمة، ولا يرقب فيه ذمة، وقد أوصاه هارون بالتشديد على الإمام لدرجة أنَّ الإمام كان في السجن مقيدة رجلاه بأرطال الحديد.

هذه نبذة مختصرة من حياة الإمام الكاظم ﷺ الأسرية المستفادة من وصيته ﷺ.

---

[1] م. ن: ٢٠٥.

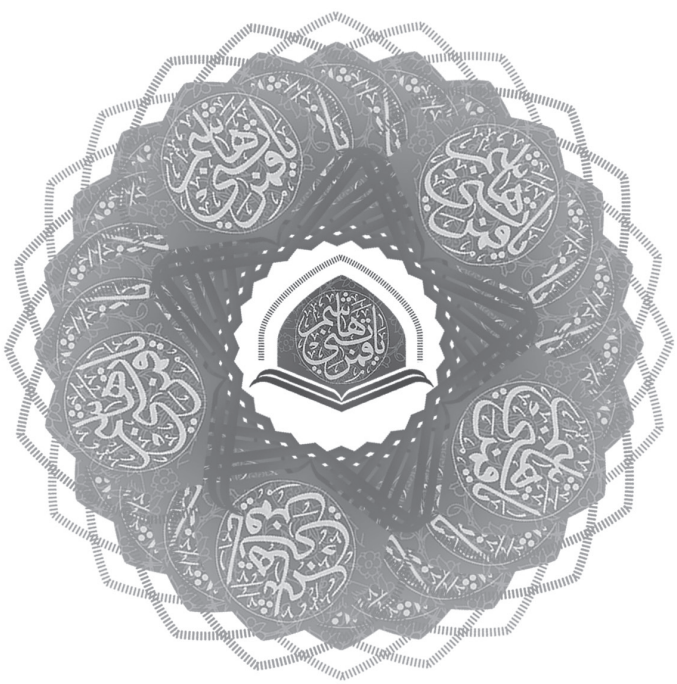

عوامل نجاح البعثة النَّبويّة

الشيخ علي مظلوم

قال تعالى: **(فَبِمَا رَحْمَةٍ مّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكّلْ عَلَى اللهِ إِنّ اللهَ يُحِبّ الْمُتَوَكّلِينَ)**[1].

يواجه كلُّ إنسان بعض المصاعب والعقبات في حياته؛ وما يهم هو الطرق التي يستخدمها للتغلب على المشاكل وتحقيق هدفه. ومن بين جميع الناس، كان النبي الأكرم محمد ﷺ أكثر الناس الذي واجه المشاكل.

"فقد أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ (فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ)[2] **وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ وَاعْتِزَامٍ مِنَ الْفِتَنِ وَانْتِشَارٍ مِنَ الْأُمُورِ وَتَلَظٍّ مِنَ الْحُرُوبِ وَالدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ عَلَى حِينِ اصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا وَإِيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا وَإِغْوَارٍ[اغْوِرَارٍ] مِنْ مَائِهَا قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الْهُدَى وَظَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَى فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لِأَهْلِهَا عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا**[3]، وبعد أشراف الناس على الهلاك لكثرة الانحرافات وانتشار الظلم والجهل، صدع الرسول الأعظم ﷺ برسالته ودعا الناس الى الإيمان بالله تبارك وتعالى، وترك عبادة الأصنام والأوثان، والتمسّك بالفضائل ومكارم الأخلاق، والنّهي عن الرّذائل والقبائح من الصّفات، كالقتل والسرقة والزنا وارتكاب الفواحش، والربا وشرب الخمر.

قالت الصديقة فاطمة عليها السلام في خطبتها: **"(وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ)**[4] **مَذْقَةَ الشَّارِبِ وَنَهْزَةَ الطَّامِعِ وَقَبْسَةَ الْعَجْلَانِ وَمَوْطِئَ الْأَقْدَامِ تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ وَتَقْتَاتُونَ الْقِدَّ أَذِلَّةً خَاسِئِينَ {تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ}**[5] **مِنْ حَوْلِكُمْ فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِمُحَمَّدٍ ﷺ بَعْدَ اللَّتَيَّا وَالَّتِي وَبَعْدَ أَنْ مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجَالِ وَذُؤْبَانِ الْعَرَبِ وَمَرَدَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ (كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ)**[6] **أَوْ نَجَمَ قَرْنُ الشَّيْطَانِ أَوْ فَغَرَتْ فَاغِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**

---

[1] آل عمران: ١٥٩.

[2] المائدة: ١٩.

[3] شرح نهج البلاغة: ٦/ ٣٨٧.

[4] آل عمران: ١٠٣.

[5] الأنفال: ٢٦.

[6] المائدة: ٦٤.

قَذَفَ أَخَاهُ فِي لَهَوَاتِهَا فَلَا يَنْكَفِئ حَتَّى يَطَأَ جَنَاحَهَا بِأَخْمَصِهِ وَيُخْمِدَ لَهَبَهَا بِسَيْفِهِ مَكْدُوداً فِي ذَاتِ اللهِ مُجْتَهِداً فِي أَمْرِ اللهِ قَرِيباً مِنْ رَسُولِ اللهِ سَيِّداً فِي أَوْلِيَاءِ اللهِ مُشَمِّراً نَاصِحاً مُجِدّاً كَادِحاً لَا تَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ وَأَنْتُمْ فِي رَفَاهِيَةٍ مِنَ الْعَيْشِ وَادِعُونَ فَاكِهُونَ آمِنُونَ تَتَرَبَّصُونَ بِنَا الدَّوَائِرَ"[1].

وقالت عليها السلام: " فَرَأَى الْأُمَمَ فِرَقاً فِي أَدْيَانِهَا عُكَّفاً عَلَى نِيرَانِهَا عَابِدَةً لِأَوْثَانِهَا مُنْكِرَةً للهِ مَعَ عِرْفَانِهَا فَأَنَارَ اللهُ بِأَبِي مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ظُلَمَهَا وَكَشَفَ عَنِ الْقُلُوبِ بُهَمَهَا وَجَلَى عَنِ الْأَبْصَارِ غُمَمَهَا وَقَامَ فِي النَّاسِ بِالْهِدَايَةِ فَأَنْقَذَهُمْ مِنَ الْغَوَايَةِ وَبَصَّرَهُمْ مِنَ الْعَمَايَةِ وهَدَاهُمْ إِلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ وَدَعَاهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ"[2].

لقد كان المجتمع يعيش في واقع غارق في الجهل وأسير التضليل والخرافات والحقد، لكن كان النبي مدركًا تمامًا لصعوبة واجبه واتخذ تدابير مهمّة لتحقيق النجاح وفق ثلاث قواعد مهمة:

القاعدة الأولى: الرّحمة والأخلاق

كان رسول الله صلى الله عليه وآله القمّة في مكارم الأخلاق الطيبة حتّى قال في حقّه الباري عزوجل في سورة القلم: **(وَإِنّكَ لَعَلَىَ خُلُقٍ عَظِيمٍ)**[3]، وقد اهتدى بحسن أخلاقه كثيٌر من المشركين والكافرين والمنافقين وغيرهم إلى الإسلام.

العفو عند المقدرة

روي في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه "لما بَلَغَهُ أَنَّ جَمْعاً مِنْ غَطَفَانَ قَدْ تَجَمَّعُوا يُرِيدُونَ أَنْ يُصِيبُوا مِنْ أَطْرَافِ الْمَدِينَةِ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ دُعْثُورُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ مُحَارِبٍ فَخَرَجَ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ رَجُلًا وَمَعَهُمْ أَفْرَاسٌ وَهَرَبَ مِنْهُ الْأَعْرَابُ فَوْقَ ذُرَى الْجِبَالِ وَنَزَلَ صلى الله عليه وآله ذَا أَمَرٍّ وَعَسْكَرَ بِهِ وَأَصَابَهُمْ مَطَرٌ كَثِيرٌ فَذَهَبَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله لِحَاجَةٍ فَأَصَابَهُ ذَلِكَ الْمَطَرُ فَبَلَّ ثَوْبَهُ وَقَدْ جَعَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وَادِيَ أَمَرٍّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَصْحَابِهِ ثُمَّ نَزَعَ ثِيَابَهُ فَنَشَرَهَا لِتَجُفَّ وَأَلْقَاهَا عَلَى شَجَرَةٍ ثُمَّ اضْطَجَعَ تَحْتَهَا وَالْأَعْرَابُ يَنْظُرُونَ إِلَى كُلِّ مَا يَفْعَلُ رَسُولُ اللهِ فَقَالَتِ الْأَعْرَابُ لِدُعْثُورٍ وَكَانَ سَيِّدَهُمْ وَأَشْجَعَهُمْ قَدْ أَمْكَنَكَ مُحَمَّدٌ وَقَدِ انْفَرَدَ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِهِ حَيْثُ إِنْ غَوَّثَ بِأَصْحَابِهِ لَمْ يُغَثْ حَتَّى تَقْتُلَهُ فَاخْتَارَ سَيْفاً مِنْ سُيُوفِهِمْ صَارِماً ثُمَّ أَقْبَلَ مُشْتَمِلًا عَلَى السَّيْفِ حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللهِ بِالسَّيْفِ مَشْهُوراً فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي الْيَوْمَ قَالَ اللهُ وَدَفَعَ جَبْرَئِيلُ فِي صَدْرِهِ فَوَقَعَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللهِ وَقَامَ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي قَالَ لَا أَحَدَ وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ وَاللهِ لَا أُكْثِرُ عَلَيْكَ جَمْعاً أَبَداً فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللهِ سَيْفَهُ ثُمَّ أَدْبَرَ ثُمَّ أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ وَاللهِ لَأَنْتَ خَيْرٌ مِنِّي قَالَ رَسُولُ اللهِ أَنَا أَحَقُّ

---

[1] الإحتجاج على أهل اللجاج، للطبرسي: ١/ ١٠٠-١٠١.

[2] م. ن: ١/ ١٠١.

[3] القلم: ٤.

بِذَلِكَ فَأَتَى قَوْمَهُ فَقِيلَ لَهُ أَيْنَمَا كُنْتَ تَقُولُ وَقَدْ أَمْكَنَكَ وَالسَّيْفُ فِي يَدِكَ.

قَالَ وَقَدْ كَانَ وَاللهِ ذَلِكَ وَلَكِنِّي نَظَرْتُ إِلَى رَجُلٍ أَبْيَضَ طَوِيلٍ دَفَعَ فِي صَدْرِي فَوَقَعْتُ لِظَهْرِي فَعَرَفْتُ أَنَّهُ مَلَكٌ وَشَهِدْتُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ وَاللهِ لَا أُكْثِرُ عَلَيْهِ وَجَعَلَ يَدْعُو قَوْمَهُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُم)[1]"[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: " إِنَّ يَهُودِيّاً كَانَ لَهُ عَلَى رَسُولِ اللهِ دَنَانِيرُ فَتَقَاضَاهُ فَقَالَ لَهُ يَا يَهُودِيُّ مَا عِنْدِي مَا أُعْطِيكَ قَالَ فَإِنِّي لَا أُفَارِقُكَ يَا مُحَمَّدُ حَتَّى تَقْضِيَنِي فَقَالَ إِذاً أَجْلِسَ مَعَكَ فَجَلَسَ مَعَهُ حَتَّى صَلَّى فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ الْآخِرَةَ وَالْغَدَاةَ وَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ يَتَهَدَّدُونَهُ وَيَتَوَاعَدُونَهُ فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله إِلَيْهِمْ فَقَالَ مَا الَّذِي تَصْنَعُونَ بِهِ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ يَهُودِيٌّ يَحْبِسُكَ فَقَالَ صلى الله عليه وآله لَمْ يَبْعَثْنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ بِأَنْ أَظْلِمَ مُعَاهَداً وَلَا غَيْرَهُ فَلَمَّا عَلَا النَّهَارُ قَالَ الْيَهُودِيُّ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَشَطْرُ مَالِي فِي سَبِيلِ اللهِ أَمَا وَاللهِ مَا فَعَلْتُ بِكَ الَّذِي فَعَلْتُ إِلَّا لِأَنْظُرَ إِلَى نَعْتِكَ فِي التَّوْرَاةِ فَإِنِّي قَرَأْتُ فِي التَّوْرَاةِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ وَمُهَاجَرُهُ بِطَيْبَةَ وَلَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَّابٍ وَلَا مُتَزَيِّنٍ [مُتَزَيِّنٍ] بِالْفُحْشِ وَلَا قَوْلِ الْخَنَى وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ وَهَذَا مَالِي فَاحْكُمْ فِيهِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَكَانَ الْيَهُودِيُّ كَثِيرَ الْمَالِ"[3].

القاعدة الثانية: العزم والصبر

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: " مَا أُوذِيَ نَبِيٌّ مِثْلَ مَا أُوذِيت"[4].

إنَّ الشخص الذي يتدبّر في تاريخ قريش، سوف يلاحظ صعوبة العيش معهم بأفكار جديدة تخالف عاداتهم وتقاليدهم، فقريش قبيلة كبيرة لها أسلوبها الخاص في الحياة. فالعادات الجاهلية والسبي والقتل، وعبادة الأوثان هي السائدة، ومع كلّ هذا يخرج الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ويواجه كل هذه التقاليد، التي كانوا يقدّسونها ويعدّونها ميراث الآباء والأجداد فماذا تتوقّع منهم؟

فكان الرد على النبي صلى الله عليه وآله عنيفاً، ولقد ألحقوا به أذىً عظيماً ورموه بشتّى الأكاذيب:

فتارة قالوا عنه ساحر كذّاب فقال تعالى -محاكاة لقولهم-: (وَعَجِبُوا أَنْ جَاءهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ)[5]، وتارة قالوا مجنون: وقال تعالى: (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَا قَالُوا

---

[1] المائدة: ١١.

[2] إعلام الورى بأعلام الهدى: ٧٨-٧٩.

[3] الأمالي، للصدوق: ٤٦٥-٤٦٦.

[4] مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ٣/ ٢٤٧.

[5] ص: ٤.

سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ)[1] وقالوا: إنّه شاعر أو كاهن قال تعالى: **(إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ *فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلاَ مَجْنُونٍ * أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ)**[2]، وغيرها من الأساليب التي ابتدعوها لكي يشوّهوا صورة النبي العظيم ﷺ في نظر الناس.

لقد تعرّض لكلّ أنواع الإرهاب من الإيذاء والتعذيب والاضطهاد والحصار والتهجير والقتل، بكلّ الوسائل المتاحة أمام قريش، مع قسوة القلوب المتحجّرة.

ولكن عزم النبي ﷺ وصبره وثباته على مبدئه أفشل جميع خططهم ومكائدهم، استطاع نتيجة ذلك إقناع كثير من قومه، حتّى دخلوا في الإسلام عندما رأوا صدقه وصلابته على مبدئه، وحرصه على مصلحتهم، وتفانيه في احترامهم، بل دعا لهم ربّه واستغفر لهم. ففي رواية أنَّ الرسول الأعظم ﷺ كان يمسح الدم عن وجهه عندما ضربه المشركون من قومه في يوم أحد على جبهته الشريفة ويقول: "اللهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ"[3].

إنَّ الشيء المهم الذي يعدّ مفتاح النجاح والفلاح في جميع الأهداف، هو الثبات والدوام على النهج الإسلامي القويم، وعدم الملل والكلل؛ لأنَّ أي هدف مهما كان بسيطاً يحتاج إلى الصبر والاستمرار في العمل.

ولو طالعنا النصوص الشريفة لوجدنا هذه الحقيقة بأوضح صورة، ألا وهي أنَّ نتيجة العزم والصبر الظفر:

قال تعالى: **(كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)**[4].

وقال سبحانه: **(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)**[5].

وقال تعالى: **(فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ)**[6].

قال عزوجل: **(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ)**[7].

وقال جل وعلا: **(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ)**[8].

---

[1] الذاريات: ٥٢.

[2] الطور: ٢٨-٣٠.

[3] إعلام الورى بأعلام الهدى: ٨٣.

[4] البقرة: ٢٤٩.

[5] البقرة: ١٥٥.

[6] آل عمران: ١٤٦.

[7] فصلت: ٣٠.

[8] الأحقاف: ١٣.

وقال تعالى: (وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً)[1].

قال سبحانه: (وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ)[2].

وقال جل وعلا: (وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ)[3].

وقال عزوجل: (فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)[4].

وقال جل وعلا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)[5].

وقال عزوجل: (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآَخِرَةِ)[6].

وقال رسول الله ﷺ (حاكياً) عن الله تعالى: (إِذَا وَجَّهْتُ إِلَى عَبْدٍ مِنْ عَبِيدِي مُصِيبَةً فِي بَدَنِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ وَلَدِهِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَ ذَلِكَ بِصَبْرٍ جَمِيلٍ اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ أَنْ أَنْصِبَ لَهُ مِيزَاناً أَوْ أَنْشُرَ لَهُ دِيوَانا)[7].

وقال رسول الله ﷺ: "وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً (إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً)[8]"[9].

وقال الإمام أمير المؤمنين –عليه السلام–: "وَمَنْ رَكِبَ مَرْكَبَ الصَّبْرِ اهْتَدَى إِلَى مِضْمَارِ النَّصْر"[10].

وقال عليه السلام: "الصَّبْرُ يَرْغُمُ الْأَعْدَاءَ"[11].

القاعدة الثالثة: التشاور

إنَّ النبي ﷺ، على الرغم من أن لديه معرفة إلهية، كان يستشير الآخرين، بل وكان يؤكِّد مبدأ الاستشارة في الأمور، وعدم الاستبداد في الرأي، كما نص على ذلك القرآن الكريم، حيث قال تعالى: (وَأَمْرُهُمْ شُورَىَ

---

[1] الجن: ١٦.

[2] إبراهيم: ١٢.

[3] الأنعام: ٣٤.

[4] الأنفال: ٦٦.

[5] محمد: ٧.

[6] إبراهيم: ٢٧.

[7] جامع الأخبار، للشعيري: ١١٦.

[8] الشرح: ٦.

[9] من لا يحضره الفقيه: ٤/ ٤١٣.

[10] كشف الغمة في معرفة الأئمة: ٢/ ٣٤٦.

[11] عيون الحكم والمواعظ: ٢٤.

بَيْنَهُمْ)[1]، وقال عزوجل: **(وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمْر)**[2].

فإنَّ الأمور تكون بالشورى إلَّا فيما ورد فيه النص عن الله عز وجل أو المعصوم عليه السلام، حيث لا يجوز الاجتهاد في قبال النص.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يطبّق الاستشارة بنفسه، كما استشار في قصّة الخندق، وحرب أحد، وغزوة الخندق، وحتى في اللحظات الأخيرة من حياته عندما نزل عليه ملك الموت.

في غزوة بدر

في غزوة بدر الكبرى نزل رسول الله صلى الله عليه وآله بأصحابه ذفران، فأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم؛ ليمنعوا القوافل، وأنَّ قريشاً قد أقبلت لقتاله. فاستشار النبي صلى الله عليه وآله أصحابه في ذلك وأخبرهم عن قريش وخروجهم إليهم.

فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله:" أَشِيرُوا عَلَيَّ، فَقَامَ الْأَوَّلُ فَقَالَ يَا رَسُولَ الله إِنَّهَا قُرَيْشٌ وَخُيَلَاؤُهَا. مَا آمَنَتْ مُنْذُ كَفَرَتْ وَلَا ذَلَّتْ مُنْذُ عَزَّتْ، وَلَمْ تَخْرُجْ عَلَى هَيْئَةِ الْحَرْبِ، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله لَهُ اجْلِسْ فَجَلَسَ قَالَ أَشِيرُوا عَلَيَّ- فَقَامَ الثَّانِي فَقَالَ مِثْلَ مَقَالَةِ الْأَوَّلِ- فَقَالَ صلى الله عليه وآله اجْلِسْ فَجَلَسَ- ثُمَ قَامَ الْمِقْدَادُ فَقَالَ يَا رَسُولَ الله وَإِنَّا قَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ- وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ الله- وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَخُوضَ جَمْرَ الْغَضَا- وَشَوْكَ الهراس[3] **خُضْنَا مَعَكَ وَلَا نَقُولُ لَكَ مَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى {فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ)**[4] **وَلَكِنَّا نَقُولُ امْضِ لِأَمْرِ رَبِّكَ فَإِنَّا مَعَكَ مُقَاتِلُونَ فَجَزَاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله خَيْراً- ثُمَّ جَلَسَ ثُمَّ قَالَ أَشِيرُوا عَلَيَّ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله كَأَنَّكَ أَرَدْتَنَا قَالَ نَعَمْ- قَالَ فَلَعَلَّكَ خَرَجْتَ عَلَى أَمْرٍ قَدْ أُمِرْتَ بِغَيْرِهِ قَالَ نَعَمْ- قَالَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله إِنَّا قَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ- وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ الله- فَمُرْنَا بِمَا شِئْتَ وَخُذْ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا شِئْتَ- وَاتْرُكْ مِنْهُ مَا شِئْتَ- وَالَّذِي أَخَذْتَ مِنْهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي تَرَكْتَ مِنْهُ، وَالله لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَخُوضَ هَذَا الْبَحْرَ لَخُضْنَاهُ مَعَكَ، فَجَزَاهُ خَيْراً- ثُمَّ قَالَ سَعْدٌ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله وَالله مَا خُضْتُ هَذَا الطَّرِيقَ قَطُّ وَمَا لِي بِهِ عِلْمٌ- وَقَدْ خَلَّفْنَا بِالْمَدِينَةِ قَوْماً لَيْسَ نَحْنُ بِأَشَدَّ جِهَاداً لَكَ مِنْهُمْ- وَلَوْ عَلِمُوا أَنَّهُ الْحَرْبُ لَمَا تَخَلَّفُوا- وَلَكِنْ نُعِدُّ لَكَ الرَّوَاحِلَ وَنَلْقَى عَدُوَّنَا- فَإِنَّا نَصْبِرُ عِنْدَ اللِّقَاءِ، أَنْجَادٌ فِي الْحَرْبِ وَإِنَّا لَنَرْجُو أَنْ يُقِرَّ الله عَيْنَكَ بِنَا- فَإِنْ يَكُ مَا تُحِبُّ فَهُوَ ذَلِكَ- وَإِنْ يَكُنْ غَيْرَ ذَلِكَ قَعَدْتَ عَلَى رَوَاحِلِكَ- فَلَحِقْتَ بِقَوْمِنَا، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله أَوْ يُحْدِثُ الله غَيْرَ ذَلِكَ، كَأَنِّي بِمَصْرَعِ فُلَانٍ هَاهُنَا وَبِمَصْرَعِ فُلَانٍ هَاهُنَا- وَبِمَصْرَعِ أَبِي جَهْلٍ**

---

[1] الشورى: ٣٨.

[2] آل عمران: ١٥٩.

[3] الهَراسُ، بالفتح: شجر كبير الشوك، لسان العرب: ٦/ ٢٤٧.

[4] المائدة: ٢٤.

وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَمنية [مُنَبِّهٍ] وَبنية [نَبِيهٍ] ابْنَيِ الْحَجَّاجِ فَإِنَّ اللهَ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ- وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ الْمِيعَادَ، فَنَزَلَ جَبْرَئِيلُ عليه السلام عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله بِهَذِهِ الْآيَةِ (كَما أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ إِلَى قَوْلِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ)[1]))[2].

في غزوة أحد

ولما علم رسول الله صلى الله عليه وآله بأنَّ قريشًا قد اجتمعت لحربه في غزوة أحد، جمع أصحابه يستشيرهم في مواجهة المشركين، فقَالَ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله: " أَشِيرُوا عَلَيَّ! وَرَأَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ(وآله) وَسَلَّمَ أَلّا يَخْرُجَ مِنْ الْمَدِينَةِ لِهَذِهِ الرّؤْيَا، فَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله يُحِبّ أَنْ يُوَافِقَ عَلَى مِثْلِ مَا رَأَى وَعَلَى مَا عَبّرَ عَلَيْهِ الرّؤْيَا. فَقَامَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كُنّا نقاتل في الجاهليّة فيها، ونجعل النّسَاءَ وَالذّرَارِيّ فِي هَذِهِ الصّيَاصِي، وَنَجْعَلُ مَعَهُمْ الْحِجَارَةَ. وَاَللهِ، لَرُبّمَا مَكَثَ الْوِلْدَانُ شَهْرًا يَنْقُلُونَ الْحِجَارَةَ إعْدَادًا لِعَدُوّنَا، وَنَشْبِكُ الْمَدِينَةَ بِالْبُنْيَانِ فَتَكُونُ كَالْحِصْنِ مِنْ كُلّ نَاحِيَةٍ، وَتَرْمِي الْمَرْأَةُ وَالصّبِيّ مِنْ فَوْقِ الصّيَاصِي وَالْآطَامِ، وَنُقَاتِلُ بِأَسْيَافِنَا فِي السّكَكِ. يَا رَسُولَ اللهِ، إنّ مَدِينَتَنَا عَذْرَاءُ مَا فُضّتْ عَلَيْنَا قَطّ، وَمَا خَرَجْنَا إلَى عَدُوّ قَطّ إلّا أَصَابَ مِنّا، وَمَا دَخَلَ عَلَيْنَا قَطّ إلّا أَصَبْنَاهُ، فَدَعْهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنّهُمْ إنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرّ مَحْبِسٍ، وَإِنْ رَجَعُوا رَجَعُوا خَائِبِينَ مَغْلُوبِينَ، لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا. يَا رَسُولَ اللهِ، أَطِعْنِي فِي هَذَا الْأَمْرِ وَاعْلَمْ أَنّي وَرِثْت هَذَا الرّأْيَ مِنْ أَكَابِرِ قَوْمِي وَأَهْلِ الرّأْيِ مِنْهُمْ، فَهُمْ كَانُوا أَهْلَ الْحَرْبِ وَالتّجْرِبَةِ.

وَكَانَ رَأْيُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله مَعَ رَأْيِ ابْنِ أُبَيّ، وَكَانَ ذَلِكَ رَأْيَ الْأَكَابِرِ مِنْ أَصْحَابِ رسول الله صلى الله عليه وآله من الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله:

امكثوا فِي الْمَدِينَةِ، وَاجْعَلُوا النّسَاءَ وَالذّرَارِيّ فِي الْآطَامِ، فَإِنْ دَخَلُوا عَلَيْنَا قَاتَلْنَاهُمْ فِي الْأَزِقّةِ، فَنَحْنُ أَعْلَمُ بِهَا مِنْهُمْ، وَارْمُوا مِنْ فَوْقِ الصّيَاصِي وَالْآطَامِ.

فَكَانُوا قَدْ شَبّكُوا الْمَدِينَةَ بِالْبُنْيَانِ مِنْ كُلّ نَاحِيَةٍ فَهِيَ كَالْحِصْنِ. فَقَالَ فِتْيَانٌ أَحْدَاثٌ لَمْ يَشْهَدُوا بَدْرًا، وَطَلَبُوا مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله الْخُرُوجَ إلَى عَدُوّهِمْ، وَرَغِبُوا فِي الشّهَادَةِ، وَأَحَبّوا لِقَاءَ الْعَدُوّ: أُخْرُجْ بِنَا إلَى عَدُوّنَا! وَقَالَ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ السّنّ وَأَهْلِ النّيّةِ، مِنْهُمْ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ، وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَالنّعْمَانُ بْنُ مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، فِي غَيْرِهِمْ مِنْ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ:

إنّا نَخْشَى يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ يَظُنّ عَدُوّنَا أَنّا كَرِهْنَا الْخُرُوجَ إلَيْهِمْ جُبْنًا عَنْ لِقَائِهِمْ، فَيَكُونُ هَذَا جُرْأَةً مِنْهُمْ

---

[1] الأنفال: ٥-٨.

[2] تفسير القمي: ١/ ٢٥٨-٢٥٩.

عَلَيْنَا.

وَقَدْ كنت يوم بدر في ثلاثمائة رَجُلٍ فَظَفّرَك اللهُ عَلَيْهِمْ، وَنَحْنُ الْيَوْمَ بَشَرٌ كثير، وقد كُنّا نَتَمَنّى هَذَا الْيَوْمَ وَنَدْعُو اللهَ بِهِ، فَقَدْ سَاقَهُ اللهُ إلَيْنَا فِي سَاحَتِنَا. وَرَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ (وآله) وَسَلَّمَ لِمَا يَرَى مِنْ إلْحَاحِهِمْ كَارِهٌ، وَقَدْ لَبِسُوا السّلَاحَ يَخْطِرُونَ بِسُيُوفِهِمْ، يَتَسَامَوْنَ كَأَنّهُمْ الْفُحُولُ. وَقَالَ مَالِكُ بْنُ سِنَانٍ أَبُو أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ: يَا رَسُولَ الله، نحن والله بين إحدى الحسنين- إمّا يُظَفّرُنَا اللهُ بِهِمْ فَهَذَا الّذِي نُرِيدُ، فَيُذِلُهُمْ اللهُ لَنَا فَتَكُونُ هَذِهِ وَقْعَةً مَعَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ إلّا الشّرِيدُ، وَالْأُخْرَى يَا رَسُولَ الله، يَرْزُقُنَا اللهُ الشّهَادَةَ، وَاَللهِ يَا رَسُولَ الله، مَا أُبَالِي أَيّهُمَا كَانَ، إنّ كُلّا لَفِيهِ الْخَيْرُ! فَلَمْ يَبْلُغْنَا أَنّ النّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ (وآله) وَسَلَّمَ رَجَعَ إلَيْهِ قَوْلًا، وَسَكَتَ. فَقَالَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وَاَلّذِي أَنْزَلَ عَلَيْك الْكِتَابَ، لَا أَطْعَمُ الْيَوْمَ طَعَامًا حَتّى أُجَالِدَهُمْ بِسَيْفِي خَارِجًا مِنْ الْمَدِينَةِ"[1].

وكان هذا رأي الأكثرية، فعزم رسول الله ﷺ على الخروج، فصلى بالناس الجمعة ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد، وأخبر أن لهم النصر ما صبروا وأمرهم بالتهيّؤ لعدوّهم ففرح الناس بذلك. ثم صلى ﷺ بالناس العصر وقد تحشدوا، وحضر أهل العوالي واصطف الناس ينتظرون خروجه، فلبس ﷺ السلاح وخرج.

في غزوة الخندق

لما خرجت قريش في حرب الأحزاب وقائدهم أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن في بني قرارة، والحارث بن عوف في بني مرة، ومسعر بن دخيلة فيمن تابعه من قومه من أشجع، وتوجهوا في عشرة آلاف، وقيل: في ثمانية عشر ألف رجل نحو المدينة، وسمع رسول الله ﷺ بتجمع الأحزاب وسيرهم نحو المدينة المنورة استشار أصحابه، فكان رأيهم على المقام في المدينة وحرب القوم إن جاءوا إليهم على أنقابها. فأشار سلمان الفارسي بالخندق واستحسنه القوم، ونزل جبرئيل على رسول الله ﷺ بصواب رأي سلمان. فخرج رسول الله ﷺ فحدد حفر الخندق من ناحية أُحد إلى راتج، حيث كان سائر أنحاء المدينة مشبك بالنخيل والبنيان، وخط موضع الحفر بخط على الأرض، فضرب الخندق على المدينة فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر، فحفر بنفسه في موضع المهاجرين وعلي ﷺ ينقل التراب من الحفرة حتى عرق رسول الله ﷺ وعيا، وقال: (**لَا عَيْشَ إلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ- اللهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِين**)[2].

إنَّ درس الشورى يأبى الغياب بين فصل وآخر من فصول سيرة الرسول.

---

[1] المغازي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي(ت: ٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي – بيروت الثالثة – ١٤٠٩/ ١٩٨٩: ١/ ٢٠٩-٢١١.

[2] تفسير القمي: ٢/ ١٧٧.

إنَّ الشورى ثمرة نضيجة من ثمرات الدعوة الإسلامية، نراها ماثلة حيّة في أحداث السيرة في ظلال النبوة وتحت قبّة الوحي وبين يدي الرسول الصادق المصدوق، لتتوكد فريضة الشورى- تلك الفريضة الغائبة المجهولة في نفوس المسلمين والمتمسلمين، حكّامًا ومحكومين، ولنعرف أنَّ جو الاستبداد ضَيّقٌ لا يتّسع، ووهَمٌ لا ينفرج، والجور والعسف لا يصنع عقولاً إنَّما يصنع أقفية.

ملكاً رسولاً أم عبداً رسولاً؟

استشار رسول الله ﷺ جبرئيل عندما نزل عليه ملك. وهو إسرافيل حسب بعض الرّوايات[1]. وقال: **" إِنَّ اللهَ عَزَّ وَ جَلَّ يُخَيِّرُكَ أَنْ تَكُونَ عَبْداً رَسُولًا مُتَوَاضِعاً أَوْ مَلِكاً رَسُولًا قَالَ فَنَظَرَ إِلَى جَبْرَئِيلَ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ أَنْ تَوَاضَعْ فَقَالَ عَبْداً مُتَوَاضِعاً رَسُولا"**[2].

وحتى في اللحظات الأخيرة

في الحديث: "أنّه لما استأذن عزرائيل على رسول الله ﷺ ودخل بيت فاطمة عليها السلام وقال: السلام عليكَ يا رسول الله وعلى أهل بيتك.

قال لـه رسول الله ﷺ: وعليك السلام يا ملك الموت.

قال عزرائيل: **" أَنَا مَلَكُ الْمَوْتِ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ يُخَيِّرُكَ بَيْنَ لِقَائِهِ وَالرُّجُوعِ إِلَى الدُّنْيَا فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ فَأَمْهِلْنِي حَتَّى يَنْزِلَ جَبْرَئِيلُ فَأَسْتَشِيرَهُ وَنَزَلَ جَبْرَئِيلُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ: (الْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولى وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى)**[3]"[4].

هناك روايات كثيرة للرسول ﷺ في الاستشارة تبين أنَّ الاستشارة باب مهم من أبواب النجاح:

قال رسول الله ﷺ: **"مَا تَشَاوَرَ قَوْمٌ إِلَّا هُدُوا إِلَى رُشْدِهِمْ"**[5].

وقال ﷺ: **"من أراد أمراً فشاور فيه وقضى هُدي لأرشد الأمور"**[6].

وقال ﷺ وهو يوصي أمير المؤمنين عليه السلام عندما بعثه إلى اليمن: **"يَا عَلِيُّ، مَا حَارَ مَنِ اسْتَخَارَ، وَلَا نَدِمَ مَنِ اسْتَشَارَ"**[7].

---

[1] انظر: بحار الأنوار: ١٦/ ٢٩٢. وتفسير القمي: ٢/ ٢٧.

[2] الكافي: ٢/ ١٢٢.

[3] الضحى: ٤-٥.

[4] بحار الأنوار: ٢٢/ ٥٣٣.

[5] تحف العقول: ٢٣٣.

[6] الدر المنثور:ص١٠٦.

[7] الأمالي، للطوسي: ١٣٦.

وقال ﷺ: **"شاوروا العلماء الصالحين، فإذا عزمتم على إمضاء ذلك فتوكلوا على الله"**[1].

وقال ﷺ: **" اسْتَرْشِدُوا الْعَاقِلَ، وَلَا تَعْصُوهُ فَتَنْدَمُوا"**[2] إنَّ التشاور مع النبي جعلهم أقرب إلى النبي، وزادوا من صلاتهم العاطفية، وعزّزوا روح التضامن في المجتمع. حتى أنَّها جعلت الشخصية المسلمة تشعر بأنَّها أقوى.

إذا أردنا تحقيق أهدافنا، يجب أن نعمل جنبًا إلى جنب مع التشاور والأخلاق الطيبة والمثابرة للاستفادة من هذه القواعد الثلاث المهمّة.

---

[1] تفسير التستري: ص٢٨.

[2] م. ن: ١٥٣.

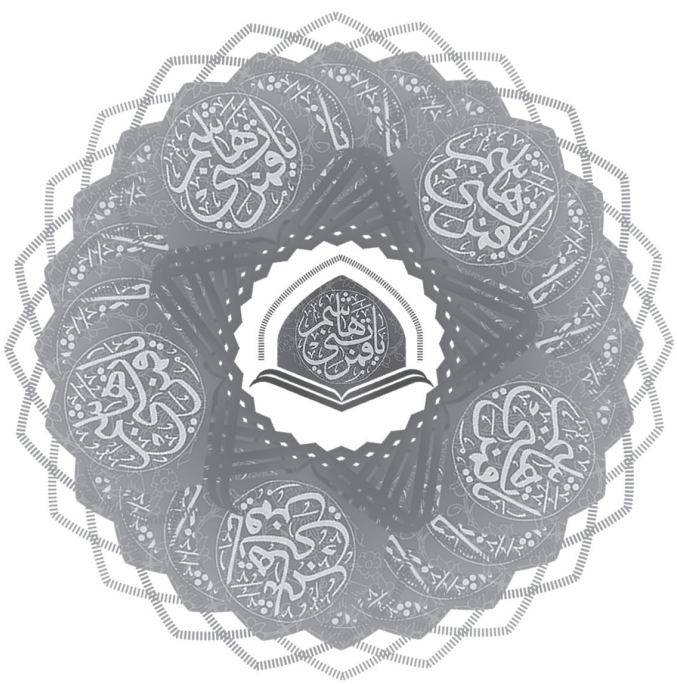

شهر شعبان

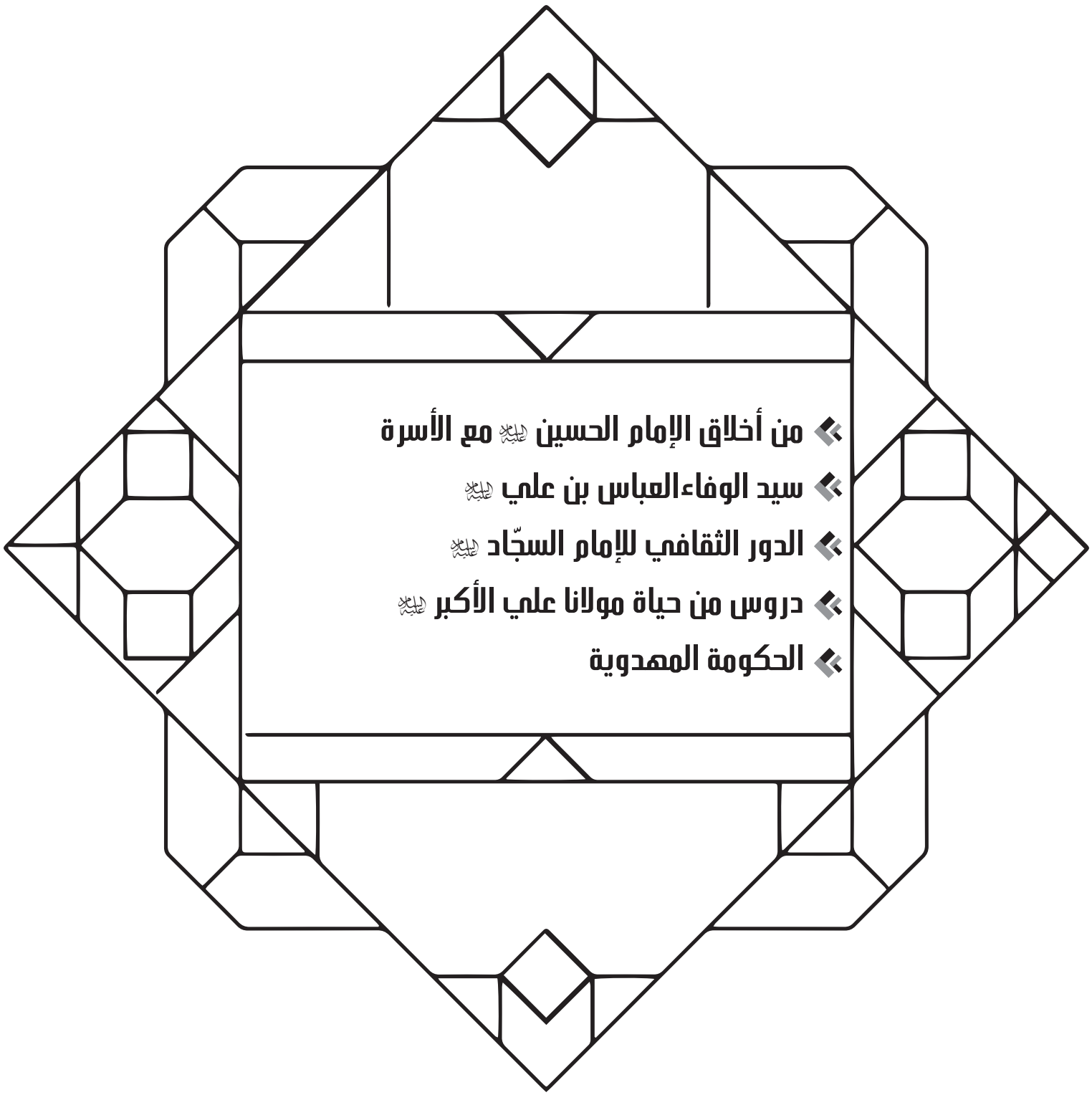
من أخلاق الإمام الحسين عليه السلام مع الأسرة
سيد الوفاء العباس بن علي عليه السلام
الدور الثقافي للإمام السجّاد عليه السلام
دروس من حياة مولانا علي الأكبر عليه السلام
الحكومة المهدوية

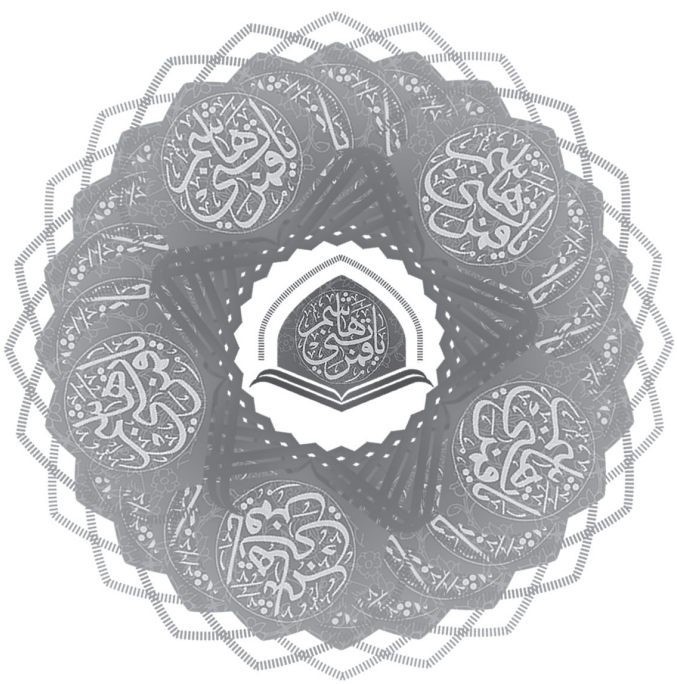

من أخلاق الإمام الحسين عليه السلام مع الأسرة

الشيخ فاضل البغدادي

إنَّ إمامة الأئمة في الحياة الاجتماعية وكذلك سلوكهم العائلي هي أنموذج يحتوي على العديد من التطبيقات في نمط الحياة اليوم، وعلى الرّغم من إنَّنا نولي المزيد من الاهتمام لأحداث السّنوات الأخيرة من حياته-صلوات الله عليه-، ولاسيما واقعة كربلاء ومحنة يوم عاشوراء، ولكن أخلاقيات سيّد الشهداء عليه السلام مع أسرته أيضاً أفضل مثال للعوائل التي تريد حياة سعيدة مطمئنّة.

صور حسينيّة:

الصّورة الأولى: كان الإمام على أعلى مستوى من الاحترام لأبنائه وزوجاته، فقد أعطاهم رعاية خاصة، وبالمقابل كانوا شديدي الاهتمام بسيّد الشهداء عليه السلام، وعلى سبيل المثال السّيّدة رباب عليها السلام [1]، كانت مهتمّة بشدّة بالإمام الحسين عليه السلام فقد رافقت الإمام في رحلة كربلاء، وبعد شهادته أظهرت ولاءها ومحبّتها وحزنها على الإمام الحسين عليه السلام إظهارًا قلَّ نظيره. وقالت في رثاء الحسين عليه السلام أيضًا:

إنَّ الــذي كَان نوراً يُستَضَاءُ بِهِ ... بِكَــربلاءَ قتيلٌ غَير مَــدفونِ

سِبطَ النَّبي جزاكَ اللهُ صــالحةً ... عَنَّا وجُنِّبتَ خُسرَانَ المَــوازينِ

قَد كنتَ لِي جَبَلاً صعباً ألوذُ بِهِ ... وكنتَ تَصحبُنَا بالرَّحمِ والدِّينِ

مَــن لِليتَامَى وَمَن للسَّائلينَ ... يُغنِي ويُؤوِي إِليهِ كُــلَّ مِسكينِ

واللهِ لا أبتغِي صِهراً بِصِهْرِكُمُ ... حتَّى أُغَيَّبُ بين الرَّمــلِ والطينِ [2]

وفي تذكرة الخواص: أنَّها أخذت الرأس الشريف ووضعته في حجرها، وقَبَّلَتْهُ وقالت[3]:

وَاحُسَيناً فَلا نسيتُ حُسيناً* أَقْصَدَتْهُ أَسِنَّةُ الأعــدَاءِ

---

[1] الرَّباب بنتُ امرئ القيس بن عديّ بن أوس بن جابر بن كعب بن عُليم، وهي أمُّ سُكَينة بنتِ الحسين، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، سبط ابن الجوزي(ت٥٨١ – ٦٥٤هـ)، دار الرسالة العالمية، دمشق – سوريا، الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م: ٨/ ١٨٢.

[2] الأغاني: ١٦/ ١٥٠.

[3] تذكرة الخواص: ٢٦٥.

غَادَرُوهُ بِكربلاءَ صَريعاً * لا سَقَى اللهُ جَانِبَيْ كَربلاءِ

وكان قد خطبها بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام خلق كثير من الأشراف، فقالت: ما كنت لأتخذ حَمْواً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فوالله لا يؤويني ورجلاً بعد الحسين عليه السلام سقفٌ أبداً[1].

الصورة الثانية: الإشراك في الأدوار العظيمة

ينبغي أن يكون دور الأب دور الصانع لشخصيات في عائلته ومن يعول، ولذلك استطاع الإمام الحسين عليه السلام أن يشركهم في هذا الدور العظيم، فقد تمكَّنت عائلة الإمام الحسين من أن تكون رسولًا لحادث كربلاء، وفي الكوفة وبلاد الشام والمدينة والطريق لوحدها، كانت كافية لتعريف أنفسهم وقداسة الدم الذي سفك في كربلاء، وحقارة وضِعَة أعداء أهل البيت عليهم السلام.

ذروة حبّ العائلة للإمام الحسين عليه السلام يمكن فهمها من كلمة «جون» من غلام أبي ذر، فقد كان عبداً أسود، وهدية أبي ذر للإمام الحسين عليه السلام عندما تركه الرسول صلى الله عليه وآله ليذهب ويعيش ويبكي بدلاً من أن يكون سعيداً بحرّيّته وقال: ((أقسم بالله أنَّني لن أتركك))[2].

عندما يكون هذا هو الحال مع العبد الذي يريد الحرّيّة دائمًا، تكون حسابات الآخرين وحبّهم للإمام واضحة، تماماً مثلما خرج عبد الله بن الحسن، وهو مراهق، من الخيمة للدفاع عن عمّه، وعندما رفع يده للدفاع عن الإمام وقطعت يده.

ويمكن إجمال فوائد مرافقة الأسرة للإمام:

١. من المؤكّد أنَّه إذا ذهب الإمام إلى الكوفة دون سبعين أو مائة أو خمسمائة رجل بدون زوجة وأولاد ولكن مع سبعين أو مائة وخمسمائة رجل حرب، يمكن بسهولة تسميتهم بالمتمرّدين والمفسدين والغرباء، وما إلى ذلك في اللقاء الأوّل. وخارج الكوفة، سيقتلون كغرباء، ولن يبقى أي أثر لهم في ذلك اليوم أو أي يوم في التاريخ.

٢. من غير المرجح أن تغزو حكومة مكّة المكرّمة أو المدينة المنورة مكّة أو المدينة، كقهر، وترتكب أي جريمة بشعة ضدّ زوجة وأمام الإمام كدرس للآخرين، كما فعلوا في حالة حراء مع المدينة المنوّرة.

٣. إظهار القوّة الرّوحية للإمام، الذي، حتى في خضمّ الحرب، ضغط العدو، والإصابات الكبيرة،

---

[1] ينظر: البداية والنهاية: ١١/ ٥٩٥.

[2] كلمات العلامة الحسين ، ٤٥٢.

والعطش، وما إلى ذلك، لا يهمل زوجته وأطفاله، وهذا يمثّل الارتفاع والكمال الروحي للإمام، الذي يجب أن يظهر في مثل هذه المشاهد.

غالبًا ما يُرى أنَّه في الحوادث وما إلى ذلك، يهمل المرء أسرته وأطفاله، وفي كلّ الأوقات يتركّز ذهنه كلّه على نفسه وعلى خلاصه، وأحيانًا، حتى عن طريق تدميرهم بمفرده، يبحث عن طريقته الخاصّة في الخلاص. على العكس من ذلك، حتى في اللحظة الأخيرة، كما يظهر في كلمات الإمام الحسين ﷺ، وصل إلى ذروة معنوياته:

أنا الحسين بن علي آلـــيت أن لا أنثنـــي

أحمـي عيالات أبي أمضي على دين النبي[1]

٤. تعليم الناس أنَّ الدّفاع عن القرآن الكريم والإسلام والمعتقدات هدف للرجال والنساء، وأنَّ أي شخص يمكن أن يؤدّي دوره في هذا المسعى الهام.

٥. تقديم الوجه الحقيقي للعدو، الذي يستخدم حتَّى أكثر الطّرق جبانة لتولّي المنصب، ويفضح النساء والأطفال الذين يتمتّعون بالحصانة من العدوان والذين لا يجب مضايقتهم أو حرمانهم من الحرب بأكثر الطرق قسوة. حتى قاموا باضطهادهم ومنعوا عنهم الماء.

الصورة الثالثة: زوجات الإمام الحسين ﷺ

السيّدة شاه زنان﵀ بنت كسرى

هي السيدة الجليلة: شهربانويه بنت يزدجر بن شهريار بن كسرى ملك الفرس، ولقبها: (شاه زنان) أي ملكة النساء.

سمّاها أمير المؤمنين ﷺ: (مريم)، وقيل: سمّاها بـ(فاطمة)، وقيل: إنّ اسمها (خولة) وسمّاها أمير المؤمنين ﷺ بـ(شاه زنان)، ولعلَّها كانت لها عدة أسماء وألقاب[2].

فهي حفيدة كسرى الملك الذي لقّب بالعادل حيث قال فيه النبي ﷺ: **"وُلِدْتُ فِي زَمَانِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ الصَّالِحِ"**[3]، والمراد بذلك هو عدالته في دينه ومبدئه، أو عدالته النسبية كما لا يخفى.

وقد تزوّجت (شاه زنان) الإمام الحسين ﷺ وولدت لـه الإمام زين العابدين﵀، وهي جدّة الأئمّة ﷺ.

نقل أبو جعفر محمّد بن جرير بن رستم الطبري: **" لمّا ورد سبي الفرس الى المدينة أراد عمر بن الخطّاب بيع**

---

[1] مناقب آل أبي طالب﵀: ٤/ ١١٠.

[2] م.ن: ٤/ ١٧٦.

[3] إعلام الورى بأعلام الهدى: ٥.

النساء وأن يجعل الرجال عبيدًا. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد قال: «أكرموا كريم كلّ قوم» فقال عمر: قد سمعته يقول: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه وإن خالفكم» فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: هؤلاء قوم قد ألقوا إليكم السلم ورغبوا في الإسلام، ولا بُدّ من أن يكون لي منهم ذرّيّة، وأنا أشهد الله وأشهدكم أنّي قد عتقت نصيبي منهم لوجه الله تعالى. فقال جميع بني هاشم: قد وهبنا حقّنا أيضًا لك. فقال: اللهمّ اشهد أنّي قد عتقت ما وهبوني لوجه الله. فقال المهاجرون والأنصار: وقد وهبنا حقّنا لك يا أخا رسول الله. فقال: اشهد أنّهم قد وهبوا لي حقّهم وقبلته، واشهدك أنّي قد عتقتهم لوجهك. فقال عمر: لم نقضت عليّ عزمي في الأعاجم؟ وما الذي رغّبك عن رأيي فيهم؟ فأعاد عليه ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله في إكرام الكرماء. فقال عمر: فقد وهبت لله ولك يا أبا الحسن ما يخصّني وسائر ما لم يوهب لك. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: اللهمّ اشهد على ما قالوه وعلى عتقي إيّاهم.

فرغب جماعة من قريش في أن يستنكحوا النساء، فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

هؤلاء لا يكرهن على ذلك ولكن يخيّرن فما اخترنه عمل به.

فأشار جماعة الى شهربانويه بنت كسرى، فخيّرت وخوطبت من وراء حجاب والجمع حضور، فقيل لها: من تختارين من خطّابك؟ وهل أنت ممّن تريدين بعلا؟ فسكتت. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قد أرادت وبقي الاختيار.

فقال عمر: وما علمك بإرادتها البعل؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا أتته كريمة قوم لا وليّ لها وقد خطبت يأمر أن يقال لها: أنت راضية بالبعل، فإن استحيت وسكتت جعل إذنها صماتها وأمر بتزويجها، فإن قالت «لا» لم تكره على ما تختاره. وإنّ شهربانويه اريت الخطّاب فأومت بيدها فاختارت الحسين بن عليّ عليهما السّلام، فأعيد القول عليها في التخيير فأشارت بيدها وقالت بلغتها: هذا إن كنت مخيّرة، وجعلت أمير المؤمنين وليّها. وتكلّم حذيفة بالخطبة.

فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: ما اسمك؟ قالت: شاه زنان بنت كسرى.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: أنت شهربانويه، واختك مروارید بنت كسرى. قالت: آريه[1]"[2].

وقال المبرد: "كَانَ اسْمُ أُمِّ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام سُلَافَةَ مِنْ وُلْدِ يَزْدَجَرْدَ مَعْرُوفَةَ النَّسَبِ مِنْ خَيْرَاتِ النِّسَاءِ وَقِيلَ خَوْلَةَ. لَقَبُهُ ذُو الثَّفِنَاتِ لُقِّبَ بِهِ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ طُولِ سُجُودِهِ وَشِدَّةِ عِبَادَتِهِ يَخْفَى غُضُونُ جَبْهَتِهِ فَتَصِيرُ ثَفِنَاتٍ فَيَقُصُّهَا إِذَا طَالَتْ لِتَسْتَقِرَّ جَبْهَتُهُ عَلَى الْأَرْضِ فِي سُجُودِهِ وَالْخَالِصُ وَالزَّاهِدُ وَالْخَاشِعُ وَالْبُكَاءُ وَالْمُتَهَجِّدُ وَالرَّهْبَانِيُّ

---

[1] أي نعم.

[2] الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم: ٥٧٧-٥٧٨.

وَزَيْنُ الْعَابِدِينَ وَسَيِّدُ الْعَابِدِينَ وَالسَّجَّادُ. كُنْيَتُهُ أَبُو مُحَمَّدٍ وَأَبُو الْحَسَنِ بَوَّابُهُ يَحْيَى ابْنُ أُمِّ الطَّوِيلِ الْمَدْفُونُ بِوَاسِطٍ قَتَلَهُ الْحَجَّاجُ لَعَنَهُ اللهُ"[1].

ما حفظت عن أبيك؟

سأل أمير المؤمنين عليه السلام شاه زنان بنت كسرى حين أسرت: "مَا حَفِظْتِ عَنْ أَبِيكِ بَعْدَ وَقْعَةِ الْفِيلِ. قَالَتْ حَفِظْنَا عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ إِذَا غَلَبَ اللهُ عَلَى أَمْرٍ ذَلَّتِ الْمَطَامِعُ دُونَهُ وَإِذَا انْقَضَتِ الْمُدَّةُ كَانَ الْحَتْفُ فِي الْحِيلَةِ. فَقَالَ عليه السلام مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ أَبُوكِ تَذِلُّ الْأُمُورُ لِلْمَقَادِيرِ حَتَّى يَكُونَ الْحَتْفُ فِي التَّدْبِيرِ"[2].

المولود المبارك

حملت السيدة شاه زنان بالإمام علي بن الحسين عليه السلام وكان مولده عليه السلام سنة ثمان وثلاثين من الهجرة، وقد أنشأ أبو الأسود: في وصف الإمام علي بن الحسين عليه السلام فقال[3]:

وإنّ غلاماً بين كسرى وهاشم لأكرم من نيطت عليه التمائم

عاش الإمام عليه السلام مع جدّه أمير المؤمنين عليه السلام سنتين، ومع عمّه الإمام الحسن عليه السلام اثنتي عشرة سنة، ومع أبيه عليه السلام ثلاثاً وعشرين سنة، وقد عاش بعد أبيه أربعاً وثلاثين سنة.

وتوفّي بالسم في المدينة المنوّرة سنة خمس وتسعين من الهجرة، وله يومئذ سبع وخمسون سنة. وكانت إمامته أربعاً وثلاثين سنة، ودفن في البقيع مع عمّه الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام[4].

وفاتها

قيل: إنَّ السيدة (شهربانو) ماتت في نفاسها، أي حين ولادتها للإمام زين العابدين عليه السلام فكفلته بعض أُمّهات ولد أبيه، فكان يحسن إليها كما يحسن إلى والدته، وكان الناس يسمّونها أُمّه.

وعلى هذا الخبر فلم تكن (السيدة شهربانو) حاضرة يوم الطف، ولكن في بعض التواريخ أنَّ امرأة تسمى بشهربانو كانت حاضرة يوم عاشوراء، حيث ورد: "وخرج غلام من تلك الأبنية وفي أذنيه درّتان، وهو مذعور فجعل يلتفت يمينًا وشمالاً، فحمل عليه هانئ بن ثبيت لعنه الله، فقتله، فصارت شهربانو تنظر إليه ولا تتكلّم

---

[1] العدد القوية لدفع المخاوف اليومية: ٥٨.

[2] الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ١/ ٣٠٢.

[3] مناقب آل أبي طالب عليه السلام: ٤/ ١٦٧.

[4] إعلام الورى بأعلام الهدى: ١/ ٤٨١.

كالمدهوشة"[1].

٢ ـ ليلى بنت أبي مرة

وهي ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي[2]، وأمّها ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية، وتكنى (أم شيبة). وقد ولدت للإمام الحسين عليه السلام ولده عليًّا الأكبر عليه السلام الشهيد في كربلاء[3].

٣ ـ الرباب بنت امرئ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن جناب الكلبي القضاعي من أهل الشام[4]، زوجة الإمام الحسين عليه السلام وأم سكينة وعبد الله الرضيع. أدركت واقعة الطف، وسارت مع ركب سبايا كربلاء إلى الشام، كانت الرباب من خيار النساء أدباً وعقلاً، وقد ورد أنَّها توفّيت إثر معركة كربلاء، وذلك لِمَا رأته من مصائب مؤلمة من أحداثها، كما لها شعر في واقعة كربلاء أيضاً. أسلم أبوها في خلافة عمر وكان نصرانيًّا من عرب الشام[5]، وأمّها هند الهنود بنت الربيع بن مسعود بن مصاد بن حصن بن كعب بن عليم بن جناب[6].

كان للإمام الحسين عليه السلام ولدان من الرباب، سكينة وعبد الله[7] الذي استشهد رضيعاً يوم عاشوراء في حجر أبيه[8].

منزلة الرباب عند الإمام

إنَّ هذه المرأة بلغت من المرتبة الى أنَّ الإمام الحسين عليه السلام كان يصرّح بمكانتها ويقول:

لَـــعَمرِكَ إنَّني لأُحِبُّ دَاراً ... تحِـــلُّ بِها سكينة والربَابُ
أُحبُّهُمَا وأبذل جُلَّ مـــالِي ... وَليس لِلائِمِي فيها عِتابُ
وَلَستُ لَهُم وإن عَتَبُوا مُطِيعاً ... حَيـــاتِي أو يُعَلِّينِي الترَابُ

وفي هذه الأبيات يمكن أن نعرف ونفهم بعض القضايا المهمة في كيفية التعامل بين الزّوجين:

مدح الزوجة وإظهار العواطف: من المعروف أنَّ الرجل لا يظهر كثيرًا عواطفه تجاه المرأة عموماً، وتجاه

---

[1] تسلية المجالس وزينة المجالس: ٢/ ٣١٣. بحار الأنوار: ٤٥/ ٤٥-٤٦.

[2] نسب قريش: ١/ ٥٧.

[3] الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ٢/ ١٠٦. تذكرة الخواص: ١/ ٥٣٢.

[4] نسب قريش: ١/ ٥٩. تذكرة الخواص: ١/ ٥٤٤.

[5] المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ٧/ ١٧٥.

[6] مقاتل الطالبيين: ١/ ٩٤.

[7] نسب قريش: ١/ ٥٩.

[8] البداية والنهاية: ٨/ ٢٢٨.

الزوجة بشكل خاص. فإذا كان يظهر عواطف جياشة أمامها فإنَّ ذلك يعني أنَّه يعشقها؛ لذلك من الأخلاق الكريمة للزوج مدح زوجته وبناته، ولو علناً فهذا مما يخلق أسرة كريمة.

أهمّيّة إعلان الحب للزوجة والبنات: فقد أشارت دراسة إلى أنَّ قول الزّوج لزوجته «أنا أحبّك» يدلّ على كثير من الاحترام، وإظهار المشاعر تجاهها، فهناك رجال يتوقّفون تماماً عن ترديد هذه العبارة بعد مرور وقت على الزواج. فإذا كان الزوج لا يستحي من ترديد ذلك في كلِّ مرّة لزم فيه الأمر فإنّه حتماً يحبّها.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: **" قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله قَوْلُ الرَّجُلِ لِلْمَرْأَةِ إِنِّي أُحِبُّكِ لَا يَذْهَبُ مِنْ قَلْبِهَا أَبَداً"**[1].

المعاملة بمنتهى الاحترام: عندما يكون الرجل محبًّا لزوجته، فإنَّه يعتني بكلِّ التفاصيل المتعلقة بالتعامل معها، ويأتي على رأسها الاحترام. وعلى المرأة أن تلاحظ ما إذا كان يعطي قيمة لآرائها، ويمدح شخصيتها، ويعطي أهمّيّة لتفهم تصرّفاتها الشخصية.

تقديم وسائل الراحة قدر الإمكان: لقد أولى الإمام الحسين عليه السلام اهتمامًا خاصًا لرغبة زوجته، وفي بعض الأحيان وجّه انتقادات إلى أصحابه، فقد كان الإمام الحسين رحيماً بزوجاته حتى في أواخر لحظات حياته، وفي يوم عاشوراء قال في وداعه للنساء : **"استعدّوا للبلاء، واعلموا أنَّ الله حافظكم وحاميكم، وسينجيكم من شرِّ الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذِّب عدوّكم بأنواع البلاء ويعوضكم الله عن هذه البلية أنواع النعم والكرامة، فلا تشكوا، ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص قدركم"**[2].

وقال في وداعه للسيدة سكينة عليها السلام[3]:

سَيَطُولُ بَعْدِي يَا سكَيْنَةُ فَاعْلَمِي ... مِنْكِ الْبُكَاءُ إِذَا الْحَمَامُ دَهَانِي

لَا تُحْــرِقِي قَلْبِي بِدَمْعِكِ حَسْرَةً ... مَـا دَامَ مِنِّي الرُّوحُ فِي جُثْمَانِي

وَإِذَا قُتِلْتُ فَأَنْتِ أَوْلَى بِـــالَّذِي ... تَأْتِينَـــهُ يَا خَيْرَةَ النِّسْوَانِ

وعندما سمع أنَّ مجموعة من جنود العدو كانوا يحاولون مهاجمة الخيام ومهاجمة النساء والأطفال، قال عليه السلام: **" وَيْلَكُمْ يَا شِيعَةَ آلِ أَبِي سُفْيَانَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِينٌ وَكُنْتُمْ لاَ تَخَافُونَ الْمَعَادَ فَكُونُوا أَحْرَاراً فِي دُنْيَاكُمْ هَذِهِ وَارْجِعُوا إِلَى أَحْسَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَرَباً كَمَا تَزْعُمُون"**[4].

---

[1] الكافي: ٥/ ٥٦٩.

[2] الدمعة الساكبة: ٤/ ٣٤٦.

[3] مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ٤/ ١٠٩-١١٠.

[4] اللهوف على قتلى الطفوف: ١٢٠.

لقد كان الإمام الحسين ﷺ غيورًا محبًّا لعائلته، يروي أصحاب المقاتل:

فصاح عمر بن سعد بالجمع: **"الْوَيْلُ لَكُمْ أَتَدْرُونَ مَنْ تُبَارِزُونَ هَذَا ابْنُ الْأَنْزَعِ الْبَطِينِ هَذَا ابْنِ قَتَّالِ الْعَرَبِ فَاحْمِلُوا عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَحَمَلُوا بِالطَّعْنِ مِائَةً وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعَةَ آلَافٍ بِالسِّهَامِ))**[1]، **وحال الرجال بينه وبين رحله، فصاح بهم: ((يَا شِيعَةَ آلِ أَبِي سُفْيَانَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِينٌ وَكُنْتُمْ لَا تَخَافُونَ الْمَعَادَ فَكُونُوا أَحْرَاراً فِي دُنْيَاكُمْ هَذِهِ وَارْجِعُوا إِلَى أَحْسَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَرَباً كَمَا تَزْعُمُونَ قَالَ: فَنَادَاهُ شِمْرٌ لَعَنَهُ اللهُ مَا تَقُولُ يَا ابْنَ فَاطِمَةَ فَقَالَ إِنِّي أَقُولُ أُقَاتِلُكُمْ وَتُقَاتِلُونَنِي وَالنِّسَاءُ لَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ فَامْنَعُوا عُتَاتَكُمْ وَجُهَّالَكُمْ وَطُغَاتَكُمْ مِنَ التَّعَرُّضِ لِحَرَمِي مَا دُمْتُ حَيّا. فَقَالَ شِمْرٌ لَعَنَهُ اللهُ لَكَ ذَلِك"**[2].

وقصده القوم واشتدّ القتال وقد اشتدّ به العطش، فحمل من نحو الفرات على عمرو بن الحَجّاج، وكان في أربعة آلاف، فكشفهم عن الماء وأقحم الفرس الماء فلمّا همَّ الفرس ليشرب قال الحسين ﷺ: **" أَنْتَ عَطْشَانٌ وَأَنَا عَطْشَانٌ وَاللهِ لَا أَذُوقُ الْمَاءَ حَتَّى تَشْرَبَ فَلَمَّا سَمِعَ الْفَرَسُ كَلَامَ الْحُسَيْنِ شَالَ رَأْسَهُ وَلَمْ يَشْرَبْ كَأَنَّهُ فَهِمَ الْكَلَامَ فَقَالَ الْحُسَيْنُ اشْرَبْ فَأَنَا أَشْرَبُ فَمَدَّ الْحُسَيْنُ يَدَهُ فَغَرَفَ مِنَ الْمَاءِ فَقَالَ فَارِسٌ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ تَتَلَذَّذُ بِشُرْبِ الْمَاءِ وَقَدْ هُتِكَتْ حُرْمَتُكَ فَنَفَضَ الْمَاءَ مِنْ يَدِهِ وَحَمَلَ عَلَى الْقَوْمِ فَكَشَفَهُمْ فَإِذَا الْخَيْمَةُ سَالِمَةٌ"**[3].

لقد كان الإمام الحسين ﷺ شديد الاهتمام بأسرته حتى في أصعب اللحظات، فبعد أن قُتِلَ جميع أصحاب الإمام الحسين ﷺ وبنو هاشم، ولم يبقَ من الرجال أحد، عزم الإمام على لقاء الله تعالى، وعلى ملاقاة الأعداء بنفسه المقدَّسة، فأقبل إلى المخيم للوداع، ونادى: **" يا سكينة ويا فاطمة، يا زينب ويا أم كلثوم: عليكنّ منّي السلام، فهذا آخر الاجتماع، وقد قرب منكن الافتجاع! فعلت أصواتهنّ بالبكاء، وصِحْنَ: الوداع. الوداع، الفراق. الفراق، فجاءته عزيزته سكينة وقالت: يا أبتاه استسلمت للموت؟ فإلى من أتّكل؟ فقال لها: «يا نور عيني كيف لا يستسلم للموت من لا ناصر له ولا معين، ورحمة الله ونصرته لا تفارقكم في الدنيا والآخرة، فاصبري على قضاء الله ولا تشكي، فإنَّ الدنيا فانية، والآخرة باقية**

قالت: أبه ردّنا إلى حرم جدنا رسول الله؟

فقال الإمام الحسين: هيهات، لو ترك القطا لغفا ونام فبكت سكينة فأخذها الإمام وضمّها إلى صدره، ومسح الدموع عن عينيها.

ثمَّ أمرهنّ بلبس أزرهنّ ومقانعهنّ، فسألته السيدة زينب عن سبب ذلك، فقال: ((كأنّي أراكم عن قريب

---

[1] مناقب آل أبي طالب ﷺ: ٤/ ١١٠.

[2] اللهوف على قتلى الطفوف: ١٢٠.

[3] مناقب آل أبي طالب ﷺ: ٤/ ٥٨.

كالإماء والعبيد يسوقونكم أمام الركاب ويسومونكم سوء العذاب !!فلمّا سمعت السيدة زينب ذلك بكت ونادت: وا وحدتاه، وا قلّة ناصراه، ولطمت على وجهها، فقال لها الإمام الحسين: «مهلاً يا ابنة المرتضى، إنَّ البكاء طويل ثمَّ أراد الإمام أن يخرج من الخيمة فتعلّقت به السيدة زينب وقالت: «مهلاً يا أخي، توقّف حتى أتزوّد منك ومن نظري إليك، وأودّعك وداع مفارق لا تلاقي بعده»؟ فجعلت تُقبّل يديه ورجليه، فصبّرها الإمام الحسين، وذكر لها ما أعدّ الله للصابرين، فقالت: يا ابن أمّي طب نفساً وقر عيناً فإنَّك تجدني كما تحب وترضى .فقال لها الإمام الحسين: «أُخيّه إيتيني بثوبٍ عتيقٍ لا يرغب فيه أحد، أجعله تحت ثيابي لئلا أجرّد بعد قتلي، فإنِّي مقتول مسلوب، فارتفعت أصوات النساء بالبكاء .ولمّا أراد الإمام أن يخرج نحو المعركة نظر يميناً وشمالاً ونادى: هل من يقدّم إليّ جوادي؟ فسمعت السيدة زينب ذلك، فخرجت وأخذت بعنان الجواد، وأقبلت إليه وهي تقول: لمن تنادي وقد قرحت فؤادي؟"[1]. **وقد جاء في التاريخ: أنَّ الإمام الحسين ﷺ أوصى أخته السيدة زينب قائلاً: "يا أختاه! لا تنسيني في نافلة الليل"**[2].

في واقعة كربلاء كانت الرباب حاضرة في كربلاء استناداً للقرائن والأدلة الواردة، وأخذت إلى الشام مع بقيّة السبايا[3]، بعدما كانت شاهدة على واقعة كربلاء، وعلى استشهاد طفلها الرضيع عبدالله في حضن أبيه. يقول ابن كثير الدمشقي: " إنَّها كانت مع الإمام الحسينﷺ بكربلاء وعند مقتله فجعت وجزعت له"[4].

وقد بقيت الرباب سنة بعد شهادة الحسين لم يظلّها سقف بيت حزناً على الحسين حتى بليت وماتت كمداً عليه، وذلك بعد استشهاد الحسين بسنة، ودفنت بالمدينة[5].

ولقد عُرفت الرباب بنت امرئ القيس بوفائها للإمام الحسين ﷺ وعظم صبرها على فقده وفقد ولدها الرضيع الذي ذبح من الوريد إلى الوريد؛ حتى سجّل موقفها وصبرها أعظم الصور الإنسانية التي لم تزل تلهم الشعراء والكتّاب والأحرار دروساً في التضحية والثبات من أجل المبدأ.

---

[1] معالي السبطين: ٢/ ١٣-١٤.

[2] عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال: ١١/ ٩٤٥.

[3] أعيان الشيعة: ٦/ ٤٤٩.

[4] البداية والنهاية: ١١/ ٥٩٥.

[5] الكامل في التاريخ: ٣/ ١٩١.

٤ ـ أم إسحاق بنت طلحة

كانت أم إسحاق قبل أن يتزوّجها الإمام الحسين عليه السلام عند أخيه الإمام الحسن عليه السلام فلمّا حضرته الوفاة أوصى أخاه الإمام الحسين أن يتزوجها، وقد ولدت له فاطمة[1] وعبد الله.

٥ ـ أُمُّ جَعفَرٍ

أُمّ جعفر هي إحدى زوجات الإمام الحسين عليه السلام، وذُكرت أحيانًا باسم السلافة[2]، وهي من قبيلة بلّي[3] بن قضاعة.

إنَّ أخلاق الإمام الحسين عليه السلام في حياته الاجتماعية، وكذلك سلوكه العائلي لجميع العالم هو أنموذج له العديد من التَّطبيقات في الحياة الحديثة، ولو سرنا على هذا الأسلوب المعصوم لعشنا حياة سعيدة ومستقرّة.

---

[1] الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ٢/ ١٣٥. طبقات ابن سعد: ٣/ ٢١٤. نسب قريش: ١/ ٥٩.

[2] تذكرة الخواص: ١/ ٥٦٥. نسب قريش: ١/ ٥٩.

[3] بَلِيّ: قبيلة من قضاعة، وهو بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، والنسبة إليها: بَلَوِيّ. ينظر: الأنساب للسمعاني: ٢/ ٣٢٣.

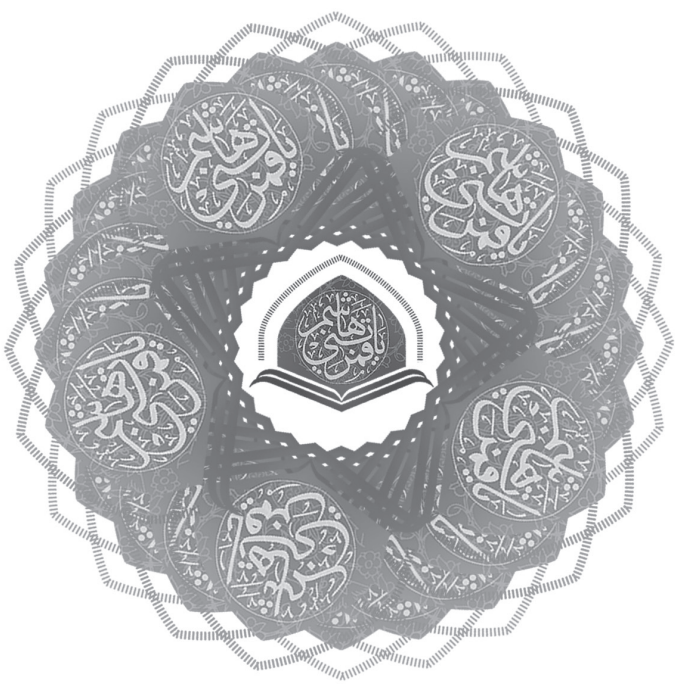

سيد الوفاء
العباس بن علي عليه السلام

أ.د. نجم عبدالله الموسوي

روى الشّيخ الاجلّ جعفر بن قولويه القمّي بسند معتبر عن أبي حمزة الثّمالي عن الصّادق (عليه السلام) قال: اذا أردت زيارة قبر العبّاس بن علي وهو على شطّ الفرات ... فقف على باب السّقيفة (الرّوضة) وقُل:

" سَلامُ اللهِ وَسَلامُ مَلائِكَتِهِ المُقَرَّبينَ وَأَنْبيائِهِ المُرْسَلينَ وَعِبادِهِ الصّالِحينَ وَجَميعِ الشُّهَداءِ وَالصِّدّيقينَ، وَالزّاكِياتُ الطَّيِّباتُ فيما تَغْتَدي وَتَرُوحُ عَلَيْكَ يَا بْنَ أمير المُؤْمِنينَ، اَشْهَدُ لَكَ بِالتَّسْليمِ وَالتَّصْديقِ وَالْوَفاءِ وَالنَّصيحَةِ لِخَلَفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ المُرْسَلِ، وَالسِّبْطِ المُنْتَجَبِ، وَالدَّليلِ الْعالِمِ، وَالْوَصِيِّ المُبَلِّغِ، وَالمَظْلُومِ المُهْتَضَمِ، فَجَزاكَ اللهُ عَنْ رَسُولِهِ وَعَنْ أمير المُؤْمِنينَ وَعَنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ صَلَواتُ الله عَلَيْهِمْ أفضل الْجَزاءِ بِما صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ وَاَعَنْتَ فَنِعْمَ عُقْبَى الدّارِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ قَتَلَكَ وَلَعَنَ اللهُ مَنْ جَهِلَ حَقَّكَ وَاسْتَخَفَّ بِحُرْمَتِكَ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ حالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ماءِ الْفُراتِ، اَشْهَدُ اَنَّكَ قُتِلْتَ مَظْلُوماً، وَاَنَّ اللهَ مُنْجِزٌ لَكُمْ ما وَعَدَكُمْ، جِئْتُكَ يَا بْنَ اَميرِ الْمُؤْمِنينَ وَافِداً اِلَيْكُمْ، وَقَلْبي مُسَلِّمٌ لَكُمْ وَتابِعٌ، وَاَنَا لَكُمْ تابِعٌ وَنُصْرَتي لَكُمْ مُعَدَّةٌ حَتّى يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحاكِمينَ، فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لا مَعَ عَدُوِّكُمْ اِنّي بِكُمْ وَبِإِيابِكُمْ مِنَ المُؤْمِنينَ، وَبِمَنْ خالَفَكُمْ وَقَتَلَكُمْ مِنَ الْكافِرينَ، قَتَلَ اللهُ اُمَّةً قَتَلَتْكُمْ بالأيدي وَ الألسن.

ثمّ ادخل فانكبّ على القبر وقُل:

اَلسَّلامُ عَلَيْكَ اَيُّهَا الْعَبْدُ الصّالِحُ المُطيعُ لله وَلِرَسُولِهِ وَلأمير المُؤْمِنينَ وَالْحَسَنِ والْحُسَيْنِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكاتُهُ وَمَغْفِرَتُهُ وَرِضْوانُهُ وَعَلى رُوحِكَ وَبَدَنِكَ، اَشْهَدُ وَاُشْهِدُ اللهَ اَنَّكَ مَضَيْتَ عَلى ما مَضى بِهِ الْبَدْرِيُّونَ وَالمُجاهِدُونَ فِي سَبيلِ الله المُناصِحُونَ لَهُ فِي جِهادِ اَعْدائِهِ المُبالِغُونَ فِي نُصْرَةِ اَوْلِيائِهِ الذّابُّونَ عَنْ اَحِبّائِهِ فَجَزاكَ اللهُ اَفْضَلَ الْجَزاءِ، وَاَكْثَرَ الْجَزاءِ، وَاَوْفَرَ الْجَزاءِ، وَاَوْفى جَزاءِ اَحَد مِمَّنْ وَفى بِبَيْعَتِهِ وَاسْتَجابَ لَهُ دَعْوَتَهُ وَاَطاعَ وُلاةَ اَمْرِهِ اَشْهَدُ اَنَّكَ قَدْ بالَغْتَ فِي النَّصيحَةِ، وَاَعْطَيْتَ غايَةَ اَلْ مَجْهُودِ، فَبَعَثَكَ اللهُ فِي الشُّهَداءِ، وَجَعَلَ رُوحَكَ مَعَ اَرْواحِ السُّعَداءِ، وَاَعْطاكَ مِنْ جِنانِهِ اَفْسَحَها مَنْزِلاً وَاَفْضَلَها غُرَفاً، وَرَفَعَ ذِكْرَكَ فِي عِلِّيّينَ، وَحَشَرَكَ مَعَ النَّبِيّينَ وَالصِّدّيقينَ وَالشُّهَداءِ وَالصّالِحينَ وَحَسُنَ اُولئِكَ رَفيقاً، اَشْهَدُ اَنَّكَ لَمْ تَهِنْ وَلَمْ تَنْكُلْ، وَاَنَّكَ

مَضَيْتَ عَلى بَصيرَة مِنْ أمرك مُقْتَدِياً بِالصّالِحِينَ، وَمُتَّبِعاً لِلنَّبِيّينَ، فَجَمَعَ اللهُ بَيْنَنا وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ رَسُولِهِ وأوليائه فِي مَنازِلِ الْمُخْبِتينَ، فَإِنَّهُ اَرْحَمُ الرّاحِمينَ" [1].

عند دراسة أيّة شخصية عظيمة وفذّة في تاريخ الإنسانية لا بُدَّ من الوقوف على مكوّناتها وخصائصها وصفاتها التي جعلتها تنفرد عن غيرها من الشخصيات الأخرى، وبذلك يتم تسليط الضوء على أبرز مكنوناتها الشخصية ولو بلمحة سريعة.

العبد الصالح، الأخ النّاصح، المطيع، سيّد الماء، وغيرها .... الأسماء كثرت والصفات تشعّبت والمآثر تعدّدت وعجزت عن وصف شخصيّة سيّدي ومولاي أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين علي عليه السلام، فانحنى القلم وسجدت الحروف أمام هذه الشّخصية الكبيرة والروح المتفانية والهمّة العالية التي انفرد بها هذا الشخص العجيب.

لا غرابة أن تكون شخصية العباس بن علي عليه السلام بهذه الصفات، ولاسيما أنَّه سليل الإمام علي عليه السلام وأمّه الطاهرة أم البنين(رضوان الله عليها) فجاءت تربيته متكاملة الأبعاد، صقلت شخصيّته وجعلت منه ذاك العبد الصالح ذو الصفات النادرة التي تميّز بها عن الآخرين، وأنَّ أغلب الناس تعرف شخصية الإمام من خلال واقعة كربلاء، لكن المتابع لشخصيته المباركة يجد أنَّه يمتلك صفات الصّلاح والفلاح منذ صغر سنّه المبارك، وأنَّه تربّى على طاعة أولياء أمره من المعصومين عليهم السلام وأنَّه يمتلك البصيرة التي جعلته تصل إلى عمق الأشياء وتبيّن حقيقتها، فلا تستهويه غير مبادئ الحق وأسس الإسلام والإيمان ولا ينخدع بالسراب الزّائل من هذه الدنيا الفانية.

فقد نشأ تنشئة صالحة وتربية مقصودة عليها سمات طاعة الله ورسوله وآله عليهم السلام ورضاهم والعلم والمعرفة تربية خالصة لوجه الله تعالى نبعت من سيرة أبيه وسيرة أمّه حتى انعكست إيجابيًا في تربيته فكان العباس عليه السلام ذلك البطل الذي أخضع كلّ قوانين الأرض إليه، وحطّم كلّ أمثلة المحبّة والطاعة والوفاء عندما أطاع أخاه الحسين عليه السلام إلى آخر نفس في روحه الطّاهرة.

ذلك العباس عليه السلام الذي أوقف قانون الجاذبيّة، فالإنسان الذي يعطش ينجذب نحو الماء ولا عذر في لومه إن شرب من الماء.. والعباس عليه السلام كان عطِشًا ومجهدًا وقلبه ينكسر من العطش واقترب من الماء حاملاً

---

[1] بحار الأنوار/ ج ٩٨ / ص ٢١٧.

ذلك الجود الذي يأمل أن يرجع به مملوءًا بالماء الذي يروي قلوب الصغار والنساء ويحطّم عطشهم ويُسقيهم به، وكان جدًّا من الطبيعي أن يشرب من هذا الماء.. لكنَّه توقّف عن الشرب وأبدل ذاته العزيزة بقلوب الآخرين الظامئة واستكثر على نفسه أن يكون الماء ملامسًا ليديه ويحس ببرده فكيف به أن يجعله بين فكّيه الشريفين وفي فمه الشريف.. هذا الوفاء الذي سجّله العباس عليه السلام جعل منه أسطورة ورمزًا للوفاء إن أراد أحد أن يُجسّم الوفاء، فما أروع الوفاء لو اقترن باسم العباس عليه السلام.

كان الوفاء متجسّدًا في شخصيّته الشريفة، وإنَّه أدرك تمامًا مبادئ الأخوّة والتّضحية والشّجاعة، ولا بُدَّ أن نشير أنَّ أوّل ثمرات الوفاء في سلوك العباس بن علي عليهما السلام كانت في وفائه لدينه وللأئمّة المعصومين عليهم السلام المفروضة طاعتهم، فهو في تعامله مع الإمام الحسين عليه السلام لا ينظر إليه أنَّه كأخ، بل كان ينظر إليه أنَّه إمام معصوم واجب طاعته أوّلاً وكأخ يستحق الفداء والوفاء ثانيًا.

هذا الكم الكبير من الوفاء في شخصيّة العباس عليه السلام يجعله يعيش حالة ليست طبيعية، وجعل الآخرين ينظرون إليه بأنَّه فعلا ليس بشرًا طبيعيًّا، فما صدر عنه من مواقف في أشد الظروف قسوة.. وفي أصعب اللحظات.. التي يبحث فيها الإنسان عن منفذ للنجاة بنفسه نراه يحرّكه الوفاء لدينه وإسلامه وإمامه ويتصرّف على وفق المنظومة التربوية الصحيحة التي تربّى عليها، فيرفض كلّ العروض التي قدّمت إليه للتغرير به وإثناء همّته وإبعاده عن الحسين عليه السلام لا لأنَّه أخوه بل لأنَّه يمثّل الإسلام في وقته، فالحسين هو القرآن المتحرّك في الأمّة في ذلك الوقت.. واعتقادهم أنَّ إبعاد العباس عليه السلام عن الحسين عليه السلام سوف يثني عزيمة الحسين عليه السلام ويحقّق حلمهم وأملهم.

فكان التركيز على شخصية العباس عليه السلام لأنَّه الوفي الحقيقيّ والشجاع الباسل الذي لا يتنازل عن دينه وإيمانه، فلربّما تبادر إلى أذهانهم باستمالة العباس إليهم بأمان زائف ومصطنع، لإيمانهم أنَّه الساعد الأيمن للحسين عليه السلام وأنَّ تحقّق أملهم باستمالة العباس عليه السلام -وهذا مستحيل- سوف يتمكّنون من إضعاف الحسين عليه السلام وجعله وحيدًا ومن ثم قد يحصلون على البيعة منه ليزيد اللعين وهيهات من ذلك وعلى قول الحسين عليه السلام: (مثلي لا يبايع مثله).

إنَّ كربلاء كانت محكًّا ومعيارًا لكلّ ذوي النُّهى، فلا غرابة أن تتضخّم البصيرة وتنفذ أكثر وأكثر في شخصيّة العباس بن علي عليهما السلام وهو الصلب في إيمانه والقوي في ذات الله والشجاع الذي توارث شجاعته عن أبيه علي عليه السلام وتوارث من أمّه النجيبة العفيفة الطاهرة حبّه لأبناء السيدة الزهراء عليها السلام.

فكانت كربلاء تجسيدًا لصفات العباس بن علي عليهما السلام الجسدية والنفسية، الجسدية (البيولوجية) بما توارثه من أبيه والنفسية (السيكولوجية) بما تربّى عليه، فكان سيد الوفاء، ونعم الأخ المواسي لأخيه والمدافع عن الإسلام وعن أخيه.

مهما كتب عن شخصية العباس بن علي ﷺ تبقى هذه الشخصية مجهولة لدينا وغير معروفة لا يعرف كنهها إلا الإمام المعصوم ﷺ، لأنَّ شخصيته فوق العقول وما وراء معرفتنا البسيطة والسطحية ولا تفهم إلا بقراءة واقعية تفوق عقل البشر.

ويُعدّ العباس ﷺ الشخص المقرّب من الإمام الحسين ﷺ؛ لإيمانه، ورجاحة عقله، وسمو نفسه، ولوفائه ونصحه وطاعته لمولاه الحسين ﷺ، وهذه الأمور لم تكن نابعة من مبدأ أنصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، بل كانت نابعة من إطاعة الحقّ والإيمان، ولأنَّ الحسين ﷺ هو إمام معصوم يجب طاعته، ولأنَّه يُمثّل رمز الحق في ذلك الوقت وهو امتداد جدّه رسول الله ﷺ في التبليغ الإسلامي والحفاظ على بيضة الإسلام، وكذلك لقناعة العباس ﷺ بما خرج من أجله في إشاعة مبدأ الإصلاح ونبذ الظلم والفساد والعدوان.

إنَّ شخصية العباس ﷺ تبلورت فيها العظمة والشجاعة والبسالة والتفاني والإيثار، فكان يؤثر على نفسه وهو صغير يضحّي من أجل إخوته ويقدّمهم على نفسه، وأنَّ أمّه تقدّم أبناء الزهراء ﷺ على أولادها، فالعباس ذو شأن عظيم وهو بذرة صالحة أوجدها الإمام علي ﷺ وأم البنين ﷺ وسقوها بالأسس التربوية الإسلامية الناجحة فأثمرت العباس بن علي ﷺ رائد الإخلاص والعلم والمحبّة والتفاني والتضحية والدفاع عن الإسلام وعن ولاة الأمر المعصومين الصادقين ﷺ.

ومما يعطي شخصية العباس ﷺ قدسية مستمرّة وعنوانًا دائمًا لاسمه العملاق هو تصديق المعصومين ﷺ الذين عاصروه على أفعاله وأقواله بدءًا بالإمام علي ﷺ والإمام الحسن والحسين والسجاد والباقر ﷺ، وممّا يُنقل أنَّ الجميع قد أثنى على شخصية العباس ﷺ، وبعض المصادر التاريخية تشير إلى أنَّ بعض المعصومين قبَّل يدي العباس ﷺ وأوّلهم الإمام علي ﷺ إذ قبَّل يديه الكريمتين وهو طفل صغير، فأيَّة يد هذه التي تجعل من أمير المؤمنين علي ﷺ يقبّلها ويشمّها، فأيّ عطاء يكون في يده الشريفة، وأذكر أنَّ أمير المؤمنين لم يقبّلها لأنَّها يد ابنه نعم روح الأبوّة موجودة بلا شكّ لكن الإمام عليًا ﷺ نظر إلى هاتين اليدين بمنظار نصرة الحق ومساندته والدفاع عنه.

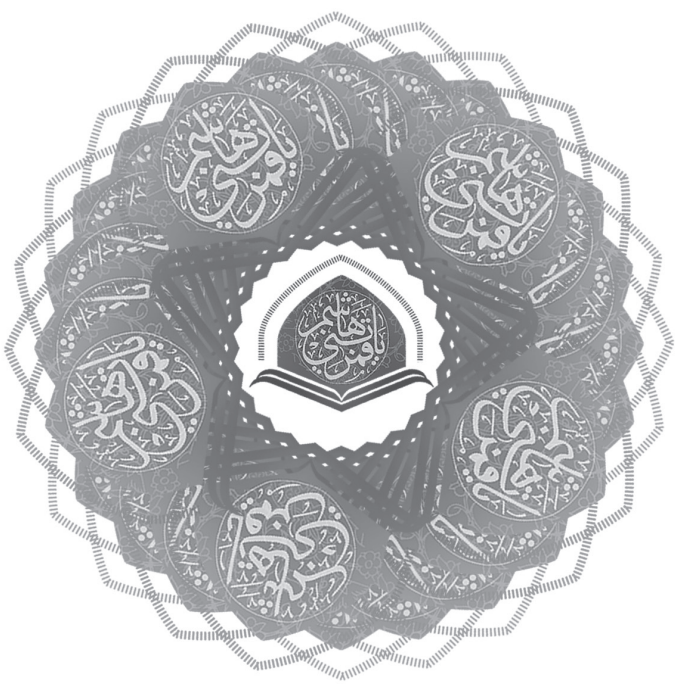

الدور الثقافي
للإمام السجّاد عليه السلام

السيد صباح الموسوي

لقد عاش الإمام علي بن الحسين عليه السلام في ظلِّ ثلاثة من الأئمة المعصومين عليهم السلام، وهم أمير المؤمنين علي عليه السلام والإمام الحسن المجتبى عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام وتربّى في حجرهم.

فقد ولد في سنة ثمان وثلاثين من الهجرة قبل وفاة علي بن أبي طالب عليه السلام بسنتين، وأقام مع أمير المؤمنين سنتين، ومع أبي محمد الحسن عليه السلام عشر سنين، وأقام مع أبي عبد الله الحسين عليه السلام عشر سنين، وكان عمره سبعًا وخمسين سنة[1].

حجة الله في الأرض

إنَّ حجة الله في الأرض هو واسطة الفيض بين الخالق والخلق تشريعاً وتكويناً على ما في الروايات.

وقد ضرب هشام بن الحكم وهو من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام لذلك مثالاً، فقال إنَّ منزلة حجّة الله في النظام الكوني كالقلب في بدن الإنسان، فكما أنَّ الإنسان بحاجة إلى القلب كذلك الأمّة بحاجة إلى الإمام عليه السلام[2].

وكما أنَّ القلب يوصل الدّم إلى كافّة الأعضاء الصغيرة والكبيرة وجميع الشرايين والأوردة، كذلك الإمام عليه السلام هو الواسطة بين الله وخلقه، بحيث لا تستغني من وجوده كافة المخلوقات من إنسان وغير إنسان.

وكما أنَّ القلب إذا ما توقّف عن العمل، فإنَّه ستتعطل كافة أعضاء البدن وتموت. وبموت الإنسان سيتعرّض جسده لأنواع مختلفة من الميكروبات وما أشبه، وسيؤدّي إلى تفسّخه وتلاشيه وفنائه، وكذلك الإمام المعصوم عليه السلام فإذا فرض خلو العالم يومًا من الحجة، فسيفنى الكون وينعدم كلّ شيء، كما ورد في الحديث الشريف: **"لولا الحجّة لساخت الأرض بأهلها"**[3].

ومن هنا بدأ الله عزوجل بالخليفة قبل الخليقة؛ لأنَّه سبحانه حكيم، والحكيم من يبدأ بالأهم فالأهم، وفي

---

[1] كشف الغمة: ٢/ ١٠٥.

[2] ينظر: الأمالي، للصدوق: ٥٨٩.

[3] ينظر: الكافي: ١/ ٥٣٤.

ذلك يقول الصادق جعفر بن محمد ﷺ: **"الْحُجَّةُ قَبْلَ الْخَلْقِ، وَمَعَ الْخَلْقِ، وَبَعْدَ الْخَلْقِ"**[1]، وقد خلق الله نور حججه الطاهرين(عليهم أفضل الصلاة والسلام) قبل أن يخلق الخلق أجمعين، فكان أوّل مخلوق هو حجّة الله، وآخر موجود يغمض عينيه عن الدنيا هو حجة الله أيضاً، حيث بموته يفنى العالم، قال تعالى: **{إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ}**[2] والروايات في هذا الباب كثيرة.

عن أبي عبد الله ﷺ قال: **"مَا زَالَتِ الْأَرْضُ وَلله فِيهَا حُجَّةٌ يَعْرِفُ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ وَيَدْعُو إِلَى سَبِيلِ الله"**[3].

وعن أبي جعفر ﷺ قال: **"وَالله مَا تَرَكَ اللهُ أَرْضاً مُنْذُ قَبَضَ آدَمَ ﷺ إِلَّا وَفِيهَا إِمَامٌ يُهْتَدَى بِهِ إِلَى الله وَهُوَ حُجَّتُهُ عَلَى عِبَادِهِ وَلَا تَبْقَى الْأَرْضُ بِغَيْرِ إِمَامٍ حُجَّةٍ لله عَلَى عِبَادِهِ"**[4].

وعن كرام قال: قال أبو عبد الله ﷺ: **"لَوْ كَانَ النَّاسُ رَجُلَيْنِ لَكَانَ أَحَدُهُمَا الْإِمَامَ وَقَالَ إِنَّ آخِرَ مَنْ يَمُوتُ الْإِمَامُ لِئَلَّا يَحْتَجَّ أَحَدٌ عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ تَرَكَهُ بِغَيْرِ حُجَّةٍ لله عَلَيْهِ"**[5].

وهناك أحاديث كثيرة تنصّ على إمامة الإمام علي بن الحسين ﷺ، ومنها:

إنَّ الرسول الأعظم ﷺ عيّن أوصياءه وخلفاءه الاثني عشر من بعده، وصرّح بأسمائهم، ومنهم الإمام السجاد، وقد تظافرت النصوص بذلك[6].

نصّ أمير المؤمنين ﷺ على إمامة الإمام زين العابدين ﷺ فقد قال للإمام الحسين ﷺ: **" إنَّك القائم بعد أخيك الحسن، وإن رسول الله يأمرك أن تدفع المواريث من بعدك إلى ولدك زين العابدين فإنّه الحجة من بعدك، ثم أخذ بيد زين العابدين وكان طفلاً وقال له: إنَّ رسول الله يأمرك أن توصي بالإمامة من بعدك إلى ولدك محمد الباقر ﷺ واقرأه من رسول الله ومنّي السلام"**[7].

نص الإمام الحسين ﷺ على إمامة ولده زين العابدين ﷺ، وعهد إليه بالإمامة من بعده، فقد روى الزهري قال: **" كُنْتُ عِنْدَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ﷺ إِذْ دَخَلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَصْغَرُ فَدَعَاهُ الْحُسَيْنُ ﷺ وَضَمَّهُ إِلَيْهِ ضَمّاً وَقَبَّلَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ ثُمَّ قَالَ بِأَبِي أَنْتَ مَا أَطْيَبَ رِيحَكَ وَأَحْسَنَ خَلْقَكَ فَيُدَاخِلُنِي مِنْ ذَلِكَ فَقُلْتُ بِأَبِي وَأُمِّي يَا ابْنَ رَسُولِ الله إِنْ كَانَ مَا نَعُوذُ بِالله أَنْ نَرَاهُ فِيكَ فَإِلَى مَنْ قَالَ إِلَى عَلِيٍّ ابْنِي هَذَا هُوَ الْإِمَامُ وَأَبُو الْأَئِمَّة"**[8].

---

[1] الكافي: ١/ ٤٣٣.

[2] الانفطار: ١-٢.

[3] المحاسن: ١/ ٢٣٦.

[4] الكافي: ١/ ١٧٩.

[5] م. ن: ١/ ١٨٠.

[6] روضات الجنات: ٢٤٧-٢٤٨.

[7] الكافي، ج ١، ص ٢٩٧.

[8] كفاية الأثر في النص على الأئمة الإثني عشر: ٢٣٤.

ولما تسلّم الإمام زين العابدين ﷺ منصب الإمامة (٩٥-٦١ هـ)، كان المجتمع الإسلامي في أزمة فكرية رهيبة. ومن المؤكَّد أنَّ هناك عوامل عدّة سبَّبت هذه الأزمة، أهمّها:

إبعاد المجتمع عن مدرسة أهل البيتﷺ والقيود السياسية المفروضة على الأئمّة عن طريق حظر نقل الحديث وكتابته، باستثناء الأحاديث المحدّدة المسموح بها من الخلفاء.

التحريض من قبل الجهاز الأموي على الخلافات الفكرية وإشراك الناس في الأمور التّافهة واستغلالها سياسيًّا لشرح هذه القضايا والتّحقيق فيها.

ولكن الإمام السجاد ﷺ لم يبقَ صامتًا ضد هذه الانحرافات، وإنَّما قام بتوجيه وقيادة المجتمع الإسلامي، في ظل تلك الظروف السائدة في المجتمع .

وكانت أهم أنشطة الإمام في هذا الصدد هي كما يلي:

أ- التحذير من الغلاة

الغلو في اللغة: تجاوز الحدّ، يقال ذلك إذا كان في السّعر غَلَاءٌ، وإذا كان في القدر والمنزلة غُلُوٌّ وفي السّهم: غَلْوٌ، وأفعالها جميعا: غَلَا يَغْلُو. قال تعالى: **{لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ}**[1]. وَالْغَلْيُ والْغَلَيَانُ يقال في القدر إذا طفحت، ومنه استعير قوله: **{طَعَامُ الْأَثِيمِ* كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ}**[2]، وبه شبّه غليان الغضب والحرب، وتَغَالَى النّبت يصحّ أن يكون من الغلي، وأن يكون من الغلوّ. والْغَلْوَاءُ: تجاوز الحدّ في الجماح، وبه شبّه غَلْوَاءُ الشّباب[3].

ولقد أشار القرآن الكريم الى الغلو بقوله تعالى: **{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلًا}**[4]. ولقد تصدَّى الرسول الأكرم ﷺ والأئمةﷺ لظاهرة الغلو على مستوى بيان العقائد الحقة وإنارة الطريق أمام طالبي الحقيقة من خلال التركيز على التوحيد، وبيان حدوده وحدود النبوة والإمامة، وما هي علاقة النبي والإمام بالله تعالى، وتارة أخرى من خلال الوقوف بوجه الحركات المنحرفة والتصدّي للمغالين وتسفيه آرائهم.

---

[1] النساء: ١٧١.

[2] الدخان: ٤٤- ٤٦.

[3] مفردات ألفاظ القرآن: ٦١٣.

[4] النساء: ١٧١.

الأئمة عليهم السلام كانوا يحذّرون أصحابهم من الغلو فيهم أو القول بما لا يوافق مبدأ التوحيد كاعتقاد البعض فيهم أنّهم آلهة أو أنبياء، كما قالت الغلاة فيهم ذلك.

وقال الكشي بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **" ارْتَدَّ النَّاسُ بَعْدَ الْحُسَيْنِ عليه السلام إِلَّا ثَلَاثَةً أَبُو خَالِدٍ الْكَابُلِيُّ وَيَحْيَى ابْنُ أُمِّ الطَّوِيلِ وَجُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ لَحِقُوا وَكَثُرُوا وَكَانَ يَحْيَى ابْنُ أُمِّ الطَّوِيلِ يَدْخُلُ مَسْجِدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَيَقُولُ: {كَفَرْنا بِكُمْ وَبَدا بَيْنَنا وَبَيْنَكُمُ الْعَداوَةُ وَالْبَغْضاء}**[1]"[2].

لقد كان الإمام عليه السلام على دراية ومعرفة تفصيلية بكلّ من التيارات الفكرية داخل المجتمع الشيعي والتيارات المنحرفة للآخرين وعندما رأى أنَّ بعض الشيعة أصبحوا «غلاة» بسبب الاعتقاد بأنَّ الإمام هو الإله، وحذّر قائلاً:

"إِنَّ الْيَهُودَ أَحَبُّوا عُزَيْراً حَتَّى قَالُوا فِيهِ مَا قَالُوا فَلَا عُزَيْرٌ مِنْهُمْ وَلَا هُمْ مِنْ عُزَيْرٍ وَإِنَّ النَّصَارَى أَحَبُّوا عِيسَى حَتَّى قَالُوا فِيهِ مَا قَالُوا فَلَا عِيسَى مِنْهُمْ وَ لَا هُمْ مِنْ عِيسَى وَ إِنَّا عَلَى سُنَّةٍ مِنْ ذَلِكَ إِنَّ قَوْماً مِنْ شِيعَتِنَا سَيُحِبُّونَّا حَتَّى يَقُولُوا فِينَا مَا قَالَتِ الْيَهُودُ فِي عُزَيْرٍ وَمَا قَالَتِ النَّصَارَى فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فَلَا هُمْ مِنَّا وَلَا نَحْنُ مِنْهُمْ"[3].

فليس من المستبعد إذاً أن يكون الغلو قد دخل على المسلمين بسبب تعاملهم مع أهل الكتاب فضلاً عن أنّ بعضهم كان ممّن تظاهر باعتناق الإسلام. وقد عملوا على بثّ الغلو في عقائد ضعفاء المسلمين رغبة في تدمير الإسلام من الداخل.

موقف الإمام زين العابدين عليه السلام من الغلاة

قال عليه السلام: **" لعن الله من كذب علينا، إنِّي ذكرت عبدالله بن سبأ فقامت كل شعرة في جسدي، لقد ادّعى أمرًا عظيمًا، ما له لعنه الله؟! كان عليٌّ والله عبدًا صالحًا أخا رسول الله صلى الله عليه وآله، ما نال الكرامة** من الله إلاّ بطاعته لله ولرسوله، وما نال رسول الله صلى الله عليه وآله الكرامة من الله إلَّا بطاعته"[4].

وقد أخبر عليه السلام أبا خالد الكابلي بما سيقع في الأُمة من الغلو كما وقع عند اليهود والنصارى، فقال له: (إنّ اليهود أحبّوا عزيراً حتى قالوا فيه ما قالوا، فلا عزير منهم ولا هم من عزير، وإنَّ النصارى أحبّوا عيسى حتى قالوا فيه ما قالوا، فلا عيسى منهم ولا هم من عيسى، وإنّا على سنّة من ذلك، إنّ قوماً من شيعتنا سيحبّونا حتى يقولوا فينا ما قالت اليهود في عزير، وما قالت النصارى في عيسى بن مريم، فلا هم منّا ولا نحن منهم).

---

[1] الممتحنة: ٤.

[2] الإختصاص: ٦٤.

[3] إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات: ٥/ ٣٩٨.

[4] إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات: ٥/ ٣٩٨. بحار الأنوار: ٢٥/ ٢٨٦.

وقال لمجموعة من الشيعة: **" أَحِبُّونَا حُبَّ الْإِسْلَامِ فَمَا زَالَ حُبُّكُمْ لَنَا حَتَّى صَارَ شَيْناً عَلَيْنَا"**[1].

ب- الوقوف ضد الجبرية

الجبر: لغة هو الإكراه والقهر[2]، والمراد منه في الفلسفة الإلهية علم الكلام هو إجبار الله تعالى عباده على الفعل خيرًا كان أو شرًّا، حسنًا كان أو قبيحًا دون أن يكون للعبد إرادة واختيار وقدرة على الرّفض والامتناع.

دوافع القول بالجبر:

أوّلاً: اللجوء إلى أصل يرفع عن كاهل الإنسان مسؤولية الالتزام، ومن ثمّ الحصول على الحرّيّة المطلقة، والانحلال عن كلّ قيد، واتّباع الأهواء وتلبية الرغبات والشّهوات النّفسانية من دون الالتزام بأيّ مبدأ.

ثانيًا: مبادرة بعض السلطات الجائرة إلى ترويج هذا المفهوم من أجل:

تبرير أعمالهم المنحرفة والإجرامية، والاستمرار بسياسة التنكيل والبطش ضدّ مخالفيهم، وإخماد الثورات التي تقوم ضدّهم من قبل الجهات المعارضة لهم.

توفير الأجواء المناسبة لاستقرار عروشهم، وانغماسهم في ملذّاتهم الدنيوية.

اندفاع الإنسان إلى الكسل والخمول والانقياد للوضع المتردّي، وعدم بذل الجهد والسعي لتغيير هذا الوضع نتيجة عدم الاعتقاد بامتلاك القدرة على التأثير والتغيير، وإطلاق أيدي الظالمين لإهلاك الحرث والنسل، وارتكاب كلّ ما يؤدّي إلى الدّمار والفساد، وتقييد أيدي المظلومين والمستضعفين عن القيام بأيّ ردّ فعل أمام الظالمين.

تبرئة النفس عن ارتكاب الأعمال المخالفة للدين والأخلاق، وجعل هذه العقيدة ذريعة للاتّجاه نحو الفساد والانحلال، وتحطيم الأركان الأساسية من المنظومة الدينية.

ردود على فكرة المجبرة:

١ ـ بطلان الشرائع والتكليف:

إنّ من وظائف الأنبياء إرشاد الناس إلى التكاليف الإلهية، ولا يمكن أداء هذه التكاليف إلّا إذا كان الإنسان قادرًا على فعل الشيء وتركه، ولهذا يكون مجيئ الأنبياء وإتيانهم بالشرائع والتكاليف دليلاً على نفي الجبر عن ساحة أفعال وسلوك الإنسان، لأنَّ القول بالجبر يؤدّي إلى القول ببطلان الشرائع والتكليف.

---

[1] الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ٢/ ١٤١.

[2] لسان العرب: ٤/ ١١٣.

٢ ـ سقوط الثواب والعقاب:

لا يصحّ إثابة شخص أو معاقبته على فعل ليس من صُنعه، فإذا كان الإنسان مجبورًا في أفعاله وليس له دور في الفعل الذي يصدر عنه، فكيف يمكن إثابته على طاعة لم يفعلها، أو معاقبته على معصية لم يرتكبها.

٣ ـ التساوي بين المحسن والمسيء:

لو كان الإنسان مجبرًا في أفعاله لم يكن للمحسن ميزة على المسيء، ولم يكن فرقٌ بين المؤمن والكافر، بل سيكونان متساويين لأنّهما ليسا إلاّ أداة تعكس ما أُجبرا عليه، فلهذا لا يصحّ بعد ذلك مدح أو ذم أحد على أفعاله.

٤ ـ عبثية التّرغيب والتّخويف:

إنّ ترغيب العباد على الأعمال الصالحة وتخويفهم من تركها لا داعي له فيما لو كان الإنسان مجبوراً في أفعاله، لأنّ الترغيب والترهيب لا ينفعان إلَّا إذا كان الإنسان مختاراً وقادراً على فعل أو عدم فعل ما يؤمر به أو يُنهى عنه.

٥ ـ عبثية مساعي المربّين:

إنّ القول بالجبر يؤدّي إلى أن تكون مساعي المربّين لإصلاح المجتمعات وحثّهم الناس على الفضيلة والأخلاق أمرًا عبثيًّا لا فائدة منه، فتذهب جهود هؤلاء أدراج الرياح نتيجة عدم امتلاك الناس القدرة والاختيار على تغيير سلوكهم وأفعالهم.

٦ ـ نسبة الظلم إلى الله تعالى:

يلزم القول بالجبر أن يكون الله تعالى ظالماً -والعياذ بالله- نتيجة جبره للعباد على المعصية ثمّ معاقبته إيّاهم إزاء المعاصي التي أجبرهم عليها، كما سينسب ظلم العباد بعضهم لبعض إلى الله فيما لو قلنا بأنّ الله تعالى هو الفاعل وليس للإنسان أي دور وأثر في صدور أفعاله، لأنّ فاعل الظلم يسمّى ظالمًا.

٧ ـ احتجاج العاصي على الله تعالى:

لو كان الإنسان مجبوراً في أفعاله، فإنَّ العاصي سيكون من حقّه الاحتجاج على الله تعالى حينما يريد الله تعالى معاقبته على معاصيه، لأنّه سيقول: كنت مجبورًا على فعل المعاصي، فكيف تعذّبني على أمر لم يكن لي الاختيار في فعله؟ في حين لا يصح احتجاج الإنسان على الله تعالى.

أحد الاتجاهات الخطيرة في زمن الإمام سجاد ﷺ كان الاعتقاد السائد في الجبر من قبل المؤسسة الحاكمة. وفقًا للمؤرّخين، شجّع معاوية الإيمان بالجبر، والإمام السجاد ﷺ رفض صراحة وبحزم هذه الفكرة.

ولقد قاوم أئمّة أهل البيت عليهم السلام فكرة الجبر بكلّ قوّة ووضوح منذ زمان أمير المؤمنين عليه السلام. ولكن لمّا استفحل أمر بني أميّة، وملكوا أنفاس الناس، وتمكّنوا من عقولهم وأفكارهم، انفرد معاوية في الساحة، وغسل الأدمغة بفعل علماء الزور ووعّاظ السلاطين. وقد أظهر يزيد، أنّ الحسين عليه السلام إنّما قتله الله! فأعلن ذلك في مجلسه وأمام الناس. لكن الإمام السجاد عليه السلام لم يترك ذلك يمرّ بلا ردّ، فانبرى له وقال ليزيد: " **قَتَلَ أَبِيَ النَّاس**"[1].

وقبل ذلك في الكوفة قال عبيد الله: " أليس قد قتل الله علي بن الحسين؟ فقال الإمام عليه السلام: **{اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا}**[2]. فغضب عبيد الله وقال: وبك جرأة لجوابي، وفيك بقيّة للردّ عليّ، اذهبوا به فاضربوا عنقه))[3]. ثمّ صعد المنبر، وقال: ((الحمد لله الذي أظهر الحقّ وأهله، ونصر أمير المؤمنين وحزبه"[4].

إنّ الموقف كان خطراً جدّاً، فالطاغية في عتوّه، ونشوة الانتصار تغمره، فالردّ عليه في مثل هذه الحالة يعني منازعته سلطانه.

ولكن الإمام السجّاد عليه السلام وهو أسير، يعاني آلام الجرح والمرض، لم يتركه يلحد في دين الله، ويمرّر فكرة الجبر أمامه، على الناس البسطاء، الفارغين من المعارف، التي نصّ عليها القرآن بوضوح.

ج – مواجهة فكرة التجسيم

وقد تجرّأ أعداء الإسلام ـ بعد سيطرتهم على الحكم ـ على المساس بأساس العقيدة الإسلاميّة، وهو التوحيد الإلهي، وذلك بإدخال شبه التجسيم والتشبيه في أذهان العامّة، لإبعادهم عن الحقّ، وجرّهم إلى صنميّة الجاهليّة.

وفي عهد الإمام السجاد عليه السلام، وبعد أن استشرى الوباء الأُموي بالسيطرة التامّة، كان أمر هؤلاء الملحدين قد استفحل، وتجاسروا على الإعلان عن هذه الأفكار بكلّ وقاحة، في المجالس العامّة، حتّى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فكانت مهمّة الإمام السجاد عليه السلام حسّاسة جدّاً، لكونه ممثّلاً لأهل البيت عليهم السلام، بل الرجل الوحيد ذا الارتباط الوثيق بمصادر المعرفة الإسلاميّة بأقرب الطرق وأوثقها، وبأصحّ الأسانيد، مصحوباً بالإخلاص لهذا الدين وأهله، وعمق التفكير وقوّته، وبالشكل الذي ليس لأحد إنكار ذلك أو معارضته.

جاء في الحديث أنَّ الإمام زين العابدين عليه السلام كان في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله ذات يوم، إذ سمع قوماً يشبّهون

---

[1] الإحتجاج على أهل اللجاج، للطبرسي: ٢/ ٣١١.

[2] الزمر: ٤٢.

[3] اللهوف على قتلى الطفوف: ١٦٢.

[4] وقعة الطف: ٢٦٥.

الله بخلقه، ففزع لذلك، وارتاع له، ونهض حتّى أتى قبر رسول الله ﷺ، فوقف عنده، ورفع صوته يدعو ربّه، فقال في دعائه:

"إِلَهِي بَدَتْ قُدْرَتُكَ وَلَمْ تَبْدُ هَيْئَةٌ فَجَهَلُوكَ وَقَدَّرُوكَ بِالتَّقْدِيرِ عَلَى غَيْرِ مَا بِهِ أَنْتَ شَبَّهُوكَ وَأَنَا بَرِيءٌ يَا إِلَهِي مِنَ الَّذِينَ بِالتَّشْبِيهِ طَلَبُوكَ لَيْسَ كَمِثْلِكَ شَيْءٌ إِلَهِي وَ لَمْ يُدْرِكُوكَ وَ ظَاهِرُ مَا بِهِمْ مِنْ نِعْمَةٍ دَلِيلُهُمْ عَلَيْكَ لَوْ عَرَفُوكَ وَ فِي خَلْقِكَ يَا إِلَهِي مَنْدُوحَةٌ أَنْ يُنَاوِلُوكَ بَلْ سَوَّوْكَ بِخَلْقِكَ فَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَعْرِفُوكَ وَاتَّخَذُوا بَعْضَ آيَاتِكَ رَبّاً فَبِذَلِكَ وَصَفُوكَ فَتَعَالَيْتَ يَا إِلَهِي عَمَّا بِهِ الْمُشَبِّهُونَ نَعَتُوك"[1].

فوجود الإمام ﷺ في المسجد النبوي، وإظهاره الفزع من ذلك التشبيه، وارتياعه لذلك الكفر المعلن، ونهوضه، والتجاؤه إلى القبر الشريف، ورفعه صوته بالدعاء.

كلّ ذلك، الذي جلب انتباه الراوي، ولابدّ أنَّه كان واضحًا للجميع، إعلان منه ﷺ للاستنكار على ذلك القول، وأولئك القوم الذين تعمّدوا الحضور في المسجد والتجرّؤ على إعلان ذلك الإلحاد والكفر.

(د) وقوفه ضد التّصوّف:

التصوف ليس منهجًا أو عبادة ورد فيه نصوص في الإسلام، وإنَّما بدعة مخترعة شجّعها حكام الجور والهدف منه إبعاد المؤمنين عن المساهمة بفاعلية في الشؤون العامة، وحثّهم على الانعزال عن المجتمع، حتى لا يشكّلوا خطرًا على هذه الأنظمة الجائرة التي حاولت بكلّ جهودها تعطيل ذهنية المتديّنين، وتدفعهم إلى الوهم بالتقرّب إلى الله سبحانه بالأذكار والعبادات فحسب، والانعزال عن أهل الدنيا، وبهذا يأمن الظالمون المتديّنين والثورة ضدهم، حيث انقطع أهل التّصوّف وانعزلوا ظنًا منهم أنَّ هذا هو المطلوب شرعًا، مع أنَّ الله سبحانه أوجب على كلّ مؤمن أن يسعى إلى إقامة الحق والعدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ثم بدأوا ينشرون مع مرور الزّمن أفكارًا وعقائد خاصّة، شيطانية بعد ذلك أخذوا طريقًا ومنهجًا خاصًّا، ومن أفكارهم الشيطانية الاعتقاد بسقوط التكليف إذا وصل الإنسان إلى مرحلة اليقين فلا صلاة عليه ولا صيام ولا حج ولا زكاة! وإباحة بعض المنكرات، إلى ما هنالك من مفاسد.

وقد نشأ هذا المنهج الفاسد أوّلاً عند مخالفي أهل البيت ﷺ، ثم تسرّب إلى بعض ضعاف النفوس، بعد ذلك صدر النهي الشديد من أئمّتنا المعصومين ﷺ من الولوج في هذا المسلك أو الانخراط في هذه الضلالة:

١- رَوى الشَّيخُ الطُّوسِيُّ بإسنادِهِ عَنْ أبي ذَرٍّ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قالَ: **"يا أبا ذَر، يَكونُ في آخرِ الزَّمانِ قَومٌ يَلبسونَ الصّوفَ في صَيفِهِم وشِتائِهِم، يَرَونَ أنَّ لَهُمُ الفَضْلُ بذلكَ على غَيرِهِ، أولئِكَ يَلعَنُهُم مَلائِكَةُ السَّماواتِ**

[1] الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ٢/ ١٥٣.

والأرضِ"[1].

٢- ورُوِيَ عنِ الرِّضا عليه السلام، أَنَّهُ قالَ: **" مَنْ ذُكِرَ عندَهُ الصّوفيَّةُ ولمْ يُنكرْهم بِلسانهِ وقَلبِهِ، فليسَ مِنّا، ومَنْ أنكَرَهُم، فَكَأَنَّما جاهَدَ الكُفّارَ بَينَ يَدَي رَسولِ الله صلى الله عليه وآله"**[2].

٣- ورُوِيَ عنِ الإمامِ الرّضا عليه السلام أَنَّهُ قالَ: **" قالَ رَجُلٌ مِنْ أصحابِنا للصّادقِ جَعفرِ بنِ مُحَمَّدٍ عَليهِما السَّلامُ: قَدْ ظَهَرَ في هذا الزَّمانِ قَومٌ يُقالُ لَهُم: الصّوفيَّةُ، فما تقولُ فيهِم؟ قالَ: إنَّهُم أعداؤنا، فَمَنْ مالَ فيهِم فهُوَ مِنْهُم، ويُحشَرُ مَعَهُم، وسَيكونُ أقوامٌ يَدَّعونَ حُبَّنا، ويَميلونَ إليهِم، ويَتَشَبَّهونَ بِهِم، ويُلَقِّبونَ أنفُسَهُم، ويُأوِّلونَ أقوالَهُم، ألا فَمَنْ مالَ إليهِمْ فليسَ مِنّا، وأنا مِنهُم بُراءٌ، ومَنْ أنكَرَهُم وَرَدّ علَيهِم، كانَ كَمَنْ جاهدَ الكافِرَ بَينَ يَدَي رَسولِ الله صلى الله عليه وآله"**[3].

ومع أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام كان المثل الأعلى للزهد والعبادة في عصره، حتى غلبت عليه هذه الصفة أكثر من غيرها، إلّا أنّه عليه السلام وقف من الصوفية موقفًا حازمًا منكرًا ومعلنًا الخطأ في منهجهم، وحاول إرشادهم الى طرق السلوك الصائبة، بما قدّمه إليهم والى الأمّة من مواعظ وأدعية وخطب ورسائل وأجوبة تحدّد لهم معالم الطرق القويمة والسبل المستقيمة، والموصلة الى الهدى والرشاد.

كانت هذه أمثلة لمواقف الإمام السجاد ومواقفه من الأفكار الملتوية في عصره. بالتأكيد، خلال حياتهم النبيلة، وخصوصًا خلال إمامتهم وتوجيهاتهم، كان للنبي مثل هذه المواقف التي لم يسجّلها التاريخ - بسبب الأجواء المظلمة والقمعية للحاكم - إلا القليل منها. لديها. على أيّ حال، لم يضيّع الإمام السجاد لحظة في شرح العقائد والمعتقدات الإسلامية للمجتمع الإسلامي.

---

[1] الأمالي، للطوسي: ٥٣٩.

[2] مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: ١٢/ ٣٢٣.

[3] م. ن: ١٢/ ٣٢٣.

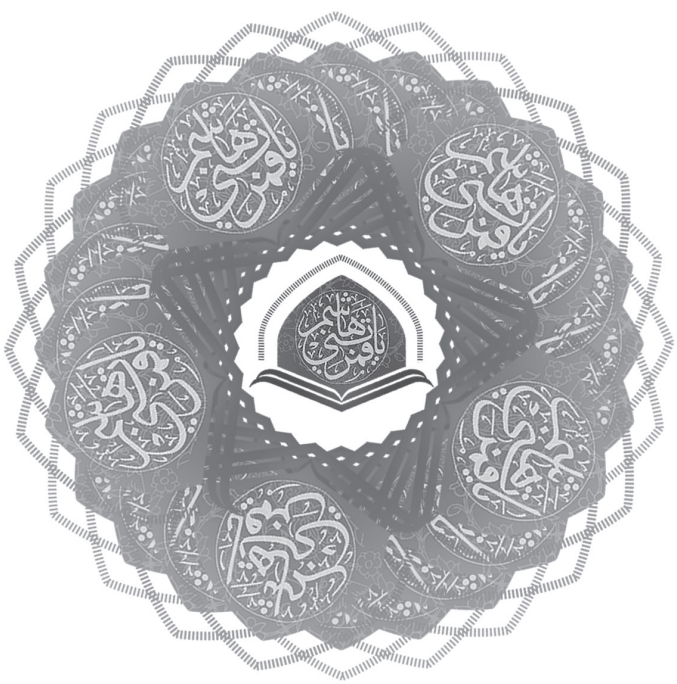

دروس من حياة مولانا علي الأكبر عليه السلام

الشيخ صلاح قاسم

الشباب ربيع الحياة وموسمها، ولا توجد فترة حياة مثل أيّام الشباب المورقة والسعيدة، ولا يوجد نشاط وحيوية كما هو الحال في الشباب، بل لا يمكن تحقيق كثير من الانتصارات والنجاحات إلّا في ظلّ الشباب، ولا يمكن تحقيق كثير من الطموحات والأهداف إلّا في سنٍّ مبكر.

الشباب فرصة، على عكس العديد من الفرص الأخرى، ولا تتاح إلّا مرة واحدة للجميع، ولن تتكرّر أبدًا عندما يتعلّق الأمر بذلك. لذلك، أصبحت هي الفرصة الذهبية وأنقى النعم، ولا يسع المرء أن يشكّ في أنَّ إضاعة أيّام الابتهاج وإهدار الربيع هذا سيؤدّي إلى محنة ومشكلة.

لكن هذه الأيام لها مطالب معيّنة تُشكّل جزءًا من الأشخاص الذين يتعاملون مع الشباب، فالشباب يتميّزون بالحيوية، والكرامة، والكمال، والمثالية، ...الخ؛ ويحتاجون لكثير من المفاهيم التي تُساهم في صقل شخصيّتهم مثل العبادة والدعاء، والمعرفة والاعتدال الغريزي، وتنقية الذات، والنّهوض بالمسؤولية.

مما لا شكّ فيه، أنَّ التفاعل الصحيح مع الشاب يتطلّب المعرفة والوعي، بحيث يؤدّي سلوك الشخص اللاواعي وغير المناسب أحيانًا إلى تدمير مواهبه المادّيّة والرّوحية وجعله مُحبطًا إلى الأبد، فالشاب يمتلك روحًا لطيفة وعواطف حسّاسة. لذلك يجب أن يكون التعامل معه بدقّة، وإذا أردنا تقديم المشورة له، فيجب أن تقدم مع الأخلاق الحسنة، وإذا صدر منه خطأ في بعض الأحيان فعلينا أن نتصرّف بلون من التسامح.

"فترة الشباب ـ التي هي بمثابة ربيع الحياة، والمُفعمة بالطاقة والحيويّة والنشاط ـ تظهر بفعل التغيّرات الحاصلة في الغُدد الداخلية مثل: (غدّة الهيبوفيز)، و(الغدّة الدَّرَقية) سلسلة من الأعراض الروحية والأخلاقية في الشباب، أطلقَ عليها (موريس دبس) تسمية (حياة التشنّج والأزَمات النفسية)، وعبّر عنها أفلاطون بـ(السُكر الروحي والفكري)، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **" الشَّبَابُ شُعْبَةٌ مِنَ الجُنُون"**[1].

---

[1] المجازات النبوية: ١٩٥.

ويؤدّي هذا الاختلال الأخلاقي والسلوكي إلى اضطرابات تستدعي من الآباء والأمّهات والمعلّمين والشباب أنفسهم دقّة متناهية ومراقَبة صارمة ليتمّ تجاوز هذه المرحلة بسلام»[1]. قال الإمام الصادق عليه السلام: **"بَادِرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالْحَدِيثِ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَكُمْ إِلَيْهِمُ الْمُرْجِئَةُ"**[2]. وقال عليه السلام أيضاً: **"احذَروا على شبابكم الغُلاة لا يُفسدوهم؛ فإنّ الغُلاة شرّ خَلق الله، يُصغّرون عظمة الله، ويدَّعون الربوبيّة لعباد الله"**[3].

وقال الإمام علي لدى تفسيره قوله تعالى: **"{وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا}**[4] **قَالَ**: «**لاَ تَنْسَ صِحَّتَكَ وَقُوَّتَكَ وَفَرَاغَكَ وَشَبَابَكَ وَنَشَاطَكَ أَنْ تَطْلُبَ بِهَا الْآخِرَةَ**»"[5].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: **" لَسْتُ أُحِبُّ أَنْ أَرَى الشَّابَّ مِنْكُمْ إِلَّا غَادِياً فِي حَالَيْنِ: إِمَّا عَالِماً أَوْ مُتَعَلِّماً، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَرَّطَ، فَإِنْ فَرَّطَ ضَيَّعَ، وَإِنْ ضَيَّعَ أَثِمَ، وَإِنْ أَثِمَ سَكَنَ النَّارَ، وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله بِالْحَقِّ "**[6] نحتاج إلى التفاعل مع الشباب بطريقة مشرقة وسعيدة، وفي الوقت نفسه مسؤولة ومثابرة. وكل ما يتطلّبه الأمر هو أن يتعرّف الشاب على «احتياجاته» وأن يتصرّف بطريقة عادلة ومدروسة وفق عدة طرق وقواعد مهمّة:

القاعدة الأولى: التّعرّف على الشباب

لكي نكون منصفين مع الشاب، يجب أوّلاً أن يكون لدينا فهم جيد له، مع إدراكه لضرورات شبابه، ومراقبة مجموعة من الميول الفطرية الخالصة والتوجهات الغريزية والمثيرة.

ونحتاج في تعامله وفقًا لسمات شخصية الشاب، وليس وفقًا لعقليتنا وحكم عمرنا، وبالتالي نوفّر أساسًا سلسًا للمواهب الشابة لتزدهر.

أوّل شيء يجب على المعلّمين وأولياء الأمور والأمّهات معرفته هو رعاية الشباب وكيفية التّصرّف بشكل مناسب معهم وفهم عقليتهم.

يحتاج الآباء والمعلمون إلى معرفة أنَّ شبابهم قد بلغوا سنّ الرّشد والمراهقة، وأنَّ الشباب يحبّون الاستقلال والفردية بناءً على جاذبيتهم الطبيعيّة.

إنَّها تريد أن تتخلص من قيود الطفولة في أقرب وقت ممكن، وأن تنضم إلى مجموعة البالغين وتكون حرة

---

[1] ما يحتاجه الشباب: ٢٢.

[2] الكافي: ٦/ ٤٧.

[3] إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات: ٥/ ٣٨٦.

[4] القصص: ٧٧.

[5] معاني الأخبار: ٣٢٥.

[6] الأمالي، للطوسي: ٣٠٣.

ومستقلة مثلهم.

يجب أن يكون المعلّمون والآباء على دراية بطابعهم الذي لا يُعبّر عن رغباته في العادة، ويُعبّر عنها بطرق خفيّة، ولكن إذا لم يُحقّق غرضه وفشل في تحقيق حقه الطبيعي، فسيتمرّد.

إذا كان الأهل ومن له علاقة بالشباب يتجاهل ميل الشاب فهذا سيؤدّي إلى سوء فهم الشاب، ويجر ذلك الى القساوة والضغط والتنمّر والعنف والإهانة والإذلال أو التدخل بشكل مفرط في العمل وعدّهم أطفالًا.

إنَّ حرمان الشباب من حرّيّة التّفكير يجعل الشباب يفقدون قوّة مقاومتهم، أو الخضوع للوضع الرّاهن، أو مقاومة الآباء والمربّين، والذي بدوره سيكون ضارًّا؛ لأنَّه سيكلّفه ووالديه والمربّين الصراع. لذلك فإنَّ الشرط الأكثر أهمّيّة والأولى للنجاح في التعامل مع الشاب هو فهمه الصحيح له، ومن ثم السلوك مع هذا الفهم الجيد.

ويمكن إجمال أهم التغيرات النفسية والأخلاقية بما يلي:

١ ـ بروز العاطفة.

٢ ـ تخبّط الشباب في أحلام اليقظة.

٣ ـ عدم الانسجام مع واقعية الحياة .

٤ ـ كتلة من المتطلّبات.

٥ ـ العُجب والاغترار المُخادع!.

٦ ـ الوسوسة في انتخاب المِهن والأعمال.

٧ ـ سوء الظنّ حالة طبيعية في هذه المرحلة .

٨ ـ الاعتداد بالنفس، وشعور العَظمة على الشباب.

٩ـ الحاجةُ إلى المحبّة.

١٠ ـ التغيّر السلوكي والأخلاقي، واختلال الأعمال، وفوران الغريزة الجنسية.

القاعدة الثانية: تنمية الثقة بالنفس للشباب

إنَّ العمل على هذه النقطة يُساهم في الحفاظ على شخصيتهم وتناميها، كما أنَّه يؤدّي للحصول على مجموعة متنوّعة من الفضائل والصفات. وهكذا تصبح شخصيّتهم عقبة أمام تحقيق الشرور وعاملًا في تحقيق الخير.

تُعدّ «الثقة بالنفس» و «العزم» كلّ منهما قوّة دافعة للانتقال إلى القمّة، وجزءًا آخر من شخصية الشباب. لا شك أنَّ احترام الشباب واحترام شخصيتهم يمثّل من الناحية الدينية واحدة من الواجبات المحددة للآباء والأمهات وعامّة الناس.

الرسول الأعظم ﷺ يختار الشباب الصالحين

لقد كان الرسول الأعظم ﷺ يختار الشباب المؤمنين الصالحين، ويجعلهم في بعض المناصب والوظائف الحساسة، لإدارة ما يرتبط بالأمة الإسلامية؛ والسبب في ذلك الاختيار يرجع إلى أمور عدّة:

أوّلاً: وجود القابلية على العمل والإبداع، واستعداد دائم للتضحية من أجل أفكاره وآرائه، ويحاول أن يضحّي بنفسه من أجلها.

ثانياً: يشعر الشاب بتفتح عقله، وأنّ مواهبه تتفجّر، حيث يبدأ بالتفكير الدقيق، فتشخص في ذهنه كثير من الأسئلة وعلامات الاستفهام عن الحياة والمجتمع، والتي لابُدَّ له من تحصيل الإجابة عنها؛ لذلك نراه يقوم بالبحث عن الأجوبة، ولو كلّف ذلك حياته أحياناً، فتراه مستعدًّا لأن يعتنق الفكرة الجديدة التي ينسجم معها أحياناً مهما كانت خطورتها ومصاعبها.

وإنَّنا إذا راجعنا التاريخ متتبّعين فيه حياة الأنبياء عليهم السلام يتبيّن لنا أنَّ العديد من الرسالات السماوية إنَّما قامت على أكتاف الشباب، فهم الذين كانوا يتسابقون إلى الإيمان بالدِّين، وتقبّل تلك الأفكار الجديدة، وكانوا على أهبة الاستعداد دائماً للتضحية في سبيل هذه المبادئ القيّمة.

فمثلاً: عندما صدع رسول الله ﷺ بالدين الجديد والأفكار الإسلامية الجديدة، نرى أنَّ الذين سارعوا إلى الإيمان به ﷺ واعتنقوا الدين الجديد كان منهم ثلّة ومجموعة من الشباب، فأوّل من آمن وأسلم هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والذي كان عمره لا يتجاوز العشر سنين[1]، وكان منهم جعفر بن أبي طالب، وعمّار بن ياسر، ومصعب بن عمير، وبلال الحبشي، ومعاذ بن جبل، وزيد وغيرهم[2]، وهذا سبب من أسباب عديدة وقع بموجبها اهتمام الرسول الأعظم ﷺ بالشباب وتحميلهم مسؤوليات كبيرة في أمور الدولة الإسلامية.

روي عن إسماعيل بن عبد الخالق قال: **"«أَتَيْتَ الْبَصْرَةَ»؟**

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: «كَيْفَ رَأَيْتَ مُسَارَعَةَ النَّاسِ فِي هَذَا الْأَمْرِ وَ دُخُولَهُمْ فِيهِ»؟.

فَقَالَ: وَاللهِ إِنَّهُمْ لَقَلِيلٌ، وَقَدْ فَعَلُوا وَإِنَّ ذَلِكَ لَقَلِيلٌ.

فَقَالَ: عَلَيْكَ بِالْأَحْدَاثِ فَإِنَّهُمْ أَسْرَعُ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ"[3].

---

[1] عن سعيد، قال: (أسلم علي عليه السلام وهو ابن ثمان سنين وهاجر وهو ابن ثمان عشر سنة وشهد بدرا، فقتل من قتل يومئذ وكان ما كان منه وهذه سنّه). شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام: ١/ ١٧٩.

[2] لا يخفى أن كل هؤلاء الصحابة قد أسلموا في بداية الدعوة المحمدية وأغلبهم لا يتجاوز عمره العشرين عاماً، وقد روي: ([ان معاذ بن جبل] بعثه[ﷺ] إلى اليمن السنة التاسعة من الهجرة بعد قدوم رسول ملوك حمير، وقبل ذلك سنة ثمان بعد الفتح تركه النبي ﷺ بمكة يفقه الناس). م. ن: ١/ ١٧٨.

[3] قرب الإسناد: ١٢٨.

ويقول أمير المؤمنين ﷺ: **" أَيْ بُنَيَّ إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنّاً وَرَأَيْتُنِي أَزْدَادُ وَهْناً بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ وَأَوْرَدْتُ خِصَالًا مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أُفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي أَوْ أَنْ أُنْقَصَ فِي رَأْيِي كَمَا نُقِصْتُ فِي جِسْمِي أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى وَفِتَنِ الدُّنْيَا فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ فَبَادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ وَ يَشْتَغِلَ لُبُّكَ لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَ تَجْرِبَتَهُ فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَئُونَةَ الطَّلَبِ وَعُوفِيتَ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَةِ فَأَتَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ وَاسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْه"**[1].

القاعدة الثالثة: التبادل العاطفي مع الشباب

بالإضافة إلى وجود الضمير والغريزة والعقلانية، لدى البشر أيضًا مشاعر وعواطف؛ لذلك، يحتاجون إلى حب الآخرين وعواطف من حولهم، وإذا ترك هذا الجزء من الكائن البشري دون إجابة، وحرمانه من محبة الآخرين وعاطفتهم، فسوف يتطوّر شعور بالوحدة والعزلة من المجتمع، ومن ثم يصبح مكتئبًا. وفقًا لذلك، فإنَّ أحد واجبات الوالدين التفاعل مع الشباب عاطفيًّا.

كما يتبع الآباء خطّة اقتصادية محدّدة وخطّة لتعديل دخلهم ونفقاتهم، فهناك لا بُدَّ من خطّة إلى علاقات متوازنة وعاطفية، وهذا بدوره سيؤدّي إلى تدفّق الدوافع العاطفية بينهما هو ما يُلبّي الاحتياجات العاطفية لكلا الطرفين.

من خلال هذه التبادلات، يُخلق الشعور بالأمان والثقة، ويملأ روح السعي الشبابي، والنتيجة الطبيعية لذلك هي الشعور بالانتماء إلى الأسرة، بالإضافة إلى روح التفاؤل والمراهقة الإيجابيّة.

أحد الأخطاء الشائعة والمشتركة لبعض الآباء هو أنَّهم يعدّون ضرورة التبادل العاطفي فقط في مرحلة الطفولة، أمّا مرحلة المراهقة والشباب فيعدّونها غير ضروريّة، مع أنَّه في جميع مراحل الحياة، حتى في لحظة الموت، يتوقّع المرء حبّ الآخرين وتعاطفهم، ولكن ينبغي التعبير عن المودة بشكلٍ مختلف في كلّ فترة حياة، بما في ذلك شبابه وفرص استقلاله النّسبي.

لذلك نرى سيد الشهداء ﷺ، كان يُعبر عن عاطفته ويشركه في أموره، ولذلك يُروى أنَّه لّما ارتحل الإمام الحسين ﷺ من قصر بني مقاتل، فقال عقبة بن سمعان: **" سِرْنَا مَعَهُ سَاعَةً فَخَفَقَ وَهُوَ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ خَفْقَةً ثُمَّ**

---

[1] شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٦٦.

انْتَبَهَ وَهُوَ يَقُولُ {إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ}[1] **{وَالْحَمْدُ لله رَبِّ الْعالَمِينَ}**[2] **فَفَعَلَ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثاً فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ ابْنُهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام عَلَى فَرَسٍ فَقَالَ مِمَّ حَمِدْتَ اللهَ وَاسْتَرْجَعْتَ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ إِنِّي خَفَقْتُ خَفْقَةً فَعَنَّ لِي فَارِسٌ عَلَى فَرَسٍ وَهُوَ يَقُولُ: الْقَوْمُ يَسِيرُونَ وَالْمَنَايَا تَصِيرُ إِلَيْهِمْ فَعَلِمْتُ أَنَّهَا أَنْفُسُنَا نُعِيَتْ إِلَيْنَا فَقَالَ لَهُ يَا أَبَتِ لَا أَرَاكَ اللهُ سُوءاً أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ قَالَ بَلَى وَالَّذِي إِلَيْهِ مَرْجِعُ الْعِبَادِ قَالَ فَإِنَّنَا إِذاً لَا نُبَالِي أَنْ نَمُوتَ مُحِقِّينَ فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ عليه السلام جَزَاكَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ خَيْرَ مَا جَزَى وَلَداً عَنْ وَالِدِهِ"**[3].

فنرى هنا التبادل العاطفي بين الأب وابنه، كما نرى رباطة وقوّة الشباب، وكيفية الاعتماد عليهم.

القاعدة الرابعة: التشاور مع الشباب

التحدّث إلى الشاب ووضعه على جانب التشاور، بالإضافة إلى أن يؤدّي إلى ديناميكية وازدهار وتجديد فكره ودفعه إلى طلب المشورة الصّحيحة والفعّالة، يمنحه شعورًا «مهمًّا» و «الاعتناء»، وبالتالي، يخلق شعورًا بالقيمة واحترام الذات، مما يجعل الشاب يجد نفسه؛ لإثبات نفسه؛ للتعبير عن نفسه ولأنّه مليء بالذات، ليشعر بالشّخصيّة.

إذا قام الوالدان بدعوة الشّاب في مجلس العائلة للتعاون والتشاور الفكري، فقد أخذوا في الاعتبار عمليًّا قيمته الرّوحيّة وبالتالي تلبية طلبه بالاحترام والاستقلال.

كما أنّه يعزّز الرّوابط بين الوالدين والشباب، ويعزّز الشعور بالانتماء إلى الأسرة، فضلاً عن تنمية الهويّة وتطورها، والتشاور هو أحد العوامل التي ستكون لها تأثيرات جيّدة على شخصيّتهم:

فهي تؤدّي إلى:

ترشيد الحياة وانضباطها، لأنَّ كلَّ سؤال يمثّل فرصة للتفكير وحلّ المشكلة التي يواجهونها.

يزيد من شعور الشّخص بالمسؤولية في مواجهة الحياة ويعزّز الشعور بالامتنان للفوائد والفرص المتاحة.

إنَّ الاستشارة تعزّز «الاختيار»، وإنَّ نتيجة هذا الاختيار هي حياة عقلانية واعية، وفي الواقع، فإنَّ تحقيق ذلك هو بحدِّ ذاته طموح تعليميّ.

لقد ضرب الإمام الحسين عليه السلام في التشاور مع الشباب من خلال سلوكه مع ولده علي الأكبر عليه السلام، فلمّا وصل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه أرض كربلاء القريبة من نهر الفرات الجاري، منع عمر بن

---

[1] البقرة: ١٥٦.

[2] الصافات: ١٨٢.

[3] الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ٢/ ٨٢. بحار الأنوار: ٤٤/ ٣٧٩-٣٨٠.

سعد الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه من ورود الماء والانتهال من غيره ـ جعل على الشريعة أربعة آلاف من عسكره بإمرة الحجاج الزبيدي(عليه اللعنة) ـ ولما أضرّ العطش بالحسين عليه السلام سيّد شباب أهل الجنة وأهل بيته وأصحابه في اليوم الثامن من محرم الحرام سنة ٦١ هـ، أخرج الإمام عليه السلام ولده عليًّا الأكبر عليه السلام للاستقاء، وخرج معه ثلاثون فارسًا وعشرون راجلاً يحملون القرب لحمل الماء، وبعد جهاد شديد ملكوا المشرعة وملأوا أسقيتهم وعادوا إلى المخيّم سالمين بالماء، ليروا ظمأ الأطفال والعيال والأصحاب. وما عسى أن تنفع هذه الكمّيّة القليلة من الماء وهم زهاء المائتين مع خيولهم ودوابهم، فسرعان ما نفد الماء وعاد الظمأ إليهم.

إنَّ الإمام الحسين عليه السلام لما اجتمع ليلة عاشوراء بابن سعد، ولم يُحضِر أحداً إلّا أخاه العباس وابنه علي الأكبر عليهما السلام، وهذا دليل واضح على عظمة عقل هذا الشاب الذي أشركه الإمام عليه السلام في أعظم ملحمة شهدها التاريخ.

القاعدة الخامسة: بيان القدوة الصالحة لهم

وخير أسوة الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله: **{لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَّ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَّ كَثِيرًا}**[1]، وأهل بيته -صلوات الله عليهم-، وسيّدنا علي الأكبر عليه السلام أشبه الناس خلقًا وخُلقًا ومنطقًا برسول الله صلى الله عليه وآله، ويمكن لنا أن نعرف عظمة هذا الشاب من خلال الآيات والنصوص الشريفة التي تحدّثت عنه صلى الله عليه وآله.

قال عزّوجل في كتابه العزيز: **{وإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}**[2].

وقال سبحانه وتعالى: **{لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً}**[3].

علي الأكبر أسوة الشباب

كان عليه السلام من أصبح الناس وجهًا وأحسنهم خُلُقًا، وكان يشبه جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله في المنطق والخَلق والخُلق. قال الإمام الحسين عليه السلام حينما برز علي الأكبر يوم الطفِّ: **" اللهُمَّ اشْهَدْ فَقَدْ بَرَزَ إِلَيْهِمْ غُلَامٌ أَشْبَهُ النَّاسِ خَلْقاً وَخُلُقاً وَمَنْطِقاً بِرَسُولِكَ** صلى الله عليه وآله**"**[4].

---

[1] الأحزاب: ٢١.

[2] القلم: ٤.

[3] الأحزاب: ٢١.

[4] اللهوف على قتلى الطفوف: ١١٣.

وقال الشيخ عبد الحسين العاملي[1](رحمة الله عليه):

جمـع الصفاتِ الغرَّ فهي تراثُه عن كلِّ غطريفٍ وشهمٍ أصيدِ

في بأسِ حمزة في شجاعة حيدرٍ بإبى الحسين وفي مـــهابة أحمدِ

وتراه في خُلقٍ وطيب خـلائقٍ وبلـيغِ نُطقٍ كالنبيِّ محمّـــــدِ

لقد كان علي الأكبر ﷺ إبان شبابه عليه سيماء العظمة وسمّو الذات، وظاهر الشجاعة والكرم وأنّ الواصف له مهما بالغ في وصفه لم يبلغ ما يتحلّى به من مكارم الأخلاق، ولا غَرو فهو غُصنٌ من أغصان الدَوحة الهاشميّة وفرع من الشجرة العلويّة.

"وما قولنا بأنَّه شبيه جدّه رسول الله ﷺ مأخوذ من راوٍ أو مؤرّخ أو شاهد عيان بسيط ومعاصر عادي، وإنّما هو مأخوذ عن شاهد دقيق النظر، صادق صدوق؛ فقد صرّح بذلك والده الإمام الحسين ﷺ، وعنه روى الراوي وأرّخ المؤرخ، ولاسيما وأنّ الإمام ﷺ أعرف الناس برسول الله ﷺ، وأكثرهم التصاقًا به، وأشدّهم تعلّقاً به، كما أنّه ورث منه واكتسب عنه.

فلمّا ولد نجله علي الأكبر وشبّ يافعاً فقد أخذ يوحي بصورته وأخلاقه ومنطقه إلى الرسول ﷺ، فأضحى ذكراه وتذكاره حتّى كان الناس من أهل المدينة يشتاقون لرؤياه ﷺ.

وكان علي الأكبر من أصبح الناس وجهًا وأحسنهم خلقًا"[2] حسبما اتّفق المؤرّخون فضلًا عن اتّفاقهم وإجماعهم على مضمون تصريح أبيه الحسين ﷺ من كونه مثيل الرسول ﷺ من حيث الخلقة والأخلاق والنطق.

إنَّ التأكيد على التقاء علي الأكبر بالنبي الأعظم ﷺ في مميزاته يرجع إلى أسباب هامة ومبررات موضوعية جادّة، منها مثلاً:

١ - إجلاء الشخصيّة الحيوية السامية، لا لأنّها منتسبة إلى الرسول ﷺ؛ وإنَّما لما اتّسمت به ممّا توفّر في شخص الرسول ﷺ بالذات، ولمضمون الشخصيّة ومحتواها، وبحكم أنَّها تُشكل المثل الأعلى.

٢ - إنّ الانتساب للرسول ﷺ كان يكفي للاحترام والامتناع عن القتل، ولكن الأوصاف والصفات كانت تشكّل حجة أكبر بجمعها مع النسب الشريف المقدَّس؛ ومن هنا كان العدو يخشى قتل علي الأكبر أو

---

[1] هو عبد الحسين بن عبد الكريم صادق العاملي ولد في النجف الأشرف في سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م. حيث كان والده يتلقى العلوم الدينية ولما اتم السنة الأولى من عمره عاد به والده الى الخيام موطن آبائه واجداده. تنقل خلال طفولته بين مدرستي "مجدل سلم وعيتا" فدرس النحو والصرف والمنطق والبيان والمقدمات الفقه واصوله. هاجر سنة ١٣٠٠هـ الى النجف الاشرف طلبا للعلم. فمكث فيها سبعة عشر عاما فعاد الى بلدته الخيام سنة ١٣١٦هـ... توفي ودفن في النبطية سنة ١٩٤٥هـ. عاشوراء في الادب العاملي المعاصر: ١٠٠.

[2] لواعج الاشجان في مقتل الامام الحسين ﷺ: ١٣٠.

يتجنّبه كما قيل، لا لأنَّه سليل الرسول ﷺ، بل لما فيه من اجتماع لمواصفات الرسول ﷺ [1]، بيد أنَّـهم تناسوا ذلك كله فانتهكوا حرمته.

٣ - إنّ أوصافهم وصفاتهم تُعطي إيحاءات راقية، ومفاهيم خلقية، وقيماً ومُثلاً نبيلة لها دورها في إبراز مصداقية المعاني السامية الكريمة التي تكمن فيهم والتي يتسربلون بها.

وأخيرًا فمن الضروري جدًّا إدراك هذه الناحية، وهي أنَّه ليست المميزات المتطابقة مهمّة بقدر أهمّيّة تطابق المواقف الرّساليّة. وقد شهد التاريخ لعلي الأكبر مواقف جدّه الصلبة الصارمة، وشهد له أنَّه شبيه جدّه رسول الله ﷺ خلقاً وخُلقاً ومنطقاً، وموقفاً وعملاً.

فنحن إذ نقف على الخصال الخيرة المتطابقة فليس على حساب تطابق النّتائج، ولاسيما وأنَّ ثمّة علاقة بين المميزات المتشابهة كمقدّمات وبين المواقف المصيرية كنتائج.

---

[1] جاء عنه أثناء دخوله ساحة المعركة أنه أخذ يكر عليهم وهم لا يجسرون على قتله؛ لأنه شبيه بجده رسول الله ﷺ، وفيه شجاعة حيدر ﷺ. سفينة النجاة: ١ / ٧٤.

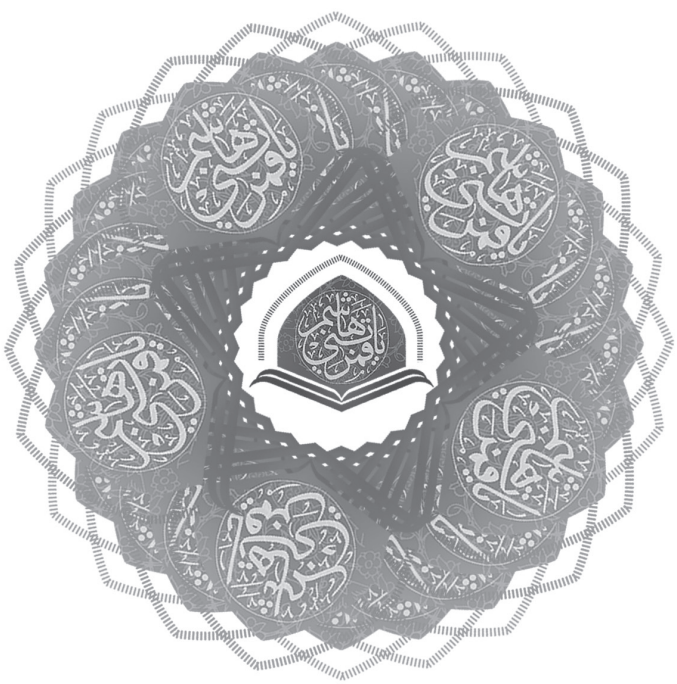

الحكومة المهدوية

الصفات والتكليف

الاستاذ أحمد كاظم

الاعتقاد بظهور الإمام المهدي -عجل الله فرجه- في آخر الزمان له جذور عميقة في قلب التاريخ، وليس مقصوراً على الإسلام ومدرسة أهل البيت ﷺ، فجميع الدِّيانات السماوية تبشر بظهوره، بغضِّ النظر عن الاختلافات والسمات والصفات التي تكلَّمت عنها كلُّ الدِّيانات والمذاهب.

إنَّ الأمة التي ستعيش في عهد الإمام صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف) سوف تعبد الله-تعالى-، ولا ترتبط، ولا تؤمن، ولا تتعارض مقاصدها مع الله-تبارك وتعالى-. هذا هو مجتمع إمام العصر-عجل الله تعالى فرجه-.

خصائص حكم الإمام صاحب الزمان (عجل الله فرجه الشريف)

حكم الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) له الخصائص التالية:

- **عالمي.**
- **قائم على الإسلام.**
- **إنّه الكمال؛ لأنه يستند إلى نظام الله تعالى.**
- **المحكوم سيكون شعباً مثاليّاً.**

هذه هي السِّمات العامَّة لحكم الإمام -عجل الله تعالى فرجه- وكلٌّ منها يتطلب مناقشة واسعة النطاق.

- **معيار كونها عالميّة**

هناك آيات قرآنية عديدة تبين هذه الحقيقة: قال الله -تبارك وتعالى-: **{يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}**[1].

وقال -سبحانه-: **{وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ**

[1] التوبة: ٣٢-٣٣.

الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَني لا يُشْرِكُونَ بي شَيْئاً وَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ}[1].

وقال –تبارك وتعالى–: **{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً}**[2].

حيث نصّت هذه الآية المباركة على أنّ إظهار دين الحق سيتحقّق لامحالة، وهذه البشارة ليست لمطلق الصلحاء والمستضعفين، بل هي لنبي الإسلام ﷺ وللدين الإسلامي الحنيف، ولذلك تعدّ أخصّ من الآيات السابقة، فإنَّ الدين الذي سيظهر على الأديان الأُخرى هو الدين الإسلامي حيث سيحكم القرآن والعترة الطاهرة عليهم السلام على جميع الأرض.

وهي تدلّ بوضوح على أنَّ الله –تعالى– قد عهد إلى نبيّه ﷺ بإظهار الدين الإسلامي وسيادته على جميع الأديان في الأرض، وبما أنّ رسول الله ﷺ ارتحل عن هذه الدنيا، ولم تتوفّر الظروف والشرائط لتتحقق هذه البشارة الإلهية بشكلٍ كامل حيث إنّه توفّي والإسلام لم يكن سائداً على الأرض كله، بل كان في الحجاز، واليمن، وحدود اليمامة، وحدود الشام، والكويت، و...، فإنّ حفيده الثاني عشر الإمام المهدي المنتظر عليه السلام سيقوم بأعباء هذه المسؤولية، ويحيي شريعة الإسلام في العالم كلِّه، وستتحقق البشارة الإلهية في عهده عليه السلام حيث يرث الأرض كلَّها، وترفرف راية الإسلام على المعمورة بأجمعها.

هذا الظهور الحتمي الوقوع إنَّما يتحقق في عصر الإمام المهدي الموعود حيث يظهر الإسلام على جميع الأديان فيعم العالم أجمع، وتقام الدولة الإسلامية العالمية؛ لأنَّ المقصود من الإظهار هو الغلبة والاستيلاء وليس مجرد قوّة الحجّة; لأنَّ غلبة الحجة أمر حاصل ابتداء ولا يبشر الله عز وجل إلاّ بأمر مستقبل غير حاصل.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: **"إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَيَجْرِي سُنَّتَهُ فِي الْقَائِمِ مِنْ وُلْدِي فَيُبَلِّغُهُ شَرْقَ الْأَرْضِ وَغَرْبَهَا حَتَّى لَا يَبْقَى منهلا [مَنْهَلٌ] وَلَا موضعا [مَوْضِعٌ] مِنْ سَهْلٍ وَلَا جَبَلٍ وَطِئَهُ ذُو الْقَرْنَيْنِ إِلَّا وَطِئَهُ وَيُظْهِرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ كُنُوزَ الْأَرْضِ وَمَعَادِنَهَا وَيَنْصُرُهُ بِالرُّعْبِ فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ بِهِ عَدْلًا وَقِسْطاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً"**[3].

وعن السيد ابن محمد الحميري ـ في حديث طويل ـ يقول فيه: **"يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ قَدْ رُوِيَ لَنَا أَخْبَارٌ عَنْ آبَائِكَ عليهم السلام فِي الْغَيْبَةِ وَصِحَّةِ كَوْنِهَا فَأَخْبِرْنِي بِمَنْ تَقَعُ فَقَالَ عليه السلام إِنَّ الْغَيْبَةَ سَتَقَعُ بِالسَّادِسِ مِنْ وُلْدِي وَهُوَ الثَّانِي**

---

[1] النور: ٥٥.

[2] الفتح: ٢٨.

[3] كمال الدين وتمام النعمة: ٢/ ٣٩٤.

عَشَرَ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْهُدَاةِ بَعْدَ رَسُولِ اللهﷺ أَوَّلُهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَآخِرُهُمُ الْقَائِمُ بِالْحَقِّ بَقِيَّةُ اللهِ فِي الْأَرْضِ وَصَاحِبُ الزَّمَانِ وَاللهِ لَوْ بَقِيَ فِي غَيْبَتِهِ مَا بَقِيَ نُوحٌ فِي قَوْمِهِ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَظْهَرَ فَيَمْلَأَ الْأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً"[1].

وعن أبي بصير قال: "سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام يَقُولُ إِنَّ سُنَنَ الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام بِهِمْ مِنَ الْغَيْبَاتِ حَادِثَةٌ فِي الْقَائِمِ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ وَالْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ قَالَ أَبُو بَصِيرٍ فَقُلْتُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ وَمَنِ الْقَائِمُ مِنْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ فَقَالَ يَا أَبَا بَصِيرٍ هُوَ الْخَامِسُ مِنْ وُلْدِ ابْنِي مُوسَى ذَلِكَ ابْنُ سَيِّدَةِ الْإِمَاءِ يَغِيبُ غَيْبَةً يَرْتَابُ فِيهَا الْمُبْطِلُونَ ثُمَّ يُظْهِرُهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَيَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدِهِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا وَ يَنْزِلُ رُوحُ اللهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام فَيُصَلِّي خَلْفَهُ وَتُشْرِقُ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَلَا تَبْقَى فِي الْأَرْضِ بُقْعَةٌ عُبِدَ فِيهَا غَيْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا عُبِدَ اللهُ فِيهَا وَيَكُونُ {الدِّينُ كُلُّهُ لله}[2] {وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}" [3].

وعن دعبل بن علي الخزاعي قال: " أَنْشَدْتُ مَوْلَايَ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى عليه السلام قَصِيدَتِي الَّتِي أَوَّلُهَا:

مَدَارِسُ آيَاتٍ عَفَتْ مِنْ تِلَاوَةٍ وَمَهْبِطُ وَحْيٍ مُقْفِرُ الْعَرَصَاتِ

فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى قَوْلِي:

خُرُوجُ الْإِمَامِ لَا مَحَالَةَ خَارِجٌ يَقُومُ عَلَى اسْمِ اللهِ وَالْبَرَكَاتِ

يُمَيِّزُ فِينَا كُلَّ حَقٍّ وَبَـــاطِلٍ وَيُجْزِي عَلَى النَّعْمَاءِ وَالنَّقِمَاتِ

بَكَى الرِّضَا عليه السلام بُكَاءً شَدِيداً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ الشَّرِيفَ إِلَيَّ وَقَالَ يَا خُزَاعِيُّ نَطَقَ رُوحُ الْقُدُسِ عَلَى لِسَانِكَ بِهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فَهَلْ تَدْرِي مَنْ هَذَا الْإِمَامُ وَمَتَى يَقُومُ قُلْتُ لَا يَا مَوْلَايَ إِلَّا أَنِّي سَمِعْتُ بِخُرُوجِ إِمَامٍ مِنْكُمْ وَيُطَهِّرُ الْأَرْضَ مِنَ الْفَسَادِ وَيَمْلَأُهَا عَدْلًا فَقَالَ يَا دِعْبِلُ الْإِمَامُ بَعْدِي مُحَمَّدٌ ابْنِي وَبَعْدَ مُحَمَّدٍ ابْنُهُ عَلِيٌّ وَبَعْدَ عَلِيٍّ ابْنُهُ الْحَسَنُ وَبَعْدَ الْحَسَنِ ابْنُهُ الْحُجَّةُ الْقَائِمُ الْمُنْتَظَرُ فِي غَيْبَتِهِ الْمُطَاعُ فِي ظُهُورِهِ لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطَوَّلَ اللهُ لَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَخْرُجَ فَيَمْلَأَهَا عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرا"[4].

وعن الريان بن الصلت قال: " قُلْتُ لِلرِّضَا عليه السلام أَنْتَ صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ فَقَالَ أَنَا صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ وَلَكِنِّي لَسْتُ بِالَّذِي أَمْلَؤُهَا عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَكَيْفَ أَكُونُ ذَلِكَ عَلَى مَا تَرَى مِنْ ضَعْفِ بَدَنِي وَإِنَّ الْقَائِمَ هُوَ الَّذِي إِذَا خَرَجَ كَانَ فِي سِنِّ الشُّيُوخِ وَمَنْظَرِ الشُّبَّانِ قَوِيّاً فِي بَدَنِهِ حَتَّى لَوْ مَدَّ يَدَهُ إِلَى أَعْظَمِ شَجَرَةٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ

---

[1] كمال الدين وتمام النعمة: ١/ ٣٣.

[2] الأنفال: ٣٩.

[3] كمال الدين وتمام النعمة: ٢/ ٣٤٥.

[4] كفاية الأثر في النص على الأئمة الإثني عشر: ٢٧٥-٢٧٦.

لَقَلَعَهَا وَلَوْ صَاحَ بَيْنَ الْجِبَالِ لَتَدَكْدَكَتْ صُخُورُهَا يَكُونُ مَعَهُ عَصَا مُوسَى وَخَاتَمُ سُلَيْمَانَ عليه السلام ذَاكَ الرَّابِعُ مِنْ وُلْدِي يُغَيِّبُهُ اللهُ فِي سِتْرِهِ مَا شَاءَ ثُمَّ يُظْهِرُهُ فَيَمْلَأُ بِهِ الْأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً"[1].

- **خاصية كونها إسلامية**

السمة الثانية للإمام عليه السلام هي دينه وإسلامه، ومعنى الإسلام هو رفض نظرية تسمى «العلمانية» لأنَّ كل إنسان لديه إيمان بحكومة الإمام العالمية.

بالطبع، يمكن تقديم مناقشات حول علاقة الدين بالدولة، وينبغي دراسة حجج أولئك الذين يقولون أنَّ الدين ليس له دور في مجال الحكم، والثابت أنَّ جميع الديانات الإسلامية – بما في ذلك الشيعة والسّنّة والمعتزلة والأشعري وحتى الخوارج، الدولة – تؤمن بحكومة إسلامية ستكون في آخر الزمان.

- **كونها تستند الى النظام المعصوم**

فقد ورد في العديد من الأخبار أنَّ نهج إمام الزمان عليه السلام هو نفس نهج رسول الله صلى الله عليه وآله وبذلك يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً[2].

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **" التَّاسِعُ مِنْهُمْ قَائِمُ أَهْلِ بَيْتِي وَمَهْدِيُّ أُمَّتِي أَشْبَهُ النَّاسِ بِي فِي شَمَائِلِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ لَيَظْهَرُ بَعْدَ غَيْبَةٍ طَوِيلَةٍ وَحَيْرَةٍ مُضِلَّةٍ فَيُعْلِنُ أَمْرَ اللهِ وَيُظْهِرُ دِينَ الْحَقِّ وَيُؤَيَّدُ بِنَصْرِ اللهِ وَيُنْصَرُ بِمَلَائِكَةِ اللهِ فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً"**[3].

وعن محمّد قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن القائم إذا قام بأي سيرة يسير في الناس؟

فقال عليه السلام بسيرة ما سار به رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى يظهر الإسلام.

قلت: وما كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال: **" أبطل ما كانت في الجاهلية، واستقبل الناس بالعدل، وكذلك القائم عليه السلام إذا قام يبطل ما كانت في الهدنة ممّا كان في أيدي الناس ويستقبل بهم العدل"** [4].

- **المحكومون شعب مثالي:**

إنّ المجتمع في عصر الإمام المهدي عليه السلام وإن لم يكن كلّه معصوماً، ولكن بالنسبة إلى الأغلبيّة من المجتمع سوف تكون فيه حالة العصمة، بمعنى أنّ أغلب المجتمع، أو أنّ النسبة العامّة في مجتمع الإمام المهدي عليه السلام

---

[1] كمال الدين وتمام النعمة: ٢/ ٣٧٦.

[2] الأمالي للصدوق: ٣٣٨.

[3] كفاية الأثر في النص على الأئمة الإثني عشر: ١٠-١١.

[4] بحار الأنوار: ج٥٢ ص٣٨١.

يكون قد تحقّق فيهم عنصر الإنسان الكامل.

وبالطبع فهم يبقون مختلفين في درجات الكمال، وإن وصلوا إلى مرتبة الإنسان الكامل بشكل عام - بحسب هذه النظرية-.

ومن جملة تلك الروايات التي تحدّثت عن قوى الإنسان الكامل في دولة صاحب الأمر ﷺ ما ورد عن الإمام الصادق ﷺ في صفة أصحاب القائم، ويقصد بأصحاب القائم المجتمع الكامل الذي يحققه الإمام المهدي ﷺ، يقول الإمام الصادق ﷺ: **"إِنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ لَيُعْطَى قُوَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا وَإِنَّ قَلْبَهُ لَأَشَدُّ مِنْ زُبَرِ الْحَدِيدِ وَلَوْ مَرُّوا بِجِبَالِ الْحَدِيدِ لَقَلَعُوهَا وَلَا يَكُفُّونَ سُيُوفَهُمْ حَتَّى يَرْضَى اللهُ عَزَّ وَجَل"**[1].

إنَّ هذه الروايات التي تحدّثت عن هذا الإنسان في زمان الإمام المهدي ﷺ والذي سوف يتغيّر روحياً وسوف يتغير جسمياً، وهذا التغيّر الروحي والتغيّر الجسمي نحو الكمال، وهو الكمال المنشود الذي ينسجم مع طموح الشريعة وطموح الأنبياء والأئمّة ﷺ في تكميل الإنسان في أرقى المستويات.

من واجباتنا أيّام الغيبة

- **الدعاء للفرج**

من تكاليفنا في أيّام غيبة الإمام المهدي -عجل الله تعالى فرجه الشريف-: الدعاء لفرجه الشريف ولفرج آل محمد ﷺ، وفي التوقيع الشريف عن صاحب الأمر -عجل الله تعالى فرجه الشريف- خرج على يد محمد بن عثمان، قوله: **"وَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ بِتَعْجِيلِ الْفَرَجِ فَإِنَّ ذَلِكَ فَرَجُكُم"**[2].

- **الثبات على الولاية**

ومن أهم التكاليف: الثبات على موالاتهم ﷺ، ففي الحديث عن علي بن الحسين زين العابدين ﷺ: **"مَنْ مَاتَ عَلَى مُوَالاتِنَا فِي غَيْبَةِ قَائِمِنَا أَعْطَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَجْرَ أَلْفِ شَهِيدٍ مِثْلِ شُهَدَاءِ بَدْرٍ وَأُحُد"**[3].

- **انتظار الفرج**

ومن أهم التكاليف: **"أَفْضَلُ أَعْمَالِ شِيعَتِنَا انْتِظَارُ الْفَرَج"**[4].

علماً بأنَّ انتظار الفرج ليس بمعنى الانتظار القلبي فحسب، وإن كان الانتظار القلبي منه، لكن بمعنى العمل أيضاً لأجله-عجل الله تعالى فرجه الشريف-، ولأجل أن يعجل الله ظهوره -عجل الله تعالى فرجه

---

[1] كمال الدين وتمام النعمة: ٢/ ٦٧٣.

[2] م. ن: ٢/ ٤٨٥.

[3] الدعوات، للراوندي: ٢٧٤.

[4] كفاية الأثر في النص على الأئمة الإثني عشر: ٢٨١.

الشريف-، فكما أنَّ الانتظار بالنسبة إلى الزارع أن يُهيّئ الأرض وسائر الشؤون المرتبطة بالزرع، وكما أنَّ المنتظر للضيف، عليه أن يُهيئ المقدّمات ويُهيئ نفسه لذلك، هكذا (انتظار الفرج).. فعلينا في غيبة الإمام -عجل الله تعالى فرجه الشريف- أن نُهيّء أنفسنا ومجتمعاتنا بالعمل الصالح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وننتظر دولته العادلة.

ثمّ إنَّ انتظار الفرج بالمعنى الذي ذكرناه مما ورد التأكيد عليه في الروايات، ففي الحديث: **" انَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ انْتِظَارُ الْفَرَجِ "**[1].

وعن الإمام الرضا عليه السلام أنَّه قال: **" أَنَّ مِنْ دِينِهِمُ الْوَرَعَ وَالْعِفَّةَ وَالصِّدْقَ وَالصَّلَاحَ وَالِاسْتِقَامَةَ وَالِاجْتِهَادَ وَأَدَاءَ الْأَمَانَةِ إِلَى الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ وَطُولَ السُّجُودِ وَصِيَامَ النَّهَارِ وَقِيَامَ اللَّيْلِ وَاجْتِنَابَ الْمَحَارِمِ وَانْتِظَارَ الْفَرَجِ بِالصَّبْرِ وَحُسْنَ الْعَزَاءِ "**[2].

وعن أبي الحسن الرضا عن آبائه: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **" أَفْضَلُ أَعْمَالِ أُمَّتِي انْتِظَارُ الْفَرَجِ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ "**[3].

وروي أيضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: "الْمُنْتَظِرُ لِأَمْرِنَا كَالْمُتَشَحِّطِ بِدَمِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ"[4].

فالمنتظِر يلاقي صعوبات كثيرة، حيث يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في زمان أصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً، فحينئذ يكون كالمتشحّط بدمه في سبيل الله، أمَّا الجالس المتفرّج الذي لا يعمل بواجباته فهل هو كالمتشحط بدمه!

وفي رواية عن أبي عبد الله عليه السلام لأحد أصحابه: **" مَنْ مَاتَ مُنْتَظِراً لِهَذَا الْأَمْرِ كَانَ كَمَنْ كَانَ مَعَ الْقَائِمِ فِي فُسْطَاطِهِ، لَا، بَلْ كَانَ كَالضَّارِبِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله بِالسَّيْفِ "**[5].

- **الحزن على غيبة الإمام -عجل الله تعالى فرجه الشريف-**

فيلزم أن يكون الإنسان مهموماً مغموماً لأجل غيبة الإمام المنتظر-عجل الله تعالى فرجه الشريف- ولأجل ما يراه من ضعف الدين والمؤمنين به، وما يجري عليهم من المأساة... كما ورد في دعاء الندبة:

---

[1] الخصال: ٢/ ٦١٦.

[2] عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ١٢٢.

[3] كمال الدين وتمام النعمة: ٢/ ٦٤٤.

[4] م. ن: ٢/ ٦٤٥.

[5] الإمامة والتبصرة من الحيرة: ١٢٢.

" عَزيزٌ عَلَيَّ اَنْ اَرَى الْخَلْقَ وَلا تُرى وَلا اَسْمَعُ لَكَ حَسيساً وَلا نَجْوى، عَزيزٌ عَلَيَّ اَنْ (لا تُحِيطَ بِيَ دُونكَ) تُحيطَ بِكَ دُونِيَ الْبَلْوى وَلا يَنالُكَ مِنّي ضَجيجٌ وَلا شَكْوى، بِنَفْسي اَنْتَ مِنْ مُغَيَّبٍ لَمْ يَخْلُ مِنّا، بِنَفْسي اَنْتَ مِنْ نازِحٍ ما نَزَحَ (يَنْزِحُ) عَنّا، بِنَفْسي اَنْتَ اُمْنِيَّةُ شائِقٍ يَتَمَنّى، مِنْ مُؤْمِن وَمُؤْمِنَةٍ ذَكَرا فَحَنّا، بِنَفْسي اَنْتَ مِنْ عَقيدِ عِزٍّ لايُسامى، بِنَفْسي اَنْتَ مِنْ اَثيلِ مَجْدٍ لا يُجارى، بِنَفْسي اَنْتَ مِنْ تِلادِ نِعَمٍ لا تُضاهى، بِنَفْسي اَنْتَ مِنْ نَصيفِ شَرَف لا يُساوى، اِلى مَتى اَحارُ فيكَ يا مَوْلايَ وَاِلى مَتى، وَاَيَّ خِطابٍ اَصِفُ فيكَ وَاَيَّ نَجْوى، عَزيزٌ عَلَيَّ اَنْ اُجابَ دُونَكَ وَاُناغى، عَزيزٌ عَلَيَّ اَنْ اَبْكِيَكَ وَيَخْذُلَكَ الْوَرى، عَزيزٌ عَلَيَّ اَنْ يَجْرِيَ عَلَيْكَ دُونَهُمْ ما جَرى، هَلْ مِنْ مُعينٍ فَاُطيلَ مَعَهُ الْعَويلَ وَالْبُكاءَ، هَلْ مِنْ جَزُوعٍ فَاُساعِدَ جَزَعَهُ اِذا خَلا، هَلْ قَذِيَتْ عَيْنٌ فَساعَدَتْها عَيْني عَلَى الْقَذى، هَلْ اِلَيْكَ يَا بْنَ اَحْمَدَ سَبيلٌ فَتُلْقى، هَلْ يَتَّصِلُ يَوْمُنا مِنْكَ بِعِدَةٍ فَنَحْظى، مَتى نَرِدُ مَناهِلَكَ الرَّوِيَّةَ فَنَرْوى، مَتى نَنْتَقِعُ مِنْ عَذْبِ مائِكَ فَقَدْ طالَ الصَّدى، مَتى نُغاديكَ وَنُراوِحُكَ فَنُقِرَّ عَيْناً، مَتى تَرانا وَنَراكَ وَقَدْ نَشَرْتَ لِواءَ النَّصْرِ تُرى، اَتَرانا نَحُفُّ بِكَ وَاَنْتَ تَاُمُّ الْمَلأَ وَقَدْ مَلأْتَ الاَرْضَ عَدْلاً وَاَذَقْتَ اَعْداءَكَ هَواناً وَعِقاباً، وَاَبَرْتَ الْعُتاةَ وَجَحَدَةَ الْحَقِّ، وَقَطَعْتَ دابِرَ الْمُتَكَبِّرينَ، وَاجْتَثَثْتَ اُصُولَ الظّالِمينَ، وَنَحْنُ نَقُولُ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعالَمينَ..."[1].

وإذا كان الإنسان كذلك مهمومًا مغمومًا منتظرًا لفرجه يكون قد أدّى بعض الواجب بالنسبة إلى عظم حق الإمام-عجل الله تعالى فرجه الشريف-.

الإمام الصادق عليه السلام يبكي لغيبته

عَنْ سَدِيرٍ الصَّيْرَفِيّ، قَالَ: " دَخَلْتُ أَنَا وَالْمُفَضَّلُ بْنُ عُمَرَ وَأَبُو بَصِيرٍ وَأَبَانُ بْنُ تَغْلِبَ عَلَى مَوْلاَنَا أَبِي عَبْدِ الله جَعْفَر بْن مُحَمَّدٍ عليه السلام فَرَأَيْنَاهُ جَالِساً عَلَى التُّرَابِ وَعَلَيْهِ مِسْحٌ خَيْبَرِيٌّ مُطَوَّقٌ بِلاَ جَيْبٍ مُقَصَّرُ الْكُمَّيْن وَهُوَ يَبْكِي بُكَاءَ الْوَالِهِ الثَّكْلَى ذَاتَ الْكَبِدِ الْحَرَّى قَدْ نَالَ الْحُزْنُ مِنْ وَجْنَتَيْهِ وَشَاعَ التَّغَيُّرُ فِي عَارِضَيْهِ وَأَبْلَى الدُّمُوعُ مَحْجِرَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ: (سَيِّدِي! غَيْبَتُكَ نَفَتْ رُقَادِي وَضَيَّقَتْ عَلَيَّ مِهَادِي وَأَسَرَتْ مِنّي رَاحَةَ فُؤَادِي، سَيِّدِي غَيْبَتُكَ أَوْصَلَتْ مُصَابِي بِفَجَائِعِ الأَبَدِ وَفَقْدُ الْوَاحِدِ بَعْدَ الْوَاحِدِ يُفْنِي الْجُمْعَ وَالْعَدَدَ، فَمَا أُحِسُّ بِدَمْعَةٍ تَرْقَى مِنْ عَيْنِي، وَأَنِينٍ يَفْتُرُ مِنْ صَدْرِي عَنْ دَوَارِجِ الرَّزَايَا وَسَوَالِفِ الْبَلاَيَا إِلاَّ مُثِّلَ لِعَيْنِي عَنْ عَوَائِرِ أَعْظَمِهَا وَأَفْظَعِهَا وَتَرَاقِي أَشَدِّهَا وَأَنْكَرِهَا وَنَوَائِبَ مَخْلُوطَةٍ بِغَضَبِكَ، وَنَوَازِلَ مَعْجُونَةٍ بِسَخَطِكَ قَالَ سَدِيرٌ: فَاسْتَطَارَتْ عُقُولُنَا وَلَهاً وَتَصَدَّعَتْ قُلُوبُنَا جَزَعاً عَنْ ذَلِكَ الْخَطْبِ الْهَائِلِ وَالْحَادِثِ الْغَائِلِ، وَظَنَنَّا أَنَّهُ سِمَةٌ لِكَرْوهَةٍ قَارِعَةٍ أَوْ حَلَّتْ بِهِ مِنَ الدَّهْرِ بَائِقَةٌ، فَقُلْنَا: لاَ أَبْكَى اللهُ يَا ابْنَ خَيْرِ الْوَرَى عَيْنَيْكَ مِنْ أَيِّ حَادِثَةٍ تَسْتَنْزِفُ دَمْعَتَكَ، وَتَسْتَمْطِرُ عَبْرَتَكَ، وَأَيَّةُ حَالَةٍ حَتَمَتْ عَلَيْكَ هَذَا الْمَأْتَمَ؟ قَالَ: فَزَفَرَ الصَّادِقُ عليه السلام زَفْرَةً انْتَفَخَ مِنْهَا جَوْفُهُ، وَاشْتَدَّ مِنْهَا خَوْفُهُ، وَقَالَ: (وَيْكُمْ إِنِّي

---

[1] إقبال الأعمال: ١/ ٢٩٨.

نَظَرْتُ فِي كِتَابِ الْجُفْر صَبِيحَةَ هَذَا الْيَوْم وَهُوَ الْكِتَابُ الْمُشْتَمِلُ عَلَى عِلْم الْمَنَايَا وَالْبَلَايَا وَالرَّزَايَا وَعِلْم مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ إِلَى يَوْم الْقِيَامَةِ الَّذِي خَصَّ اللهُ تَقَدَّسَ اسْمُهُ بِهِ مُحَمَّداً وَالأَئِمَّةَ مِنْ بَعْدِهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ السَّلاَمُ وَتَأَمَّلْتُ فِيهِ مَوْلِدَ قَائِمِنَا وَغِيبَتَهُ وَإِبْطَاءَهُ وَطُولَ عُمُرِهِ وَبَلْوَى الْمُؤْمِنِينَ (بِهِ مِنْ بَعْدِهِ) فِي ذَلِكَ الزَّمَان وَتَوَلُّدَ الشُّكُوكِ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ طُولِ غَيْبَتِهِ، وَارْتِدَادَ أَكْثَرِهِمْ عَنْ دِينِهِمْ وَخَلْعَهُمْ رِبْقَةَ الإِسْلاَم مِنْ أَعْنَاقِهِمُ الَّتِي قَالَ اللهُ تَقَدَّسَ ذِكْرُهُ: (وَكُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ) يَعْنِي الْوَلاَيَةَ، فَأَخَذَتْنِي الرَّقَّةُ، وَاسْتَوْلَتْ عَلَيَّ الأَحْزَان"[1].

- **الدعاء للإمام -عجل الله تعالى فرجه الشريف-**

ومن تكاليفنا في زمن غيبة الإمام -عجل الله تعالى فرجه الشريف-: الدعاء له-عجل الله تعالى فرجه الشريف -بأن يحفظ من شرّ شياطين الجن والإنس ويعجل الله فرجه وينصره على الكفار والملحدين، ومن أشبههم كما ورد، فإنَّ ذلك قسم من إظهار المحبّة وكثرة الشوق، ففي الحديث عن يونس بن عبد الرحمن أنَّ الإمام الرضا ﷺ كان يأمر للقائم-عجل الله تعالى فرجه الشريف- بهذا الدعاء: **" اللهُمَّ ادْفَعْ عَنْ وَلِيِّكَ وَخَلِيفَتِكَ وَحُجَّتِكَ عَلَى خَلْقِك... "**[2] الدعاء، وهذا الدعاء مذكور في (مصباح المتهجد) لشيخ الطائفة.

وفي رواية أن يقول الإنسان: " اللهم كُن لوليّك الحُجَّة بن الحَسَن صَلواتُكَ عَليه وَعَلى آبائه في هذه السّاعة وفي كُلّ سَاعَة وَليّاً وَحَافِظا وَقائِداً وَناصراً ودَليلاً وَعَينا حَتّى تُسكِنَه أرضَك طَوعاً وَتُمَتِعَه فيها طَوِيلاً"[3].

ولا يخفى أنَّ هذه الأدعية تؤثّر إيجاباً، وتُسبّب له-عجل الله تعالى فرجه الشريف- مزيداً من الولاية والحفظ، وأن يكون الله سبحانه له قائدًا وناصرًا.

- **الصدقة نيابة عن الإمام -عجل الله تعالى فرجه الشريف-**

وذكر بعض العلماء: استحباب إعطاء الصدقة عنه -عجل الله تعالى فرجه الشريف- ولحفظه، وكذلك يستحب أن يحج عنه -عجل الله تعالى فرجه الشريف-، وقد روى القطب الراوندي في الخرائج: **" أَنَّ أَبَا مُحَمَّدٍ الدَّعْلَجِيَّ كَانَ لَهُ وَلَدَانِ وَكَانَ مِنْ خِيَارِ أَصْحَابِنَا وَكَانَ قَدْ سَمِعَ الْأَحَادِيثَ وَ كَانَ أَحَدُ وَلَدَيْهِ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ وَهُوَ أَبُو الْحَسَنِ كَانَ يُغَسِّلُ الْأَمْوَاتَ وَوَلَدٌ آخَرُ يَسْلُكُ مَسَالِكَ الْأَحْدَاثِ فِي فِعْلِ الْحَرَامِ وَ دُفِعَ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ حِجَّةٌ يَحُجُّ بِهَا عَنْ صَاحِبِ الزَّمَانِ ﷺ وَكَانَ ذَلِكَ عَادَةَ الشِّيعَةِ وَقْتَئِذٍ فَدَفَعَ شَيْئاً مِنْهَا إِلَى ابْنِهِ الْمَذْكُورِ بِالْفَسَادِ وَخَرَجَ إِلَى الْحَجِّ. فَلَمَّا عَادَ حَكَى أَنَّهُ كَانَ وَاقِفاً بِالْمَوْقِفِ فَرَأَى إِلَى جَانِبِهِ شَابّاً حَسَنَ الْوَجْهِ أَسْمَرَ اللَّوْنِ بِذُؤَابَتَيْنِ مُقْبِلًا عَلَى شَأْنِهِ فِي الدُّعَاءِ وَالِابْتِهَالِ وَالتَّضَرُّعِ وَحُسْنِ الْعَمَلِ فَلَمَّا قَرُبَ نَفْرُ النَّاسِ الْتَفَتَ إِلَيَّ وَ قَالَ يَا**

---

[1] كمال الدين وتمام النعمة: ٢/ ٣٥٢-٣٥٣.

[2] مصباح المتهجد وسلاح المتعبد: ١/ ٤٠٩.

[3] الإقبال بالأعمال الحسنة: ١/ ١٩١.

شَيْخُ مَا تَسْتَحِي قُلْتُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَا سَيِّدِي قَالَ يُدْفَعُ إِلَيْكَ حِجَّةٌ عَمَّنْ تَعْلَمُ فَتَدْفَعُ مِنْهَا إِلَى فَاسِقٍ يَشْرَبُ الْخَمْرَ يُوشِكُ أَنْ تَذْهَبَ عَيْنُكَ هَذِهِ وَأَوْمَأَ إِلَى عَيْنِي وَأَنَا مِنْ ذَلِكَ إِلَى الْآنَ عَلَى وَجَلٍ وَمَخَافَةٍ وَسَمِعَ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ النُّعْمَانِ ذَلِكَ قَالَ فَمَا مَضَى عَلَيْهِ أَرْبَعُونَ يَوْماً بَعْدَ مَوْرِدِهِ حَتَّى خَرَجَ فِي عَيْنِهِ الَّتِي أَوْمَأَ إِلَيْهَا قَرْحَةٌ فَذَهَبَتْ"[1].

- **القيام عند ذكر اسمه المبارك**

ويستحب القيام عند سماع اسمه الكريم -عجل الله تعالى فرجه الشريف-، وقد أنشد دعبل الخزاعي قصيدته التّائية على الإمام الرضا ﷺ ولمّا وصل إلى قوله:

خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله بالبركات

قام الإمام الرضا ﷺ على قدميه وأطرق رأسه إلى الأرض ثم وضع يده اليمنى على رأسه وقال: اللهم عجّل فرجه ومخرجه وانصرنا به نصرًا عزيزًا.

لكن هذا على استحباب القيام لمطلق ذكره -عجل الله تعالى فرجه الشريف- وإن لم يكن بلفظ (القائم).

- **التّضرع إلى الله سبحانه**

كما أنَّ من تكاليفنا في أيّام الغيبة: التّضرّع إلى الله تعالى أن يحفظ إيماننا وإيمان المسلمين والمؤمنين من تطرق الشياطين والانحرافات وقراءة الأدعية الواردة في هذا الباب، فقد روى الكليني عن زرارة أنَّه قال: سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول: (إنَّ للغلام غيبة قبل أن يقوم، قال قلت: ولِمَ؟ قال: يخاف ـ وأومأ بيده إلى بطنه ـ ثم قال: يا زرارة وهو المنتظر وهو الذي يشكّ في ولادته، منهم من يقول مات أبوه بلا خلف، ومنهم من يقول حمل، ومنهم من يقول إنّه وُلِد قبل موت أبيه بسنتين، وهو المنتظر غير أنَّ الله عز وجل يجب أن يمتحن الشيعة فعند ذلك يرتاب المبطلون يا زرارة، قال: قلت: جعلت فداك إن أدركت ذلك الزمان أي شيء أعمل؟ قال: يا زرارة إذا أدركت هذا الزمان فادع بهذا الدعاء: **" أَللّهمَّ عرِّفْنِي نَفْسَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ رَسُولَكَ، أَللّهمَّ عَرِّفْنِي رَسُولَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ، أَللّهمَّ عَرِّفْنِي حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي، أَللّهمَّ لاَ تُمِتْنِي مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَلاَ تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي، أَللّهمَّ فَكَمَا هَدَيْتَنِي لِوَلاَيَةِ مَنْ فَرَضْتَ عَلَيَّ طَاعَتَهُ مِنْ وُلاَةَ أَمْرِكَ بَعْدَ رَسُولِكَ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّىٰ وَالَيْتُ وُلاَةَ أَمْرِكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ ٱبْنَ أَبِي طَالِبٍ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَعَلِيّاً وَمُحَمَّداً وَجَعْفَراً وَمُوسَىٰ وَعَلِيّاً وَمُحَمَّداً وَعَلِيّاً وَالْحَسَنَ وَالْحُجَّةَ الْقَائِمَ**

---

[1] الخرائج والجرائح: ١/ ٤٨٠-٤٨١.

الْمَهْدِيَّ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ"[1].

وفي رواية أخرى عن عبد الله بن سنان أنَّه قال: قال أبو عبدالله عليه السلام **" سَتُصِيبُكُمْ شُبْهَةٌ فَتَبْقَونَ بِلا عَلَمٍ يُرَى وَلا إِمَامِ هُدَىً، وَلا يَنْجُو مِنْها إِلّا مَنْ دَعَا بِدُعَاءِ الغَرِيقِ، قُلْتُ: كَيْفَ دُعَاءُ الغَرِيقِ؟ قال: يَقُولُ: يَا اللهُ يَا رَحْمَنُ، يَا رَحِيمُ، يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ. فَقُلْتُ: يَا اللهُ يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ وَالأَبْصَارِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، قَال: إِنَّ اللهَ (عزَّ وجلَّ) مُقَلِّبُ القُلُوبِ وَالأَبْصَارِ، وَلَكِنْ قُلْ كَمَا أَقُولُ لَكَ: يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ"**[2].

---

[1] الكافي: ١/ ٣٣٧.

[2] كمال الدين وتمام النعمة: ٢/ ٣٥٢.

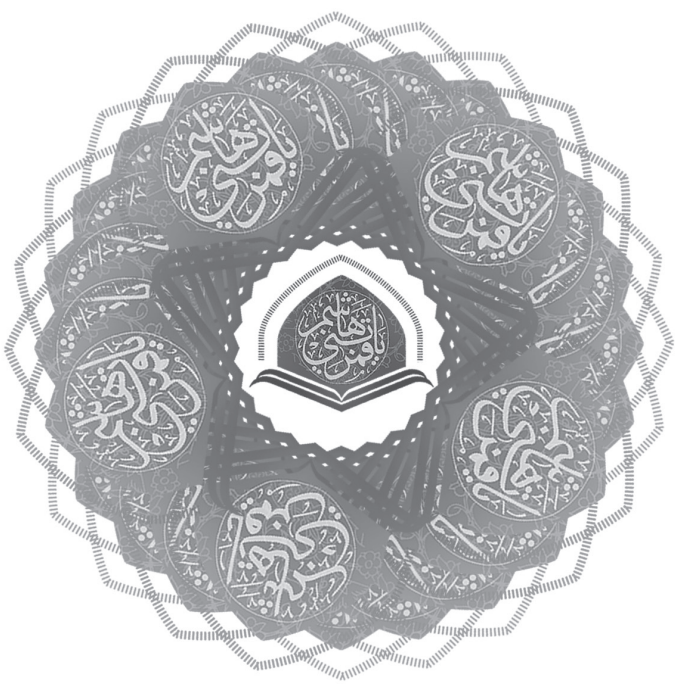

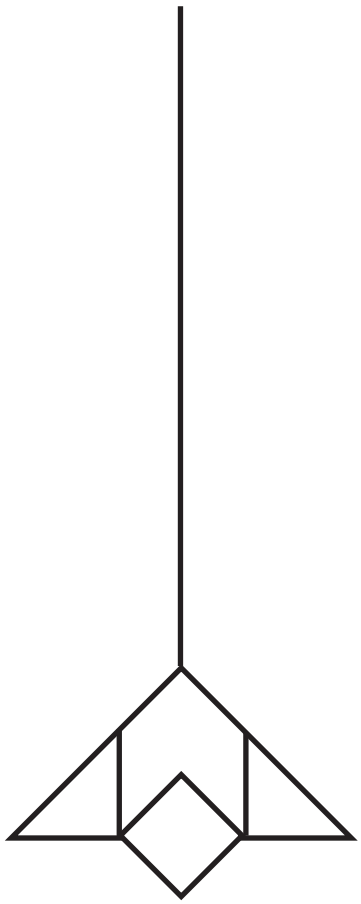

شهر رمضان

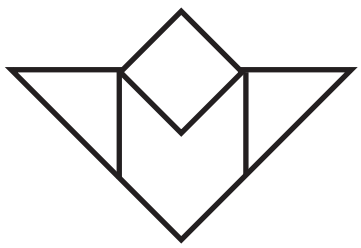

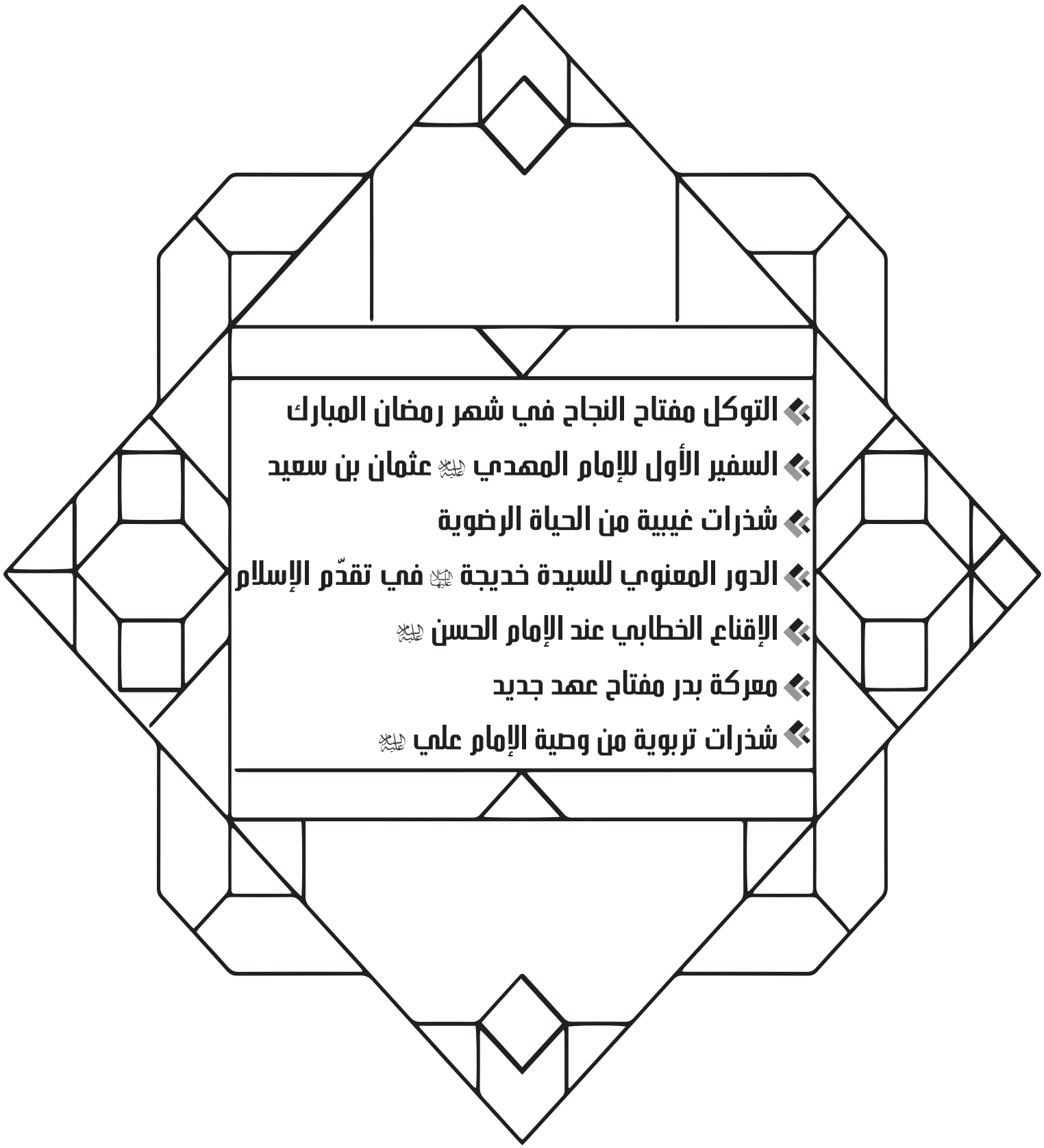
التوكل مفتاح النجاح في شهر رمضان المبارك
السفير الأول للإمام المهدي عليه السلام عثمان بن سعيد
شذرات غيبية من الحياة الرضوية
الدور المعنوي للسيدة خديجة عليها السلام في تقدّم الإسلام
الإقناع الخطابي عند الإمام الحسن عليه السلام
معركة بدر مفتاح عهد جديد
شذرات تربوية من وصية الإمام علي عليه السلام

التوكل مفتاح النجاح في شهر رمضان المبارك

الشيخ حيدر المؤيد

" اللهُمَّ اجْعَلْنِي فِيهِ مِنَ المُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ، وَاجْعَلْنِي فِيهِ من الفائِزِينَ لَدَيْكَ، وَاجْعَلْنِي فِيهَ مِنَ المُقَرَّبِينَ إِلَيْكَ، بِإِحْسانِكَ يا غايَةَ الطَّالِبِينَ".

عن النبي ﷺ: (من دعا به استغفر له كل شيء)[1].

التوكل في منظار الشريعة

التوكل على الله-تعالى- من أفضل المقامات التي يمكن أن يصل إليها الإنسان، ولا يصل الإنسان إلى رفيع هذا المقام إلَّا بعد جهد جهيد وجهاد شديد، ولذا كثير من الناس لا يرون للتوكل معنى، فلا يدركون مفهوم التوكل ولا يشخصون مصداقه، وهناك من لا يتمكّن أن يصل إلى هذا المقام.

ومعنى التوكل عليه سبحانه ببيان واضح: هو أن يمسك الإنسان بالأسباب الظاهرية للعمل ثمَّ يشدّه بالأسباب الغيبية، وللمثال على ذلك نقول: إذا عقل الإنسان بعيره في المحل الآمن من السبع واللص ووكّل الأمر بعد ذلك إليه سبحانه كان معنى التّوكّل إنّه يهدأ باله، فلا يتفكّر في أمر بَعِيره هل يصيبه شيء أم لا؟

أمَّا من لا يَعْقِل بَعيره، ويقول: (توكَّلت عليه سبحانه) فهذا خلاف ميزان التوكل إذ التوكل في الأمر يكون بعد رعاية الأسباب التكوينية..

ولذا لمّا رأى الرسول ﷺ بعيراً بغير عقال، سأل صاحبه عن السبب؟

وحيث أجابه الأعرابي: بأنَّه توكّل على الله، نهاه الرسول ﷺ وقال: " اعقلها وتوكّل على الله"[2].

وقد يزعم بعض الناس المفرطين: إنَّ التّوكّل عبارة عن عدم التماس الأسباب الظاهرية وهذا جهل[3].

فقد روي عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: **"من أكل من كدِّ يده نظر الله إليه بالرحمة ثم لا يعذّبه أبداً"**[4].

---

[1] البلد الأمين: ص٢٢٠.

[2] راجع إرشاد القلوب: ص١٢١.

[3] الفضيلة الإسلامية: ج٤ ص٤٣٢.

[4] أخلاق الرسول ﷺ: ص٢٠١.

إنَّ الكسل والفراغ والملل مرفوض في الإسلام، والرسول ﷺ كان يحبّ العمل والسعي، ويحب العاملين أيضاً، ويكره العاطلين[1].

فالحضارات أساساً لا تقوم إلَّا بالعمل والسعي الجاد إذ لا يمكن بأيِّ شكلٍ من الأشكال إلغاء دور العمل من بناء الحضارات، إذ مجرّد بناء بيت صغير أو كوخ متواضع بحاجة إلى عمل وسعي، وبمقدار ما يكون هناك سعي وعمل تكون هناك النتائج، والعكس بالعكس[2].

بماذا تقدّم المسلمون

إنَّ تقدّم المسلمين في العصور السابقة تقدّماً هائلاً ممّا أدهش العالم بأجمعه، كان يتوقّف على عوامل ومقوّمات ماديّة ومعنوية كثيرة ولكن من أبرز المقوّمات المعنوية التي ذكرها القرآن الكريم كان (التوكل) إذ قال الله تعالى: **(وعلى الله فليتوكّل المؤمنون)**[3].

فالمجتمع المؤمن هو الذي ينهض متوكّلاً على ربّه سبحانه، إذ بالتّوكّل على الله سبحانه يستطيع المؤمن تحدّي الصّعاب والتّقدّم نحو الأمام، وواضح أنَّ التّوكّل على الله ليس معناه التّخلّي عن المسؤوليّات أو الاستسلام لحوادث الزمان، بل يعني أنَّ الإنسان حين يستخدم طاقاته والإمكانات المتوفّرة لديه يجب عليه أن يتنبه في الوقت نفسه إلى أنَّ هذه الطاقات والإمكانات ليست العلة التامة ولا هي من عنده بل إنَّ مصدرها ومنشأها هو الله تعالى، وإذا حصل هذا التّوجّه فإنَّ من شأنه أن يقضي على دوافع الغرور والأنانية عند الإنسان أوّلاً، ومن ثم لا يدع إلى نفسه طريقًا للخوف والقلق واليأس حيال الأحداث والمشاكل مهما كبرت وعظمت.. ثانيًا، لأنَّه يعلم بأنَّ سنده وحاميه هو الله الذي فاقت قدرته كلّ القدرات[4].

إذاً.. الله تعالى قد تعبّدنا بالأسباب الطبيعية، فليس من المعقول أن يجلس الإنسان ـ مثلاً ـ في بيته ويريد من الله النصر، وليس من المعقول أيضاً أن يترك العامل عمله ويريد من الله أن يرزقه، إلى ما أشبه ذلك، كما يقول شاعرهم:

جرى قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك والسكون

---

[1] أخلاق الرسول ﷺ: ص١٩٨.

[2] المصدر نفسه: ص٢٠٠.

[3] سورة آل عمران: ١٢٢.

[4] راجع تفسير الأمثل: ج٣ ص٥٦٣.

إذ إنَّ الله سبحانه أبى أن يجري الأمور إلّا بأسبابها كما قال سبحانه: **(ثم أتبع سبباً)**[1].

وقال الله تعالى:**(ويسألونك عن ذي القرنين * قل سأتلو عليكم منه ذكراً * إنا مكّنّا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً * فأتبع سبباً)**[2].

إنَّ بداية الآية تُبيّن لنا إنَّ قصّة ذي القرنين كانت متداولة ومعروفة بين الناس ولكنَّها كانت محاطة ببعض الغموض والإبهام، ولهذا السبب طالبوا الرسول الأكرم ﷺ بالتوضيح عنها، وفي استئناف الحديث عن ذي القرنين يقول تعالى: **(إنّا مكنّا له في الأرض)**أي منحناه سبل القوّة والقدرة والحكم **(وآتيناه من كل شيء سبباً)**.

ثم يشير القرآن بعد ذلك إلى استفادة ذي القرنين من هذه الأسباب والسبل فيقول:**(فأتبع سبباً)**[3]، فلم يكتفِ ذو القرنين بالتوكل من دون إتباع الأسباب، وهكذا يجب أن يكون الإنسان المؤمن.

وبهذا المعنى كتب المستشرق (غوستاف لوبون) عن سبب قبول العرب للدين الإسلامي وسبب انشدادهم إليه الذي عاد عليهم بالنتيجة والتّقدّم والرّفاه فيقول:

١: إنَّ نظامه الديني من أشدّ النظم والديانات والأحكام وأعظمها توافقاً وتماسكاً.

٢: كان هذا النظام ينطوي على أجوبة مقنعة للمسائل التي كانت تشغل مواطنيه، كما يتجاوب وروح العصر.

٣: إنَّه رفع العالم الناطق بالعربية إلى مستوى العوالم الأخرى ذات الكتب المنزلة[4].

فبالتوكّل على الله تعالى استطاع المسلمون أن يحطّموا معالم الشرك والطغيان وأن يفتحوا البلاد الإسلامية مستمدّين قوّتهم من خالقهم تعالى، وبالتوكّل على الله استطاع المسلمون أن يقضوا على مضاجع المشركين فعندما واجه الغرب المسلمين العرب لأوّل مرّة في التاريخ على أرض فلسطين بعد ظهور الإسلام، تطلّع علماء المسيحية إلى معرفة الكتاب (القرآن الكريم) واستعانوا باليهود والنصارى من أهل الشام وفلسطين، وأعلن بطرس رئيس دير كلني، إنَّ نقطة البداية في حرب المسلم هي القرآن الكريم[5].

نعم هكذا خاف الغرب من القرآن بوصفه المصدر الرئيس الذي يلهم المسلمين ويدفعهم نحو العمل والجهاد بالتّوكّل على الله سبحانه: **(ومن يتوكّل على الله فهو حسبه)**[6].

---

[1] سورة الكهف: ٨٩و٩٢.

[2] سورة الكهف: ٨٣-٨٥.

[3] راجع تفسير الأمثل: ج٩ ص٣١٢و٣١٣.

[4] حضارة الإسلام ط القاهرة دار مصر للطباعة، سلسلة ألف كتاب ١٩٥٦، ص٨٩.

[5] صور استشراقية: ص٢٦.

[6] سورة الطلاق: ٣.

حيث تعهّد الله أن لا يترك من توكّل عليه يتخبّط في حيرته وإنّه لقادر على الوفاء بهذا التّعهد(١).

الحياة كفاح

ومن أجل أن يعطي دفعاً معنويًّا أكثر في نفوس المسلمين نحو المثابرة والكفاح في سبيل الحق في الوقت نفسه الذي يقطع حبائل اليأس عن الوصول إلى الأهداف السامية قال سبحانه: ﴿**وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِين**﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿**فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلًا**﴾(٣).

وهذا النداء الصارخ الذي وجّه به من قبل الله تعالى لعباده بالتّوكّل لم يكن عبثًا.. تعالى الله وتقدّس عن ذلك.. وإنَّما كان لعلمه بحالهم ووضعهم الذي يتمثّل في الركون إلى اليأس أحياناً. والاعتماد على الآخرين أحياناً أخرى. لذلك دعاهم إلى التوكل عليه سبحانه، ومن يتوكّل على الله فهو يكفيه المهمّات من أموره، إذ من الغالب أن تعيش النفوس البشرية بين السمو والانحدار، وذلك من خلال تجسّد: الأول الفطرة، والثاني الشيطان.

فالنّفس البشرية مفطورة على أن تسمو إلى الآفاق الإلهية، ومن جانب آخر نرى أنَّ النفس ميّالة للانحدار والتراخي والسكون والتقاعس والاعتماد على الآخرين بجذبات الشيطان.. ولأنَّ النفس قد تخلد الى الراحة فتستجيب لنداء إبليس وتترك وراءها نداء الرحمن الداعي إلى الكدح والعمل يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ**﴾(٤)، أي: ساعٍ إليه في عملك، وقوله: ﴿**يا أيها الإنسان**﴾ خطاب لجميع المكلفين من ولد آدم: يا أيها الإنسان إنَّك عامل عملاً في مشقّة لتحمله إلى الله وتوصله إليه ﴿**فملاقيه**﴾ أي ملاق جزاءه، جعل لقاء جزاء العمل لقاءً له تفخيماً لشأنه(٥).

والآية تشير أيضاً إلى أصل أساسيّ في الحياة البشرية، فالحياة دوماً ممزوجة بالتعب والعناء وأنَّ الهدف منها الوصول إلى متاع الدنيا فكيف والحال إذا كان الهدف منها هو الوصول إلى رضوان الله ونيل حسن مآب الآخرة(٦).

---

(١) تفسير الأمثل: ج١٨ ص٣٧٩.

(٢) سورة المائدة: ٢٣.

(٣) سورة النساء: ٨١.

(٤) سورة الانشقاق: ٦.

(٥) راجع مجمع البيان: ج١٠ ص٤٦٠.

(٦) الأمثل: ج٢٠ ص٥٣.

هذا هو معنى التوكّل

جاء رجل من الأصحاب إلى النبي ﷺ وقد اشتد به الفقر بعد أن قالت له امرأته: لو أتيت رسول الله ﷺ فسألته، فلمّا رآه النبي ﷺ قال: من سألنا أعطيناه، ومن استغنى أغناه الله.

فقال الرجل: ما يعني غيري، فرجع إلى امرأته فأعلمها. فقالت: إنَّ رسول الله ﷺ بشر فأعلمه.

فأتى الرجل إلى الرسول ﷺ مرّة أخرى، فلما رآه الرسول ﷺ قال: من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله.

حتى فعل الرجل ذلك ثلاثاً، ثم ذهب الرجل فاستعار معولاً ثم أتى الجبل فصعده فقطع حطباً ثم جاء به فباعه بنصف مدّ من الدقيق فرجع فأكلوه، وفي اليوم التالي صعد الجبل أيضاً فجاء بأكثر من ذلك فباعه، فلم يزل يعمل ويجمع حتى اشترى معولاً، ثم جمع مالاً حتى اشترى بكرين[1] وغلاماً.. ثم أثرى حتى أيسر، فجاء إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال ﷺ: قد قلت لك: (من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله)[2].

من آثار التّوكّل

قد ثبت في علم النفس إنَّ الشخص الذي يعيش حقيقة التّوكّل على الله لا يجد اليأس إليه منفذًا، ولا يدب به الضعف، ولا يشعر بالنقص والصغر أمام المشاكل مهما كبرت، ويبقى يقاوم ويواجه الأحداث بقوّة وإيمان راسخين، ويعطيه هذا الإيمان والتوكل قدرة نفسية عظيمة يستطيع معها تجاوز الصعاب ومن هنا لا يصاب بكثير من الأمراض النفسية، ومما يدل على هذا الكلام قوله تعالى: ﴿**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾[3].

هذا من جانب الآثار النفسية ومن جانب آخر تنهمر على الإنسان المتوكّل على الله الإمدادات الغيبية والمساعدات التي وعده الله[4].

فالتّوكّل بهذا المعنى والمضمون يمنح العبد شخصية جديدة مقتدرة وفعالة، ويكون له تأثير على أعماله وأفعاله التي يقوم بها.

فتاريخ الأنبياء عليهم السلام جميعاً يحفل بالجد والاجتهاد والتعب من أجل نشر الهدى وخصوصاً نبيّنا محمد ﷺ الذي تحمّل ما تحمّل من عناء وتعب وآلام وويلات من مشركي مكة، كما أنّه خاض أكبر صراع شهدته الكرة الأرضية بين الحق والباطل وخرج منتصراً رغم ما تعرّض له المسلمون من فتن ومحن ومؤامرات وظلم وطغيان

---

[1] البكر: فتى الإبل وصغيرها.

[2] مشكاة الأنوار: ص١٨٤.

[3] سورة الرعد: ٢٨.

[4] تفسير الأمثل: ج١٨ ص٣٨٢.

وتحالف بين جميع الأحزاب المناوئة للإسلام..

بل رغم العتاد والقوة وكثرة العدد من قبل الأعداء وقلّة الموارد وضعف العدد والعدة من جانب المسلمين، إلا أنّه كان لهم التوكل مع الله بالإضافة إلى الإرادة الصلبة، والسعي نحو الأسباب الطبيعية التي يريدها الله سبحانه طريقاً طبيعياً لنيل الأهداف.

معيار الفوز الإلهي

ربما يعمل الإنسان بعض الأعمال ويحقّق بعض الطموحات ويتصوّر أنَّه قد فاز ووصل إلى ما يريد ولكن هو عند الله سبحانه خاسر، وقد يعمل ما يتصوّره هزيمة وخسارة ولكنّه عند الله سبحانه يُعدّ رابحاً..

لأنَّ المعيار في النجاح والفشل والفوز والهزيمة ليس دائماً يخضع للنتائج الآنية المؤقتة التي يراها الإنسان، بل ينبغي أن يلاحظ النتائج والثمرات وفق المعيار الإلهي؛ لأنَّ رضى الله سبحانه غاية الغايات، وميزانه أعدل الموازين..

فعن الإمام علي عليه السلام قال: **"تحرّ رضى الله، وتجنب سخطه، فإنَّه لابُدّ لك بنقمته، ولا غنى بك عن مغفرته، ولا ملجأ منه إلّا إليه"**[1].

ولذا كان ينبغي للمؤمن أن يسأل الله سبحانه دائماً أن يجعله من المتوكّلين، ولعلّ من هنا جاءت فقرة الدعاء: (اللهم اجعلني من المتوكّلين عليك) لأنَّ التّقدّم يرتبط بالتّوكّل ارتباطاً وثيقاً لكي يكون الإنسان في الوقت نفسه متقدّماً عند مجاذبة داعي الكسل والحرص إلى التأخير، ولكي يتم عمله على وجه محبوب إلى الباري تعالى وجالبًا لرضاه.

كيف نكون من الفائزين

ومعلوم أنَّ الإنسان لو قضى على الكسل بالعمل وتخلّص من الركون والخلود إلى الراحة بالنشاط المقرون بالتوكل على الله سبحانه فإنَّه سيكون من الفائزين.. ومن هنا جاءت الفقرة الثانية في الدعاء يقول: (واجعلني فيه من الفائزين لديك).

وفي كلمة (لديك) هنا عناية قد تؤكّد ما ذكرناه، ومن الواضح أنَّ للفوز عند الله سبحانه طرقاً وأسباباً ولعل من أهمّها العمل في سبيله سبحانه في مختلف الشؤون التي يحبّها ويريدها تبارك وتعالى، لأنَّ الدنيا في واقع الأمر جسر نعبره ومرحلة مؤقتة من الحياة سرعان ما نجتازها إلى يوم الحساب.

فإنّه عندما يوضع الميزان يعرف الإنسان مدى فوزه أو فشله لذلك ينبغي للإنسان أن يُفكّر دائماً في عواقب

---

[1] غرر الحكم: ص٢٠٣.

الأمور ومردودات الأفعال، كما يقول الشاعر:

إنَّ اللبيب الذي لم يرتكب عملاً حتى يفكر ما تجني عواقبه

وعليه فما قيمة عمل لا يقودك إلى النعيم؟

وما ثمن ثرواتك وجاهك التي لا تبقى لها ولا تبقى لك؟

هذا إن لم تعمل في دنياك لتحوّل ثروتك إلى نعيم لا يفنى ووجاهة لا تبلى وحياة خالدة، فعلينا إذًا بمراجعة الحسابات كلّ يوم عندما نخلد للراحة، ولعل في وقت النوم فرصة لا تفوت لتقييم الأعمال ومحاسبتها، فربما قضاء دقائق يقضيها في محاسبة نفسه تنفعه يوم القيامة سنين من السعادة.. وواضح أنَّ المحاسبة لا تنحصر فائدتها في الآخرة فقط بل تمنح الإنسان فرصاً أكبر للنجاح في الدنيا أيضاً.

فإنَّ الإنسان الذي يواصل محاسبة نفسه يكتشف نفسه أكثر في كلّ يوم وليلة ويتعرّف على مواقع الخلل في أعماله وسلوكه ومواضع النجاح.. وهذا أمر يوفّقه أكثر لتصحيح ما صدر منه خطأً أو جهلاً ويكرس الصحيح، وبذلك يخطو أولى خطواته نحو الموفقية والعظمة والفوز والفلاح..

الالتزام ثمن الجنة

ليس من السهل أن ندّعي الإيمان ونقول آمنّا، لأنَّ الإيمان عمل كلّه والقول جزء منه كما جاء في الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **" وقد سمّى الله عزوجل المؤمنين بالعمل الصالح مؤمنين ولم يسم من ركب الكبائر وما وعد الله عزوجل عليه النار في قرآن ولا أثر ولا تسمهم بالإيمان بعد ذلك الفعل"**[1].

لذا لا يمكننا ادعاء الإيمان إلَّا إذا ترجمنا ذلك سلوكاً بحيث يتجسّد في تصرّفاتنا وعلاقاتنا مع المجتمع وكنّا كما أراد الله وكما أراد به.

إنَّ الإيمان يتطلّب منّا التزاماً دقيقاً في الأحكام التي وضعتها الشريعة لنا، وحينما نريد أن نلتزم بالأحكام أكبر الالتزام سيكلّفنا ذلك العناء الجسدي والإرهاق الفكري ونسيان الذات والتضحية بكلّ ما يربط الإنسان بالدنيا من مال أو عيال أو منصب، إلَّا أنَّه يعطينا نتيجة لذلك الهدوء والاطمئنان والاستقرار النفسي والاجتماعي في الدنيا والآخرة والفوز بالجنة. قال تعالى: ﴿**لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون**﴾[2]، وواضح أنَّه ليس في الدار الآخرة فقط يوجد (فائزون وخاسرون) بل في هذه الدنيا أيضاً حيث يكون الانتصار والنجاة والهدوء من نصيب المؤمنين المتّقين، كما أنَّ الهزيمة والانكسار في الدَّارين

---

[1] معاني الأخبار: ص٤١٣.

[2] سورة الحشر: ٢٠.

تكون من نصيب الغافلين[1].

إذًا متى ما نفض العبد يديه وقلبه من النتائج الشكلية للعمل الدنيوي ونظر بنظرة أعمق شاعراً أنَّه أخذ بواجبه وسينال جزاءه الحقيقي إذا كان مؤدّياً لمهمّته ورسالته بالشّكل المطلوب فلن تبقى في نفسه بعد ذلك بقية أطماع وأهواء لتدفعه إلى التكالب على حطام الدنيا.

ومن هنا جاء المؤمن يسأل الله تعالى بدعائه أن يجعله من (الفائزين) بل هو يجهد دائباً مع إيجاد بواعث العبودية الصادقة لأن يكون من الفائزين، كي يستريح بعد الفوز قرير العين مطمئن النفس والضمير كلّما شعر أنه أدّى دوره المفروض عليه وأرضى خالقه سبحانه وتعالى فيما أراده له فيكون ممن ﴿**رضي الله عنهم ورضوا عنه**﴾[2].

الرجاء سبيل القرب

وبعد هذا يأتي دور طلب القرب من الله سبحانه؛ لأنَّ الإنسان إذا نال رتبة الفوز عنده تعالى كان بمقام القرب منه عزوجل، ومقام القرب من أسمى الغايات التي ينشدها كلّ مخلوق، لذا ورد في الفقرة الأخيرة للدعاء: (واجعلني من المقرّبين إليك).

ولما أنَّ هذا الطلب ليس طلبًا سهلاً ولا عاديًّا بل هو طلب رفيع المستوى جدًّا.. أدخل فيه عنصر الرجاء والرّحمة لأنَّ الإنسان لا يصل إلى هذا المقام السامي بكفاءته وبعمله، ولأنَّ المؤمن في قرارة نفسه يدرك هذه الحقيقة فلم يبقَ أمامه طريق لنيل ما يريد من الوصول إلى القرب من ربِّه سوى الرجاء والأمل.. ولأنَّ الرب سبحانه رحيم ودود ذو فضل وإحسان عظيم فإنَّه لا يخيب من رجاه ولا يرد من دعاه، لذلك ختم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله فقرات الدعاء الثلاث بقوله: (بإحسانك يا غاية الطّالبين) فمع أنَّه سبحانه الغاية والمطلوب إلّا أنَّه لا يناله طالب قط من جهده النفسي وعمله الشخصي ما لم يشمله إحسانه وفضله عزّوجل، والبحث مفصل لا يسعه المقام.

معنى القرب الإلهي

وبالتأكيد إنَّ الإنسان المؤمن إذا أراد أن يقترب من الله تعالى لابد أن يعيش العبادة في كلِّ أبعاد حياته، وليس في أوقات العبادة المخصوصة فقط ولا في المسجد والمحراب فقط، بل في كلّ مكان وزمان وفي كلّ شأن من شؤون الحياة صغيرها وكبيرها لابد أن يعيش حالة العبودية والخضوع لله سبحانه، فيعيش العبادة في كلّ

---

[1] راجع تفسير الأمثل: ج١٨ ص٢٠١.

[2] سورة المائدة: ١١٩.

صِلاته وأحواله أيضاً.. يعيش العبادة وهو غنيّ ويعيشها وهو فقير، يعيشها وهو حاكم ويعيشها وهو محكوم، وبهذا وذاك يعيش المسلم المتعبّد شاعراً بأنَّه يمارس وظيفته الحقيقية في هذه الدنيا.

كما قال سبحانه: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾[1].

فإنَّه ورد في مجمع البيان في تفسير الآية:

(إنِّي لم أخلق الجن والإنس إلا لعبادتي، والمعنى لعبادتهم إيّاي، فإذا عبدوني استحقّوا الثواب، وقيل إلا لآمرهم وأنهاهم وأطلب منهم العبادة، عن مجاهد، واللام لام الغرض والمراد أنَّ الغرض من خلقهم تعريضهم للثواب وذلك لا يحصل إلا بأداء العبادات، فصار كأنّه سبحانه خلقهم للعبادة، ثم إنَّه إذا لم يعبده قوم لم يبطل الغرض ويكون كمن هيّأ طعاماً لقوم ودعاهم ليأكلوه فحضروا ولم يأكله بعضهم فإنَّه لا ينسب إلى السّفه ويصح غرضه فإنَّ الأكل موقوف على اختيار الغير وكذلك المسألة فإنَّ الله إذا أزاح علل المكلّفين من القدرة والآلة والألطاف وأمرهم بعبادته فمن خالف فقد أتي من قبل نفسه لا من قبله سبحانه، وقيل معناه: الا ليقروا بالعبودية طوعاً وكرهاً، عن ابن عباس)[2].

ومعلوم أنَّ هذا المقام أي القرب الإلهي لا يناله المنحرفون والبعيدون عن السلوك الإلهي الطّاهر..

وبالطبع إنَّ العبد عندما يسأل الله سبحانه على أن يكون قريباً منه ليس القصد من القرب هنا القرب الحسّي والمادّي بل القرب المعنوي على أنَّ الباري تعالى واجب الوجود والواجب لا يكون جسمًا لأنَّ الجسم يحاط بالمكان والزمان وإذا أحيط بالمكان والزمان أصبح مادّيًّا وبالتالي سوف يخرج عن كونه واجباً للوجوب وكان ممكنًا.

فلا يجوز أن يكون الباري تعالى في محل وإلَّا لافتقر إلى ذلك المحل، ولا في جهة وإلا لافتقر إلى تلك الجهة. وتفصيل البحث مذكور في كتب الكلام والحكمة.. إذاً العبد عندما يَسأل ربه أن يجعله من المقرّبين فليس المقصود القرب المادّي بل المعنوي، أي أن يكون قريبًا من الرّحمة الإلهية.. بمعنى أن تظهر على العبد آثار الرّحمة الرّبّانية في حياته من البركات والخيرات والتوفيقات المتتالية..

قال تعالى: ﴿**فأما إن كان من المقربين ۞ فروح وريحان وجنة نعيم**﴾[3].

والجدير بالملاحظة هنا أنَّ الحديث عن ﴿جنّة نعيم﴾ جاء بعد ذكر الروح والريحان، وقد يستفاد من هذا أنَّ الروح والريحان يكون من نصيب المؤمنين في حالة الاحتضار والقبر والبرزخ والجنّة والآخرة كما في حديث

---

[1] سورة الذاريات: ٥٦.

[2] مجمع البيان: ج٩ ص١٦١.

[3] سورة الواقعة: ٨٨و٨٩.

الإمام الصادق ﷺ في تفسيره لهذه الآية المباركة: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ يعني في قبره ﴿وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ يعني الآخرة[1].

من هم المقرّبون

يُروى أنَّ النبي عيسى ﷺ مرَّ بثلاثة نفر قد نحلت أبدانهم وتغيّرت ألوانهم، فقال لهم: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ فقالوا: الخوف من النار، فقال لهم: حقّ على الله أن يؤمن الخائف، ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فإذا هم أشدّ نحولاً وتغيراً فقال: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ قالوا: الشوق إلى الجنة، فقال: حق على الله أن يعطيكم ما ترجون. ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فإذا هم أشدّ نحولاً وتغيراً كأنّ على وجوههم المرايا من النور، فقال: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ فقالوا: نحب الله عزوجل، فقال: أنتم المقرّبون[2].

وعن الإمام علي بن الحسين ﷺ أنّه قال: (إنّ أحبّكم إلى الله عزوجل أحسنكم عملاً، وإنّ أعظمكم عند الله عملاً أعظمكم فيما عند الله رغبة، وإن أنجاكم من عذاب الله أشدّكم خشية لله، وإنَّ أقربكم من الله أوسعكم خلقاً، وإنَّ أرضاكم عند الله أسبغكم على عياله، وإنَّ أكرمكم على الله أتقاكم لله)[3].

إذن فلنتقرّب إلى الله تعالى ولنتعلق به لأنَّه هو الباقي الأبدي وما عداه زائل لامحالة.

فالله سبحانه أحقّ بالحب من كلّ شيء، وإذا أحب الإنسان خالقه عن معرفة خلا قلبه عن حبّ سواه، إذ كلّ محبوب ما خلاه مجازي، فمثلاً إنَّ الإنسان يحب أبويه لكن حبّه لهما غير حبّ الله تعالى إذ إنَّ الله هو الموجد الحقيقي والأبوان واسطة، والإنسان يحبّ الأنبياء والصالحين، لأنَّهم مرتبطون بالله ومقرّبون إليه، وهكذا سائر أقسام الحب[4].

فلذلك ينبغي للعبد المؤمن أن يحرص على أن يكون قريباً من بارئه سبحانه، ويدعو مجتهدًا خاصّة في شهر رمضان بأن يجعله من المقرّبين إذ إنَّ شهر رمضان ربيع الدعاء، والدعاء مدرسة الإنسان، فينبغي أن نستثمر هذه الفرصة الكبيرة لنقوم بصقل ذواتنا، ونبلور مواهبنا ونتعرّف على مخازن أنفسنا حتى نوظّفها في طريق الأهداف العالية والرّغبات السامية التي أرادها الله منّا وبذلك فوز الدنيا والآخرة إن شاء الله تعالى.

---

[1] تفسير الأمثل: ج١٧ ص٤٧٣.

[2] تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج١ ص٢٢٤.

[3] الفروع من الكافي: ج٨ ص٦٨.

[4] الفضيلة الإسلامية: ج٤ ص٤١٥.

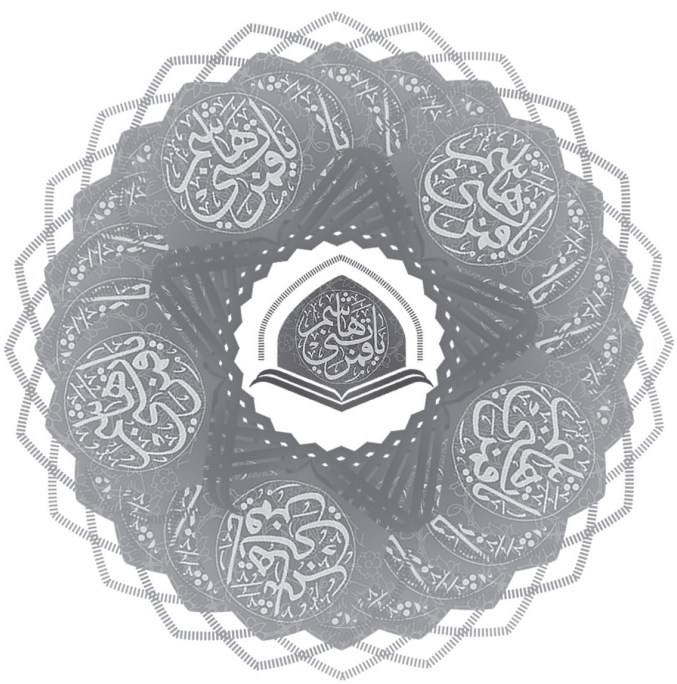

السفير الأول للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف عثمان بن سعيد العمري حياته وسيرته

د. أحمد فاضل حسون المسعودي

أولاً: اسمه ونسبه:

هو عثمان بن سعيد العَمْريّ، بفتح العين[١] أو العمروي[٢] ينسب إلى قبيلة بني أسد[٣] لذا عُرفَ بالأسدي[٤]، جده عمر بن حريث الصيرفي[٥]، من أهل الكوفة[٦]، واختلف في سبب تسميته بالعمري لعدّة أقوال:

الأول: سمّي بالعمري لأنَّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام لقبه قائلاً: (لا يُجمع على أمرئ، بين عثمان وأبي عمرو، وأمر عليه السلام بكسر كنيته فقيل العمري)[٧].

الثاني: أشير إلى أنَّه كان أسديّاً، لكن سمّي بالعمري، وفقاً لرواية أبي نصر هبة الله محمد بن احمد الكاتب ابن بنت أبي جعفر العمري[٨] قائلًا: (كان أسدياً فنسب إلى جده فقيل العمري)[٩].

---

[١] الأشعري، علي بن جعفر احمد بن محمد بن عيسى (ت٢٦٠هـ)، النوادر، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي، ط١، مؤسسة الإمام المهدي، قم، ١٤٠٨هـ، ص٨.

[٢] المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ)، بحار الأنوار، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣، ج٩٩، ص٢٣٥؛ الطهراني، آقا بزرك (ت٨٩-١٣هـ)

[٣] المفيد، محمد بن محمد النعمان (ت٤١٣هـ)، المسائل الصاغانية، تحقيق، محمد القاضي، ط١، المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، د- م، ١٤١٣هـ، ص٥.

[٤] الاردبيلي، محمد بن علي الغروي (ت١١٠١هـ)، جامع الرواة وإزاحة الاشتباهات عن الطرق والإسناد، مكتبة المحمدي، د.م، د.ت، ج١، ص٥٣٣؛ العاملي، محمد بن الحسن (ت١١٠٤هـ).

[٥] عمر بن حريث، أبو احمد الصيرفي الأسدي، كوفي، مولى ثقة، روى عن الإمام الصادق، لأنه كان احد أصحابه عليه السلام، له كتاب، أخبر عن كتابه يحيى بن زكريا، ومن الذين روى عنه محمد بن عبد الجبار، وهو ليس المقصود بابن حريث الذي كان من أصحاب الإمام علي عليه السلام، ثم صار من أصحاب ابن زياد ولعنه الشيعة، والذي قام بقطع لسان ميثم التمار (رضوان الله عليه). النجاشي، أبو العباس احمد (ت٤٥٠هـ)، رجال النجاشي، تحقيق، موسى الشيري الزنجاني، ط٥، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٥ هـ، ص٢٨٩؛ الطوسي، رجال الطوسي، ص٤٥؛ الحلي، خلاصة الأقوال، ص٢١٣.

[٦] علي، المهدي المنتظر، ص٩٨.

[٧] الطوسي، الغيبة، تحقيق، تحقيق، عباد الله الطهراني، علي احمد ناصح، ط١، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤١١هـ،ص٣٥٤.

[٨] هبة الله بن محمد أبو نصر الكاتب، المعروف بابن برينة، جده السفير الثاني محمد بن عثمان العمري، أمه أم كلثوم بنت محمد بن عثمان، أمه أم كلثوم بنت محمد بن عثمان روي عنه تاريخ وفاة السفير الثاني، وقد عمر كثيرا، توفي بعد سنة ٤٠٠هـ لأنه كان حاضراً في زيارة الإمام علي عليه السلام في يوم الغدير في النجف الأشرف حسب رواية النجاشي بأنه حضر معه سنة ٤٠٠هـ في زيارة يوم الغدير في النجف، له كتاب في الإمامة، وكتاب في أخبار أبي عمرو وأبي جعفر العمريين، النجاشي، رجال النجاشي، ص٤٤٠؛ الطوسي، الغيبة، ص٣٦٦؛ الاردبيلي، جامع الرواة،ج٢، ص٣١١.

[٩] الطوسي، الغيبة، ص٣٥٤.

الثالث: نسب إلى أمه التي يعود نسبها إلى عمر الأطرف[١]، ابن الإمام علي ﷺ فقيل له بذلك[٢].

الرابع: يقال نسبة إلى بني عمرو بن عامر بن ربيعة[٣]، وعمر بن حريث أشار إلى ذلك السمعاني، قائلًا: ((العمري، بفتح العين وسكون الميم وكسر الراء نسبة إلى بني عمرو بن عامر بن ربيعة، وعمرو بن حريث وغيرهما))[٤].

الخامس: يقال: لأنَّه من ذرّيّة عمّار بن ياسر: (عثمان بن سعيد العمري من ولد عمار بن ياسر) [٥]، وذكر الشيخ أبو نصر هبة الله محمد بن أحمد الكاتب، أنَّ أمه أم كلثوم بنت أبي جعفر محمد بن عثمان العمري، ذكر أنّها من ولد عمار بن ياسر صاحب الإمام علي ﷺ [٦] .

ويبدو أنَّ الرّأيين الأوليين هما الصّواب فقد أمر الإمام المعصوم الحسن العسكري ﷺ بكسر كنيته فسمّي بذلك، وهذا لا يتعارض مع الرّأي الثاني الذي يُرجع نسبه إلى قبيلة بني أسد وجده عمر بن حريث الصيرفي، وهو ما اتّفقت عليه أغلب المصادر.

ثانياً: كنيته:

لم تعرف للسفير الأول عثمان بن سعيد كنية غير أبو عمرو[٧]، وأبو محمد[٨]، وربما يعود السبب في ذلك إلى تسميته بهذين الإسمين .

ثالثاً: ألقابه:

السّمّان، لأنَّه كان يعمل بتجارة السمن، تغطية على الأمر، وكان الشيعة إذا حملوا إلى الإمام الحسن العسكري ﷺ، الأموال المستحقّة عليهم، أنفذوها إلى السفير الأوّل، عثمان بن سعيد العمري، فيجعله في

---

[١] عمر الأطرف، بن علي بن أبي طالب ﷺ، أمه الصهباء، أم حبيب بنت عباد بن ربيعة ابن يحيى بن العبد بن علقمة التغلبية، سمي بالأطرف، لان فضيلته من طرف واحد، وهو والده الإمام علي ﷺ، وتمييزاً له عن عمر الأشرف بن الإمام زين العابدين ﷺ، الذي سمي بالأشرف لأنه نال فضيلة ولادة فاطمة الزهراء ﷺ. الأزدي، أبو مخنف لوط بن يحيى(ت١٥٧هـ)، مقتل الحسين، تحقيق، حسين الغفاري، المطبعة العلمية، قم، د.ت، ص١٦٥.

[٢] الطبرسي، أبي منصور احمد بن علي (ت٥٤٨هت)، الاحتجاج، تحقيق، محمد باقر الخرسان، دار النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٦م.، ج٢، ص٢٧٨ .

[٣] عمرو بن عامر بن ربيعة بن هوذة بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة، من قيس عيلان، وفد هو وأخوه الذي يعرف بعرس على النبي ﷺ، وأسلما فأعطاهما مسكنهما من المصنعة وقرار، وهو جد جاهلي يعرف بـ (فارس الصهباء)، ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، د.ت، ج٣، ص٧٩؛ ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم(ت٦٣٠هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ج٣، ص٤٠٠.

[٤] السمعاني، أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت٥٦٢هـ)، الأنساب، تحقيق، عبد الله عمر البارودي، ط١، دار الجنان، بيروت، ١٤٠٨هـ، ج٤، ص٢٣٨.

[٥] الصدر، حسن هادي الكاظمي (ت١٣٥٤ هـ)، نزهة أهل الحرمين في عمارة المشهدين، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٤٤هـ، ص٤٣.

[٦] الطهراني، الذريعة، ج١، ص٣١٨؛ الخزرجي، سفراء المهدي، ص٦٤.

[٧] المفيد، المسائل الصاغانية، ص٥٧؛ الطوسي، رجال الطوسي، ص٣٩٠؛ الغيبة، ص٣٥٤.

[٨] الشاكري، حسين، الكشكول المبوب، ط٥، مطبعة ستارة، قم، ١٤١٨، ص٨٨.

جراب[1] السمن وزقاقه[2]، ويحمل إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام تقية وخوفاً[3].

العسكري، لأنَّه كان يسكن عسكر سر من رأى[4](سامراء)[5] .

الزّيّات، لقّب بهذا اللقب لأنّه يعمل بالزيت أيضاً[6]، وربما يقصد بالزيت هو السّمن، أو الزيت الخاص بالإنارة.

رابعاً: نشأته الأولى:

لم تذكر المصادر تاريخ ولادته، وقد حدث اختلاف في تحديد خدمته للأئمّة المتأخّرين عليهم السلام فضلاً عن تسميته، وأوّل ما ورد اسمه في خدمة الإمام علي الهادي عليه السلام، وفقاً لرواية الطوسي(ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م): (خدمه وله إحدى عشر سنة وله إليه عهد معروف)[7].

وقال ابن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ/ ١١٩٢م): (إنَّ عثمان بن سعيد العمري كان باباً لأبي جعفر بن علي النقي) [8].

وعلى ذلك سار العلّامة الحلّي(ت٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م) قائلاً: (من أصحاب أبي جعفر محمد بن علي الثاني عليه السلام خدمه وله إحدى عشر سنة وله إليه عهد معروف)[9].

ويبدو أَنَّ سهواً وقع من ابن شهر آشوب والعلّامة الحلّي[10]، وهو ما أكّده أبو علي الحائري (ت١٢١٦هـ)، وعبد الله الماقاني (ت١٣٥١هـ) عندما أشارا بأنَّ العلامة الحلي قد وقع في اشتباه، وهذا الاشتباه نشأ من الاستعجال في التصنيف أو لعلّه سهو من قلمه[11].

---

[1] الجراب: الوعاء، وجمعه أجربة، وجرُب، يصنع من أهاب الشاة لا يوعا فيه إلا يابس، ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ)، لسان العرب، أدب الحوزة، قم، ١٤٠٥هـ، مادة جرب .

[2] الزقاق، جمع الزق، وهو جلد يجز و لا ينتف، ويستعمل لحمل الماء، ابن منظور، لسان العرب، مادة زقق ؛ الطريحي،فخر الدين (ت١٠٨٥هـ)، مجمع البحرين، تحقيق، احمد الحسيني، ط٢، الثقافة الإسلامية، د- م، ١٤٠٨هـ، ج٢، ص٢٨٠.

[3] المفيد، المسائل العشرين في الغيبة، ص٧٨؛ الطوسي، الغيبة، ص٣٥٤؛ الحلي، خلاصة الأقوال، ص٢٢٠؛ ابن داود، رجال ابن داود، ص١٣٣ ؛.

[4] سر من رأى، مدينة بين بغداد وتكريت شرقي دجلة، تبعد عن بغداد ثلاثين فرسخاً، يقال سر من رأى فخففها الناس وقالوا سامراء، تقع في الإقليم الرابع . راجع، ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله(ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م، ج٣، ص١٧٣.

[5] الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ج١، ص٣٥٥.

[6] الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ج١، ص٣٥٥؛ رجال الطوسي، ص٣٨٩.

[7] الطوسي، رجال الطوسي، ص٣٨٩ ؛ ابن داود، رجال ابن داود، ص١٣٣ .

[8] ابن شهر آشوب، المناقب،ج٣، ص٤٨٧.

[9] الحلي، خلاصة الأقوال،ص٢٢٠.

[10] الاردبيلي، جامع الرواة، ج١،ص٥٣٣؛ الخزرجي، سفراء المهدي، ص٨٥.

[11] الحائري، أبو علي محمد بن إسماعيل المازندراني (ت١٢١٦هـ)، منتهى المقال في أحوال الرجال، تحقيق، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط١، مطبعة ستارة، قم، ١٤١٦هـ، ج٤، ص٢٩٥-٢٩٦ .

فما ذكره ابن شهر آشوب والعلّامة الحلّي مخالف لما ذكره الطوسي، ووجّه الاختلاف هو جعل السفير الأوّل خادماً للإمام الجواد، والصّحيح كونه خادماً للإمام علي الهاديعليه السلام.

بذلك يكون السفير الأوّل قد ابتدأ أمره مع الإمام علي الهاديعليه السلام وبقي في خدمته طوال حياته. ثم انتقل بعد وفاتهعليه السلام عام(٢٥٤هـ/ ٨٦٨م)[١] إلى خدمة الإمام الحسن العسكريعليه السلام حتى وفاته عام (٢٦٠هـ/ ٨٧٣م)[٢]، فكان وكيله العام في تدبير الأمور والشؤون الدينية للطائفة الشيعية من استلام الكتب وإيصالها وقبض الحقوق، وتسليم الوجوه الشرعيّة والصدقات وغير ذلك[٣].

ولو تصوّرنا ولادته في عام ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م أو فيما قبلها أو ما بعدها بقليل لأمكن تصوّر التحاقه بخدمة الإمام علي الهاديعليه السلام الذي بدأت إمامته سنة ٢٢٠هـ / ٨٣٥م وانتهت سنة ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م. واستمراره مع الإمام العسكري عليه السلام حتى عام ٢٦٥هـ/ ٨٧٨م على وجه التقريب([٤]) ويأخذ بنا ذلك الى تحديد عمره بما يقرب من الخامسة والأربعين عاماً أو أقل أو أكثر من ذلك بقليل.

إنَّ تسمية السفير الأوّل عثمان بن سعيد أيضاً كان عليها خلاف، إذ ذكر الطوسي بعد ترجمته له بأنَّه حفص بن عمرو العمري، وأنَّه كان سفيراً للإمام المهديعجل الله فرجه، وأشتبه أيضاً في ترجمة ابنه محمد بن عثمان، فأبدله بمحمد بن حفص العمري قائلاً: (وحفص بن عمرو، كان وكيلاً لأبي محمد الحسن العسكريعليه السلام وأما أبو جعفر محمد بن حفص بن عمرو فهو ابن العمري، وكان وكيل الناحية المقدسة – أي الإمام المهدي – عجل الله فرجه[٥].

يبدو ذلك خطأً واضحاً[٦]، قال التستري في قاموسه: (هذا وقلنا في حفص بن عمرو: بأنَّ ما في نسخة الكشي بعنوان حفص بن عمرو المعروف بالعمري تحريف، ظاهر، وأنَّ الأصل، عثمان بن سعيد بن عمرو وكنيته أبو عمرو لعدم وجود حفص بن عمرو ولا محمد بن حفص بن عمرو، بل محمد بن عثمان بن سعيد وأبيه عثمان بن سعيد)[٧].

أمّا زكيّ الدين القهبائي (ت١٠٢٦هـ/ ١٦١٧م) فقد أوضح بأنَّ العمري اثنان، وكذلك بالنسبة لأبنائهما

---

[١] المفيد، المقنعة، تحقيق، مؤسسة النشر الإسلامي، ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي، قم-١٤١، ص٤٨٥؛ الطوسي، مصباح المجتهد، ط١، مؤسسة فقه الشيعة بيروت، ١٩٩١م، ص٨٠٥.

[٢] الأشعري، النوادر، ص٨ ؛ بحر العلوم، الفوائد الرجالية، ج١، ص٣٣٢.

[٣] عبد محمد، ندى سهيل، النواب الأربعة ومروياتهم الفقهية، رسالة ماجستير، كلية الشريعة، جامعة الكوفة، ٢٠٠٧، ص٥٩.

[٤] الصدر، موسوعة الإمام المهدي، ج١، ص٤٠٤.

[٥] الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ج٢، ص٨١٣.

[٦] الخزرجي، سفراء المهدي، ص٨٥.

[٧] التستري، قاموس الرجال، ج٦، ص٢٤٨.

قائلاً (ويظهر من هذا بأنَّ العمري اثنان هما، عثمان بن سعيد بن عمرو، وحفص بن عمرو، وكذلك ابن العمري، اثنان أيضاً وهما: محمد بن عثمان، ومحمد بن حفص، ولكن حفص بن عمرو العمري وابنه كانا وكيلين للصاحب ببغداد، وأمّا عثمان بن سعيد وابنه فإنَّهما بابان للصاحب عجل الله فرجه ومن قبله لأبيه وجدّه[1].

وهذا الرّأي مستبعد لدى الباحث، لأنَّ الطّوسي ذكر في الغيبة عثمان بن سعيد العمري وابنه سفيرين للإمام المهدي عجل الله فرجه، ولم يتعرّض لحفص وابنه محمد؛ ولكنّه ذكر في رجاله فقد ذكر حفص بن عمر العمري المعروف[2].

وعليه: (فلابُدّ من حمله – أي الكشي- على غلط النسخة بعد مخالفتها لما تسالم عليه الأصحاب، من أنَّ الوكيل كان عثمان بن سعيد وابنه محمد، وذكر العلامة – الحلي نفسه في ترجمة محمد بن عبد العزيز الكشي: أنّ له كتاب الرجال، كثير العلم، إلا أنَّ فيه أغلاطاً كثيرة)[3] .

ولم ينكر السّيّد الصدر حفص بن عمرو، مشيرًا الى نشاطه المتزايد بهذا الأمر، وكان الأمر يدور عليه[4].

والرّأي عند الباحث، بأنَّ هذه التسمية لم تكن عديمة الوجود بل أطلقت – كما يبدو- على السفير الأول كإجراء أمني للحيلولة من وصول المعلومات عنه، وإيهام السلطات العبّاسية الملاحقة للإمام المهدي عجل الله فرجه وأنصاره.

خامساً: وثاقته وإثبات سفارته:

واكب السفير الأوّل ثلاثة من الأئمة المعصومين عليهم السلام، وتشرّف بصحبتهم، منذ أنْ كان ابن إحدى عشرة سنة حتى وفاته، وهذا يؤكِّد تمسّك الأئمة عليهم السلام به لوثاقته، وحسن دينه وقدره، إذ كان جليل القدر[5]، ونصّ على توثيقه، كلّ من الإمام الهادي عليه السلام، والإمام الحسن العسكري عليه السلام، والإمام المهدي عجل الله فرجه، فضلاً عن كبار المؤلّفين.

ومن هذه التّوثيقات:

أوّلاً: ما جاء عن الإمام علي الهادي عليه السلام:

أ-روى أحمد بن إسحاق بن سعد[6]، قال (سألت أبا الحسن عليّاً الهادي عليه السلام: من أعامل؟ وعمّن آخذ وقول من أقبل؟ فقال له: العمري ثقتي فما أدّى إليك عنّي فعنّي يؤدّي، وما قاله لك فعنّي يقول فاسمع له وأطع فإنَّه

---

[1] القهبائي، زكي الدين عناية الله علي (ت١٠٢٦هـ)، مجمع الرجال، تحقيق ؛ السيد ضياء الدين الاصفهاني، أصفهان، ١٣٨٤هـ، ج١، ص٢٢٠.

[2] الطوسي، الغيبة، ص٣٥٣؛ رجال الطوسي، ص٣٨٩ ؛ ابن داود، رجال ابن داود، ص١٣٣ ؛ التفرشي، نقد الرجال، ج٣، ص١٩٣.

[3] الخوئي، أبو القاسم الموسوي (ت١٤١٣هـ)، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، تحقيق، لجنة التحقيق، ط٥، د- م، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ج٧، ص١٥٦.

[4] الصدر، موسوعة الإمام المهدي،ج١، ص٦٢٤.

[5] الطبرسي، أعلام الورى، ج٢، ص٢٥٩؛ الحلي، خلاصة الأقوال، ص٢٢.

[6] احمد بن إسحاق بن عبد الله بن سعد بن مالك بن الاحوص الأشعري، أبو علي القمي، كان معاصراً لسفراء الإمام المهدي عجل الله فرجه، روى انه كان ثقة جليل القدر، ومن خواص أبي محمد العسكري عليه السلام، ورأى ابنه الإمام المهدي عجل الله فرجه، له كتب عديدة، روى له سعد بن عبد الله روى بأنه راسل السفير الثالث الحسين بن روح يستأذنه في الحج فأذن له بثوب: فقال احمد بن إسحاق: نعى إلي نفسي، وبعد انصرافه من الحج، مات بحلوان. الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ج٢، ص٨٣١.

الثقة المأمون)[1] .

ب- روى الطوسي عن احمد بن إسحاق قال (دخلت على أبي الحسن علي بن محمد (صلوات الله عليه) في يوم من الأيّام فقلت: يا سيّدي أنا أغيب وأشهد ولا يتهيّأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كلّ وقت، فقول من نقبل وأمر من نمتثل؟ فقال لي (صلوات الله عليه): هذا أبو عمرو الثّقة الأمين، ما قاله لكم فعنّي يقوله وما أدّاه إليكم فعنّي يؤدّي)[2].

ثانياً: ما جاء عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

آ- سأل أحمد بن إسحاق الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن العمري، فقال له: (العمري وابنه ثقتان، فما أدّيا إليك فعنّي يؤدّيان، وما قالاه فعنّي يقولان، فاسمح لهما وأطعهما، فهما الثقتان المأمونان)[3] .

ب- روى الطوسي عن جماعة[4]: ((دخلنا على أبي محمد الحسن عليه السلام بسر من رأى وبين يديه جماعة من أوليائه وشيعته، حتى دخل عليه بدر خادمه فقال: يا مولاي بالباب قوم شعث[5] غبر[6]، فقال لهم: هؤلاء نفر من شيعتنا باليمن ...إلى أن قال الحسن عليه السلام لبدر فامض فاتنا بعثمان بن سعيد العمري، فما لبثنا إلا يسيراً حتى دخل عثمان، فقال له سيدنا أبو محمد عليه السلام: امض يا عثمان فإنك الوكيل والثقة المأمون على مال الله، وأقبض من هؤلاء النفر اليمنيين ما حملوه من المال ثم قلنا بأجمعنا: يا سيّدنا والله إنّ عثمان لمن خيار شيعتك، ولقد زدتنا علماً بموضعه من خدمتك، وأنّه وكيلك وثقتك على مال الله تعالى، فقال نعم وأشهدوا على أن عثمان بن سعيد العمري وكيلي، وأنَّ ابنه محمداً وكيل ابني مهديّكم)[7].

جـ- وفي رواية أخرى نقلها الشيخ الطوسي في الغيبة عن جماعة من الشيعة[8]، أنهَّم قالوا (اجتمعنا الى أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام نسأله عن الحجة من بعده وفي مجلسه أربعون رجلاً ... ثم خرج لنا غلام كأنه قمر أشبه

---

[1] الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت٣٢٨-٣٢٩هـ)، الأصول من الكافي، تحقيق، علي أكبر غفاري، ط٥، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٣هـ، ص٣٣٠؛

[2] الطوسي، الغيبة، ص٣٥٤.

[3] الكليني، الكافي، ج١، ص٣٣٠؛ الطوسي، الغيبة، ص٢٤٣؛ الطبرسي، أعلام الورى، ج١، ص٢١٩؛ الخاقاني، علي، رجال الخاقاني،تحقيق، محمد صادق بحر العلوم، ط٢، مكتب الإعلام الإسلامي، د- م، ١٤٠٤هـ، ص١٧٥ .

[4] الجماعة: هم من أشراف الشيعة الإمامية وأصحاب حديث نقل عنهم أبو نصر هبة الله الكاتب قائلاً: ((حدثني أبو محمد العباس بن احمد الصائغ قال: حدثني الحسين بن احمد الخصيبي قال: حدثني محمد بن إسماعيل، وعلي بن عبد الله الحسنيان)).الطوسي، الغيبة، ص٣٥٥.

[5] شعثَ:- بفتح الشين وكسر العين،شَعِثَ شعثاً، وهو المغبر الرأس المنتف الشعر الحاف الذي لم يدّهن، والتشعث التفرق والتنكث كما يتشعث رأس السوالَك، وتشعث الشيء تفريقه. ابن منظور، لسان العرب، مادة شعث .

[6] غبرَ، غبر الشيء يغبر غبوراً، مكث وذهب، أي بقي والغابر الماضي، وهو من الأضداد. ابن منظور، لسان العرب، مادة غبر.

[7] الطوسي، الغيبة، ص٣٥٥-٣٥٦ ؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥١، ص٣٤٦؛ العاملي، علي الكوراني،معجم احاديث الأمام المهدي، ط١، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم ١٤١١هـ، ج٤، ص٢٥١.

[8] هم وجهاء وثقاة الشيعة منهم، علي بن بلال، واحمد بن هلال، ومحمد بن معاوية، والحسن بن أيوب بن نوح. راجع، الطوسي، الغيبة، ص٣٥٧.

الناس بأبي محمد، فقال: هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم أطيعوه ولا تتفرقوا فتهلكوا في أديانكم، ألا إنَّكم لا ترونه من بعد يومكم هذا فأقبلوا من عثمان بن سعيد ما يقوله، وانتهوا لأمره، وأقبلوا قوله، فهو خليفة إمامكم والأمر إليه)[1].

د- نقل الطوسي عن أحمد بن إسحاق أنَّه لمّا مضى الإمام علي الهادي عليه السلام، سأل ابنه الإمام الحسن العسكري، من يعامل إذا لم يستطع الوصول إلى الإمام العسكري عليه السلام فأجابه قائلاً: (هذا أبو عمرو، الثقة الأمين ثقة الماضي- أي الإمام علي الهادي عليه السلام - وثقتي في المحيا والممات، فما قاله لكم فعنّي يقوله، وما أدّى إليكم فعنّي يؤدّيه)[2].

هـ- ومن جملة الوثائق في عظم مكانته عند الإمام الحسن العسكري عليه السلام ما جاء في رسالة الإمام إلى إبراهيم بن عبد النيسابوري[3]. فقد أمر بطاعته واتباعه: (ولا تخرجن من البلدة حتى تلقى العمري رضي الله عنه برضاي عنه، فتسلم عليه، وتعرفه ويعرفك، فإنَّه الطّاهر الأمين العفيف القريب منا)[4].

ثالثاً: ما جاء عن الإمام المهدي عجل الله فرجه:

آ- عند استشهاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام وانتقال الإمامة الى ابنه الإمام المهدي عجل الله فرجه نصّ على نيابة عثمان بن سعيد العمري، وأقره في منصبه أَمام وفد القمّيين الذي قدم الى سامراء بعد استشهاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام وهو يحمل الأموال التي يدفعها سنويّاً للإمام عليه السلام من خمس وزكاة[5].

ب- توقيع[6] صدر من الإمام المهدي عجل الله فرجه الى السفير الثاني يشيد به بنزاهة ووثاقة والده السفير الأوّل، وتأبينه له ما نصّه: (إنّا لله وإنّا إليه راجعون تسليماً لأمره، ورضاً لقضائه، عاش أبوك سعيداً، ومات حميداً، فرحمه الله وألحقه بأوليائه، ومواليه فلم يزل مجتهداً في أمرهم، ساعياً في تقربه إلى الله عز وجل إليهم، نظر الله وأقال عثرته)[7].

إنّ التوثيقات الآنفة الذكر تدلّ على تقوى السفير الأول عثمان بن سعيد العمري، وعظم منزلته عند الأئمة

---

[1] الطوسي، الغيبة، ص٣٥٧ ؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥١، ص٣٤٦ ؛ الأمين أعيان الشيعة، ج٥، ص٢٦؛ الحائري، علي اليزدي(ت١٣٣٣هـ) .

[2] الطوسي، الغيبة، ص٣٥٤-٣٥٥.

[3] إبراهيم بن عبده النيسابوري، ثقة جليل القدر من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام والإمام الحسن العسكري عليه السلام ووكيله، له توقيعات ثلاث روتها عدة مصادر تتضمن توكيله في بعض حقوقه عن مواليه والدعاء له. وفي ذكر مضمون احدها يدل على ثقته وجلالته.الطوسي، رجال الطوسي، ص٣٨٤؛ البرجوردي، طرائف المقال، ج١، ص٢٢١؛ الشاهرودي، على النماري(ت١٤٠٥هـ)، مستدركات علم رجال الحديث، ط١ن مطبعة شفق، طهران، ١٤١٢هـ، ص١٧٤ .

[4] الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ج٢، ص٨٤٨؛ الحلي، خلاصة الأقوال، ص٣٠٥ .

[5] الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص٣٣٠-٣٣٢.

[6] التوقيع، يطلق على الكلمات القصار التي تمليها أقلام الكبراء في ذيل الرسائل ونحوها، وهو ما يوقع في الكتاب من الجواب. الطريحي، مجمع البحرين، ص٥٣٥.

[7] الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص٤٤٤؛ الطوسي، الغيبة، ص٣٦١؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص٣٠١؛ الراوندي، الخرائج والجرائح، ج٣، ص١١١٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥١، ص٣٤٩.

المتأخرين، وأنّه أوثق الناس وأشدّهم حرصاً على الدين. وهذا مما دفع العلماء إلى مدحه وتأكيد وثاقته وأمانته ومكانته، وصفه الشيخ الطوسي، بأنَّه جليل القدر، وثقة، فقال عنه: (هو الشيخ الموثوق به أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري)[1] وقال عنه في رجاله: (جليل القدر ثقة)[2] . فيما قال الطبرسي عنه: (وكان أبو عمرو بن عثمان بن سعيد العمري قدّس الله روحه باباً لأبيه وجده – أي الإمام المهدي- عليهما السلام من قبل وثقة لهم)[3].

فالسفير الأوّل من علماء الشيعة المعتمدين، عرف بحسن السيرة والعدالة والأمانة، وعظيم المنزلة، وكان ممدوحاً، وموضع اعتماد لدى الأئمّة المتأخّرين والعلماء[4] كما في شعر التبريزي:

عثمان العمري هو الوكيل ابن سعيد ثقة جليل[5]

سادساً: وفاة السفير الأول ومكان قبره:

لم تعرف سنة وفاة السفير الأول على نحو دقيق وحالها في ذلك حال سنة ولادته، فقد ذكر السّيّد محمد مهدي الأصفهاني أنَّ سنة وفاته كانت في حدود عام (٢٥٧هـ/ ٨٧٠م)[6]، بينما وردت في كتاب رجال السيد بحر العلوم بأنَّه: (توفّي ببغداد بعد وفاة الإمام الحسن العسكري بسنوات، ولعلّها سنة (٢٦٤/ ٨٧٧م أو ٢٦٥هـ/ ٨٧٨م)[7] وبناء على ذلك حدّد مدّة سفارته على وجه التقريب بخمس سنوات[8].

وكتب جواد علي: ((بعد مضي (٢٠) عاماً على غيبة الإمام الثاني عشر، توفّي السفير الأول عام (٢٨٠هـ/ ٨٩٣م)[9].

الرأيان الأوّل والأخير مستبعدان لدى الباحث، ولا يمكن الأخذ بهما، فالأوّل عام (٢٥٧هـ/ ٨٧٠م) غير وارد، إذ تكون وفاته في حياة الإمام الحسن العسكري، وهذا يعني نفي تسلّمه السفارة للإمام المهدي، والتي بدأت بعد استشهاد الإمام الحسن العسكري عام ٢٦٠هـ، فضلاً عن ذلك فإنَّ الإمام المهدي قد عزّى ولده السفير الثاني بعد وفاته، ويظهر بوضوح تولّي الإمام المهدي لمنصب الإمام بعد أبيه فلا يمكن

---

[1] الطوسي، الغيبة، ٣٥٤.

[2] الطوسي، رجال الطوسي، ص٤٠١.

[3] الطبرسي، أعلام الورى، ج٢، ص٢٥٩.

[4] الطبرسي، أعلام الورى، ج٢، ص٢٥٩؛ الحلي، خلاصة الأقوال، ص٢٢١؛.

[5] التبريزي، ملا علي العلياري(ت١٣٢٧هـ)، بهجة الآمال في شرح زبده المقال، تحقيق جعفر الحائري، المطبعة العلمية، قم، ١٣١٧هـ، ج٥، ص٢٣٢.

[6] الأصفهاني، محمد مهدي الموسوي، أحسن الوديعة في تراجم أشهر مجتهدي الشيعة، دار الهادي، بيروت، ١٤١٣هـ، ج٢، ص١٤١.

[7] الفوائد الرجالية، ج٤، ص١٢٨.

[8] الصدر، موسوعة الإمام المهدي، ج١، ص١٢٨؛ الخزرجي، سفراء المهدي، ص١١٤.

[9] المهدي المنتظر، ص١٠٦.

قبول التاريخ الذي أورده الأصفهاني[١].

والثاني الذي جاء به الدكتور جواد علي سنة (٢٨٠هـ/ ٨٩٣م) مستبعد، إذ لو صح ذلك لكانت مدة سفارة عثمان بن سعيد العمري عشرين عاماً، وكانت مدة سفارة ابنه السفير الثاني محمد بن عثمان خمسة عشر عاماً، لأنَّ سفارته انتهت بوفاته عام ٣٠٥هـ/ ٩١٧م[٢]، وهذا ما لم تتّفق معه أغلب المصادر، فضلًا عن ذلك فإنَّ الدكتور جواد علي لم يشر إلى المصدر الذي اعتمده في تحديد سنة وفاة العمري، وإنَّما ارتكز على توقيع النعي الذي أرسله الإمام المهدي عجل الله فرجه إلى ابنه السفير الثاني، وهو أيضاً لم تحدّد المصادر تاريخ صدوره، وإنَّما الذي تم تحديده هو حديث وثاقة صدر من الإمام المهدي عجل الله فرجه وسنأتي على ذكره في المبحث القادم. لم تحدّد سنة خروجه عن الإمام عليه السلام بل حُدّدت سنة نقل خبره عن محمد بن حمويه[٣]كما في قول الطوسي ((عن محمد بن همام[٤]، قال: حدّثنا محمد بن حمويه بن عبد العزيز الرازي في سنة ثمانين ومائتين، قال حدثنا محمد بن إبراهيم بن مهزيار[٥] أنَّه خرج إليه بعد وفاة أبي عمرو: والابن وقاه الله لم يزل ثقتنا ... الخ)[٦]، وكما يبدو أنَّ هذا التاريخ هو الذي اعتمده الدكتور جواد علي.

والمتّفق عليه أنَّ وفاة السفير الأوّل عثمان بن سعيد بعد استشهاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام عام ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م وقبل عام ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م ذلك لأنّ أحمد بن هلال[٧] ادّعى السفارة كذباً، في زمن ابنه السفير الثاني محمد بن عثمان[٨]، علمًا أنَّ تاريخ وفاة أحمد بن هلال كانت سنة ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م[٩] فتكون وفاة السفير الأوّل عثمان بن سعيد العمري قبل هذا التاريخ[١٠].

قبل وفاة السفير الأول قام بتبليغ أصحابه وقواعده الشعبية ما هو مأمور به من قبل الإمام المهدي عجل الله فرجه، من

---

[١] عبد محمد، النواب الأربعة، ص٧١.

[٢] الأشعري، النوادر، ص٨ ؛ الطوسي، الرسائل العشرة، ص١٦.

[٣] محمد بن حمويه بن عبد العزيز الرازي، روى الكليني عنه في الكافي، حديث مرض أبي إبراهيم بن مهزيار، وصيته بما عنده من الأموال، وروى عنه الطوسي، حديث ميلاد الإمام المهدي عجل الله فرجه، ولم يذكره أصحاب التراجم، الكليني، الكافي، ج١، ص٥١٨ .

[٤] محمد بن همام، هو محمد بن أبي بكر همام بن سهيل الكاتب الاسكافي، كنيته أبو علي، أحد مشايخ الشيعة الكبار ومتقدمهم، له منزلة عظيمة، كثير الحديث، ولد يوم الاثنين ٦ ذي الحجة سنة ٢٥٨هـ/ ٨٧١م، وتوفي يوم الخميس ١٩ جمادي الثانية سنة ٣٣٦هـ / ٩٤٧م. النجاشي، رجال النجاشي، ص٣٧٩-٣٨٠ .

[٥] محمد بن إبراهيم بن مهزيار، سنأتي إلى ذكره في الفصل القادم.

[٦] الطوسي، الغيبة، ص٣٦٢.

[٧] احمد بن هلال، سنأتي إلى ذكره في الفصل القادم.

[٨] الصدر، موسوعة الإمام المهدي عجل الله فرجه، ج١، ص٤٩٥.

[٩] النجاشي، رجال النجاشي، ص٨٣ ؛ الطوسي، الفهرست، ص٨٣.

[١٠] آقاتي، مسعود بور وآخرون، دروس في تاريخ عصر الغيبة، ترجمة، أنور الرصافي، ط١، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، قم، ص١٥٦.

إيكال السفارة بعده إلى ابنه السفير الثاني محمد بن عثمان وجعل الأمر كلّه مردوداً إليه[1].

وقد نعى الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف السفير الأوّل، بتوقيع رفعه إلى ابنه السفير الثاني، جاء فيه: (إنّا لله وإنّا إليه راجعون، تسليماً لأمره ورضاءً بقضائه، عاش أبوك سعيداً ومات حميداً، فرحمه الله وألحقه بأوليائه ومواليه عليهم السلام، فلم يزل مجتهداً في أمرهم، ساعياً فيما يقرّبه إلى الله عز وجل وإليهم نضر الله وجهه وأقال عثرته).

وأكمل في النص: ((أجزل الله لك الثواب وأحسن لك العزاء، رزئت و رزئنا، وأوحشك فراقه وأوحشنا، فسره الله في منقلبه، كان من كمال سعادته أن رزقه الله تعالى ولداً، مثلك يخلفه من بعده، ويقوم مقامه بأمره، ويترحم عليه، وأقول: الحمد لله وقواك وعضدك ووفقك وكان لك وليّاً وحافظاً وراعياً وكافياً ومعيناً) [2].

وفي هذا التوقيع نلاحظ مدى حزن الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف على سفيره الأول ومدى دوره الفاعل في خدمة مشروع أئمته عليهم السلام الديني، واجتهاده في أمرهم، وتقواه وأمانته، ووثاقته، معزّياً ابن السفير الثاني أبا جعفر محمد، ومنصباً إياه للسفارة خلفاً لوالده- وكل كلمة من هذه الكلمات تعدّ ثناءً عطراً على سفيره الأول.

وعند وفاته تولى ابنه محمد بن عثمان تغسيله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه[3] . في الجانب الغربي من بغداد في سوق الميدان في أول الموضع المعروف بدرب جبلة في مسجد الدرب يمنة الداخل إليه، والقبر في نفس قبلة المسجد[4].

لقد وصف الطوسي ما شاهده من القبر، وما جرى عليه من بناء من سنة دخوله إلى بغداد حتى سنة نيف وثلاثين وأربعمائة، قائلاً: ((رأيت قبره في الموضع الذي ذكره هبة الله، وكان بني في وجهه حائط به محراب المسجد والى جانبه باب يدخل إلى موضع القبر في بيت مظلم ضيق فكنا ندخل إليه ونزوره مشاهرة، قال: وكذلك من وقت دخولي إلى بغداد وهي سنة ثمان وأربعمائة إلى سنة نيف وثلاثين وأربعمائة، ثم نقض ذلك الحائط الرئيسي أبو منصور محمد بن الفرج[5]، وأبرز القبر إلى برّ – أي الى الخارج- وعمل عليه صندوقاً وهو تحت السقف يدخل إليه من أراده ويزوره ويتبرّك جيران المحلّة بزيارته ويقولون: هو رجل صالح وقالوا هو ابن داية الحسين ولا يعرفون حقيقة الحال فيه وهو إلى يومنا هذا – وذلك سنة سبع وأربعين وأربعمائة – على ما هو عليه)[6].

---

[1] الطوسي، الغيبة، ص٢٢١ ؛ الصدر، موسوعة الإمام المهدي، ج١،ص٤٠١.

[2] الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص٥١٠.

[3] الطوسي، الغيبة، ص٢٦٢-٢٦٣.

[4] م.ن، ص٣٥٨؛ رونلدسن، دوايت، عقيد الشيعة، تعريب، ع.م، مكتبة الخانجي، د.م، د.ت، ص٢٥٣.

[5] أبو منصور محمد بن الفرج، لم نجد له ترجمة تذكر في مصادر التراجم والتاريخ.

[6] الطوسي، الغيبة، ص٣٥٨.

بعد وصف الطوسي، لم يذكر أحد قبر السّفير الأوّل حتى زاره الشيخ محمد حرز الدين[1] في العهد العثماني بالعراق سنة ١٣٠٥هـ، قائلاً: (وكان على قبره صندوقاً قديماً ثميناً يعهد صنعه إلى الرئيس أبي منصور محمد بن الفرج، وكان عليه قبة، وله حرم مجلل)[2].

وحدد محمد مهدي الأصفهاني موضع القبر خلف دائرة البريد بما يلي سوق الميدان، وقد جددت عمارته في هذه السنة شيعة بغداد[3]، وهي سنة ١٣٤٨هـ [4]، حسبما أشار إليه محمد بن حسين حرز الدين بقوله: (وقفت على قبره سنة ١٣٨٧هـ، وكان قد كُتبت على واجهة بابه من سوق الميدان: (هذا مسجد نائب الإمام عجل الله فرجه عثمان بن سعيد العمري العسكري بتاريخ ١٣٤٨هـ) [5].

إذن يكون موضع قبره في بغداد، بجانب الرصافة، قرب نهر دجلة بالجانب الغربي في سوق الميدان وتحديداً فيما يعرف اليوم بسوق هرج.

---

[1] م.ن، ص٣٥٨.

[2] حرز الدين، محمد (ت١٣٦٥هـ)، مراقد المعارف، تحقيق، محمد حسين حرز الدين، ط١، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٦٩م، ج٢، ص٦٢.

[3] الأصفهاني، أحسن الوديعة، ج٢، ص١٤١.

[4] عبد محمد، النواب الأربعة، ص٧٤.

[5] حرز الدين، مراقد المعارف، ج٢، ص٦٣.

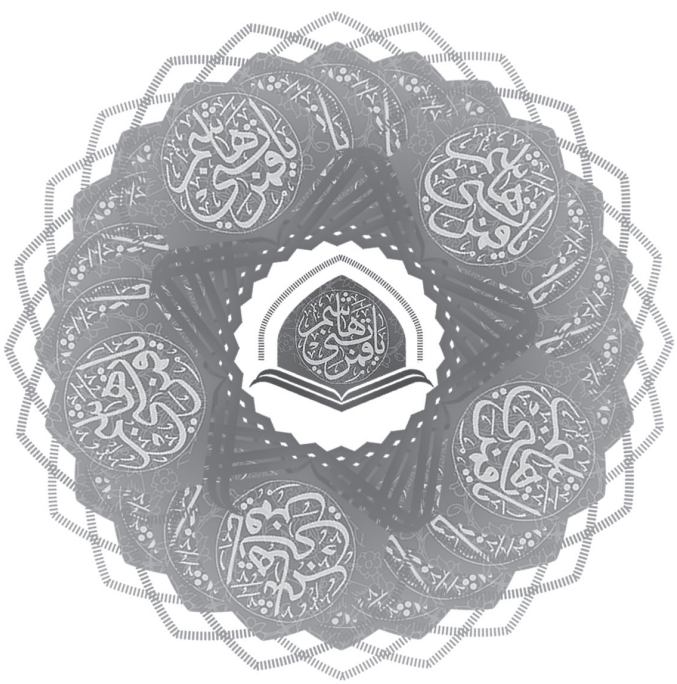

شذرات غيبية من الحياة الرضوية

حيدر فائق الهنداوي

المعجزة: على ما هو معروف بين الجميع، وعلى ما هو المستفاد من كتب اللغة العربيّة هي: ما يجعل غيره عاجزاً، ثمّ عرِّفت في الفعل الذي يعجز القادر عن الإتيان بمثله، أو الأمر الخارق للعادة المطابق للدعوى المقرون بالتحدّي، أو هي التي يعجز البشر عن أن يأتوا بمثلها، لا إمكاناً ولا وقوعاً.

وقيد: «لا إمكاناً ولا وقوعاً»، لإخراج ما يعجز عنه البشر اليوم، ويتمكّن منه غداً، كما في التطوّر الحاصل في الاكتشافات التكنلوجيّة والعلميّة وفي كلّ حقول العلوم، كالاكتشافات الذّرّيّة مثلا، فالبشر قبل مائة سنة عاجزون عن صناعة القنبلة الذرّيّة، لكنّهم في خمسينيات القرن الماضي، استطاعوا صناعة القنبلة، والعجز هنا عجز وقوع لا عجز إمكان، أمّا مثل إحياء الموتى فالبشر عموماً ـ إلّا من أذن له الله عز وجل ـ عاجزون وقوعاً: لا يتمكّنون من ذلك في كلّ حين، اليوم وبالأمس وفي المستقبل.

وفي الشرع والاصطلاح عرّفها لنا قطب الدين الراونديّ فقال: (هو كلّ حادث من فعل الله أو بأمره أو تمكينه ناقض لعادة الناس في زمان تكليف مطابق لدعوته أو ما يجري مجراه)[1].

وعرّفها سماحة السيّد الخوئي -أعلى الله مقامه-: " أن يأتي المدّعي لمنصب من المناصب الإلهيّة بما يخرق نواميس الطبيعة ويعجز عنه غيره شاهداً على صدق دعواه، وإنَّما يكون المعجز شاهداً على صدق ذلك المدّعي إذا أمكن أن يكون صادقاً في تلك الدعوى، وأمّا إذا امتنع صدقه في دعواه بحكم العقل، أو بحكم النقل الثابت عن نبيّ أو إمام معلوم العصمة، فلا يكون ذلك شاهداً على الصدق ولا يسمّى معجزاً في الاصطلاح، وإن عجز البشر عن أمثاله.

مثال الأول: ما إذا ادّعى أحد أنّه إله، فإنّ هذه الدعوى يستحيل أن تكون صادقة بحكم العقل، للبراهين الصحيحة الدالّة على استحالة ذلك.

---

[1] الخرائج والجرائح: ٣/ ٩٧٤.

ومثال الثاني: ما إذا ادّعى أحد النبوّة بعد نبيّ الإسلام، فإنّ هذه الدعوى كاذبة قطعاً بحكم النقل المقطوع بثبوته عن نبيّ الإسلام وعن خلفائه المعصومين بأنّ نبوّته خاتمة النبوّات، وإذا كانت الدعوى باطلة قطعاً فماذا يفيد الشاهد إذا أقامه المدّعي؟ ولا يجب على الله جلّ شأنه أن يبطل ذلك بعد حكم العقل باستحالة دعواه، أو شهادة النقل ببطلانها.

هذا وقد يدّعي أحد منصباً إلهيّاً ثمّ يأتي بشيء يعجز عنه غيره من البشر ويكون ذلك الشيء شاهداً على كذب المدّعى، كما يروى أنَّ «مسيلمة الكذّاب» تفل في بئر قليل الماء؛ ليكثر ماؤها فغار جميع ما فيها من الماء، وأنّه أمرّ يده على رؤوس صبيان بني حنيفة وحنّكهم فأصاب القرع كلّ صبيّ مسح رأسه، ولثغ كلّ صبيّ حنكه. فإذا ادّعى المدّعي بمثل هذا الشاهد لا يجب على الله أن يبطله، فإنّ في هذا كفاية لإبطال دعواه، ولا يسمّى ذلك معجزا في الاصطلاح[1].

إنَّ الإخبار بالغيب الذي ينزل به جبرئيل ﷺ من عند الله -عز وجل- على المعصومين ﷺ، هو من أبرز مفردات الإعجاز لو تأمّلنا ذلك قليلاً، وربّما تكون هذه النقطة من أقوى عناصر هيكليّة نفس المعجز القرآني؛ فالقرآن على الإنصاف بني الإعجاز الذي فيه على مجموعة أسس، منها أساس الغيب إضافة إلى إعجاز البلاغة والفصاحة وحسن التركيب الأدبي .. وغير ذلك، فالغيب عنصر مهمّ في إضفاء الإعجاز مضافاً إلى الأبعاد الإعجازيّة الأخرى.

الغيب في اللغة

الغيب لغة: وإنَّما تُسَمَّى الغَابَةُ غابةً؛ لأنها تُغَيِّبُ ما فيها وتَسْتُرُها عن الأنظار لكثافة أشجارها.

وقال الخليل الفراهيدي: (وكل شيء غَيَّبَ عنك شيئاً فهو غَيَابَة. وقال أيضاً: وأغابت المرأة فهي مغيبة، إذا غاب زوجها)[2].

أما ابن منظور فقد قال: «الغَيْبُ: كلُّ ما غاب عنك»[3].

وقال الطُريحيُّ: قوله تعالى: " **(قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ)**[4] بفتح الغين. أي في قَعره، سُمِّيَ به لغيبوبته عن أعين الناظرين، وكل شيء غَيَّبَ عنك شيئاً

---

[1] نوادر المعجزات في مناقب الأئمة الهداة ﷺ: ١٣.

[2] كتاب العين: ٤/ ٤٥٥.

[3] لسان العرب: ١/ ٦٥٤.

[4] يوسف: ١٠.

فهو غَيَابَة"[1].

تعريف الغيب اصطلاحًا

وبعد الاطلاع على آراء اللغويين من خلال مراجعة مجموع كلماتهم المختلفة التي ذكروها في كتبهم وقواميسهم حول الغيب يمكننا صياغة تعريف أدقّ للغيب كالتالي:

الغَيْبُ: ما غَابَ عن الحواس، وخَفي عليها.

فما غاب عن حواسنا وخرج عن دائرتها وحدودها فهو غيب بالنسبة إلينا.

الغيب في المصطلح القرآني

أما الغيبُ في المصطلح القرآني فهو ضِد الشهود والحضور، وقد تكرّر استعمال لفظ " الغيب" وبعض مشتقّاته في القرآن الكريم أربعاً وخمسين مرّة بالمعنى المذكور، ومن تلك الآيات:

١. قال الله عَزَّ وجَلَّ: **{عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ}**[2].

٢. قال تعالى: **{ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}**[3].

٣. قال جَلَّ وعَلا: **{وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}**[4].

هل يعرف الغيب غير الله؟

لدى مراجعة القرآن الكريم نجد أنَّ ظاهر عدد من الآيات تنفي إمكانية إطلاع الإنسان على الغيب وتصرّح بأنَّ العلم بالغيب والشهادة مختصّ بالله جل جلاله، فهو العالم بالغيب وليس لأحد من الخلق سبيل إلى معرفة الغيب، ومن تلك الآيات:

١. قال عَزَّ من قائل: **{قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ}**[5].

٢. وقال عَزَّ وجَلَّ: **{وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ}**[6].

---

[1] مجمع البحرين: ٢/ ١٣٤.

[2] الأنعام: ٧٣.

[3] الجمعة: ٨.

[4] التوبة: ١٠٥.

[5] النمل: ٦٥.

[6] الأنعام: ٥٩.

لكن بعد التدَبُّر في مجموع الآيات التي تتحدّث عن الغيب يتّضح للباحث أنَّ العلم بالغيب يكون على قسمين:

١. العلم بالغيب على وجه الأصالة والذاتية والإطلاق والإرسال، وهو مختصّ بالله عَزَّ وجَلَّ، فلا يُشاركه فيه غيره، وإليه تُشير الآيات النافية الآنفة الذّكر.

٢. العلم بالغيب على وجه التبعية، بإذن الله وتعليمه، وهذا العلم لا يكون إلَّا عرضيًّا واكتسابيًّا ومقيّداً ومحدودًا، يَطَّلِع عليه الأنبياء والأئمة ﷺ ومن شاء الله عَزَّ وجَلَّ تعليمهم به .

وتدل عليه من القرآن الكريم آيات كثيرة، منها:

١. قول الله عَزَّ وجَلَّ: **{عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا}**[١].

٢. قوله عَزَّ من قائل: **{ما كانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنينَ عَلى ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَميزَ الْخَبيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَما كانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلكِنَّ اللهَ يَجْتَبي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظيم}**[٢].

٣. قوله تعالى: **{ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحيهِ إِلَيْكَ وَما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ}**[٣].

٤. قوله جل جلاله: **{ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ}**[٤].

التمحور حول الغيب

لقد كان التمحور حول الغيب القيمة العقلية التربوية الأساس التي بناها النّص القرآني لتجاوز كلِّ المشاكل النفسية والسلوكية للإنسان، ولهذا نجد الآيات تؤكّدها كلّما جاءت مناسبة.

ففي قصّة يونس حين كان في بطن الحوت، أكّدت الآيات موقعية الغيب في حياة الإنسان النفسية، من خلال التأكيد على أنَّ ارتباطه بالغيب **{فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ}**[٥] هو السبب في سعادته النفسية **{وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ}**[٦]، وهذا ما نجده في كثير من المناسبات التي عرضتها الآيات المباركة.

---

[١] الأنعام: ٥٩.

[٢] آل عمران: ١٧٩.

[٣] يوسف: ١٠٢.

[٤] آل عمران:

[٥] الأنبياء: ٨٧.

[٦] الأنبياء: ٨٨.

بالتالي التمحور حول الغيب علاج تربوي لأهم مشاكل الإنسان النفسية والسلوكية، وهذا ما ينبغي لقارئ القرآن أن يتنبّه له[1].

هل أخبر الأنبياء أو الأئمة عن الغيب؟

في القرآن الكريم شواهد كثيرة على أنَّ الأنبياء علموا بالغيب في موارد كثيرة، وأخبروا الناس به بإذن الله، نكتفي بذكر عدد منها:

١. النبي إبراهيم عليه السلام: **{وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ}**[2].

٢. النبي يوسف عليه السلام: **{يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ}**[3].

٣. النبي يوسف عليه السلام: **{قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ}**[4].

٤. النبي سليمان عليه السلام: **{وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ}**[5].

٥. النبي عيسى عليه السلام: **{وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}**[6].

إلى غيرها من الآيات الكثيرة التي تصرّح بأنَّ الأنبياء عليهم السلام كانوا يطلعون على الغيب، كما كانوا يخبرون الناس بتلك الأخبار الغيبية.

الأئمة وعلم الغيب:

وأمَّا الأئمة من أهل البيت عليهم السلام فقد صرَّحوا بأنَّ علمهم بالغيب هو بتعليم من الرسول صلى الله عليه وآله.

فقد رَوى الكُليني (قدَّس الله نفسه الزَّكية) عَنْ مُعَمَّرِ بْنِ خَلَّادٍ[7]، قَالَ: **" سَأَلَ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام[8] رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ فَارِسَ، فَقَالَ لَهُ: أَتَعْلَمُونَ الْغَيْبَ؟**

---

[1] منشور في صحيفة الدار الكويتية – الشيخ فيصل العوامي.

[2] الأنعام: ٧٥.

[3] يوسف: ٤١.

[4] يوسف: ٤٧ – ٤٩.

[5] النمل: ١٦.

[6] آل عمران: ٤٩.

[7] معمر بن خلاد بن أبي خلاد، أبو خلاد بغدادي، ثقة، روى عن الرضا عليه السلام. له كتاب الزهد. رجال النجاشي: ٤٢١.

[8] أي الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام.

فَقَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام[1]: «يُبْسَطُ لَنَا الْعِلْمُ فَنَعْلَمُ، وَيُقْبَضُ عَنَّا فَلاَ نَعْلَمُ».

وَقَالَ: «سِرُّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَسَرَّهُ إِلَى جَبْرَئِيلَ عليه السلام وَأَسَرَّهُ جَبْرَئِيلُ إِلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَأَسَرَّهُ مُحَمَّدٌ إِلَى مَنْ شَاءَ اللهُ"[2].

الإمام علي عليه السلام وعلم الغيب:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يصف قوماً من الأتراك ويتنبّأ بعض أعمالهم: **" كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْماً كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ [الْمُطَرَّقَةُ] يَلْبَسُونَ السَّرَقَ وَالدِّيبَاجَ وَيَعْتَقِبُونَ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ وَيَكُونُ هُنَاكَ اسْتِحْرَارُ قَتْلٍ حَتَّى يَمْشِيَ الْجَرُوحُ عَلَى الْمَقْتُولِ وَيَكُونَ الْمُفْلِتُ أَقَلَّ مِنَ الْمَأْسُورِ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ لَقَدْ أُعْطِيتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِلْمَ الْغَيْبِ فَضَحِكَ عليه السلام وَقَالَ لِلرَّجُلِ وَكَانَ كَلْبِيّاً يَا أَخَا كَلْبٍ لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا عَدَّدَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: {إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ ما فِي الْأَرْحامِ وَما تَدْرِي نَفْسٌ ما ذا تَكْسِبُ غَداً وَما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ}[3] الْآيَةَ فَيَعْلَمُ اللهُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَ قَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ وَ سَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ وَمَنْ يَكُونُ لِلنَّارِ [فِي النَّارِ] حَطَباً أَوْ فِي الْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللهُ وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللهُ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله فَعَلَّمَنِيهِ وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي وَتَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي"[4].**

إنَّ الله -عز وجلَّ- قد أعلم أنبياءه وأولياءه عليهم السلام بعلم الغيب ليكون من الأدلّة على كونهم حجج الله على الخلق، وكان الإمام علي الرضا عليه السلام كآبائه الطاهرين عليهم السلام وأبنائه المعصومين عليهم السلام وكجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله يعلم الغيب بإذن الله تعالى، وإليك بعض الشواهد على ذلك:

- **هذه تربتي**

عن عبد السلام بن صالح الهروي[5] قال: لما دخل الإمام الرضا عليه السلام خراسان ودخل القبّة التي فيها قبر هارون، خط بيده إلى جانبه ثم قال عليه السلام:

" هَذِهِ تُرْبَتِي وَفِيهَا أُدْفَنُ وَسَيَجْعَلُ اللهُ هَذَا الْمَكَانَ مُخْتَلَفَ شِيعَتِي وَأَهْلِ مَحَبَّتِي وَاللهِ مَا يَزُورُنِي مِنْهُمْ زَائِرٌ وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيَّ مِنْهُمْ مُسَلِّمٌ إِلَّا وَجَبَ لَهُ غُفْرَانُ اللهِ وَ رَحْمَتُهُ بِشَفَاعَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَصَلَّى رَكَعَاتٍ وَدَعَا بِدَعَوَاتٍ فَلَمَّا فَرَغَ سَجَدَ سَجْدَةً طَالَ مَكْثُهُ فِيهَا فَأَحْصَيْتُ لَهُ فِيهَا خَمْسَمِائَةِ تَسْبِيحَةٍ ثُمَّ انْصَرَفَ"[6].

---

[1] أي الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام.

[2] الكافي: ١/ ٢٥٦.

[3] لقمان: ٣٤.

[4] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٨/ ٢١٥.

[5] أبو الصلت الهروي، روى عن الرضا عليه السلام، ثقة صحيح الحديث. رجال العلامة الحلي: ١١٧.

[6] عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ١٣٧.

● **ندفن في بيت واحد**

عن موسى بن مهران قال: رأيت علي بن موسى الرضا ﷺ في مسجد المدينة وهارون يخطب، فقال ﷺ: **"أَتَرَوْنَنِي وَإِيَّاهُ نُدْفَنُ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ؟!"**[1].

● **إنَّه يموت قبله**

عن محمد بن داود قال: **" كُنْتُ أَنَا وَأَخِي عِنْدَ الرِّضَا ﷺ فَأَتَاهُ مَنْ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَدْ رُبِطَ ذَقَنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ فَمَضَى أَبُو الْحَسَنِ ﷺ وَمَضَيْنَا مَعَهُ وَإِذَا لِحْيَاهُ قَدْ رُبِطَا وَإِذَا إِسْحَاقُ بْنُ جَعْفَرٍ وَوُلْدُهُ وَجَمَاعَةُ آلِ أَبِي طَالِبٍ يَبْكُونَ فَجَلَسَ أَبُو الْحَسَنِ ﷺ عِنْدَ رَأْسِهِ وَنَظَرَ فِي وَجْهِهِ فَتَبَسَّمَ فَنَقِمَ مَنْ كَانَ فِي الْمَجْلِسِ عَلَيْهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّمَا تَبَسَّمَ شَامِتاً بِعَمِّهِ[2] قَالَ وَخَرَجَ لِيُصَلِّيَ فِي الْمَسْجِدِ فَقُلْنَا لَهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ قَدْ سَمِعْنَا فِيكَ مِنْ هَؤُلاَءِ مَا نَكْرَهُ حِينَ تَبَسَّمْتَ فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ ﷺ إِنَّمَا تَعَجَّبْتُ مِنْ بُكَاءِ إِسْحَاقَ وَهُوَ يَمُوتُ وَاللهِ قَبْلَهُ وَيَبْكِيهِ مُحَمَّدٌ قَالَ فَبَرَأَ مُحَمَّدٌ وَمَاتَ إِسْحَاقُ"**[3].

وعن يحيى بن محمد بن جعفر قال: **" مَرِضَ أَبِي مَرَضاً شَدِيداً فَأَتَاهُ أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا ﷺ يَعُودُهُ وَعَمِّي إِسْحَاقُ جَالِسٌ يَبْكِي قَدْ جَزِعَ عَلَيْهِ جَزَعاً شَدِيداً قَالَ يَحْيَى فَالْتَفَتَ إِلَيَّ أَبُو الْحَسَنِ ﷺ فَقَالَ مِمَّا يَبْكِي عَمُّكَ قُلْتُ يَخَافُ عَلَيْهِ مَا تَرَى قَالَ فَالْتَفَتَ إِلَيَّ أَبُو الْحَسَنِ ﷺ قَالَ لَا تَغْتَمَّنَّ فَإِنَّ إِسْحَاقَ سَيَمُوتُ قَبْلَهُ. قَالَ يَحْيَى فَبَرَأَ أَبِي مُحَمَّدٌ وَمَاتَ إِسْحَاق"**[4].

● **إنَّه يريد الكسوة والعطية**

عن معمر بن خلاد قال: **" قَالَ لِيَ الرَّيَّانُ بْنُ الصَّلْتِ بِمَرْوَ وَقَدْ كَانَ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ بَعَثَهُ إِلَى بَعْضِ كُوَرِ[5] خُرَاسَانَ فَقَالَ لِي أُحِبُّ أَنْ تَسْتَأْذِنَ لِي عَلَى أَبِي الْحَسَنِ ﷺ فَأُسَلِّمَ عَلَيْهِ وَأُحِبُّ أَنْ يَكْسُوَنِي مِنْ ثِيَابِهِ وَأُحِبُّ أَنْ يَهَبَ لِي مِنَ الدَّرَاهِمِ الَّتِي ضُرِبَتْ بِاسْمِهِ فَدَخَلْتُ عَلَى الرِّضَا ﷺ فَقَالَ لِي مُبْتَدِياً إِنَّ الرَّيَّانَ بْنَ الصَّلْتِ يُرِيدُ الدُّخُولَ عَلَيْنَا وَالْكِسْوَةَ مِنْ ثِيَابِنَا وَالْعَطِيَّةَ مِنْ دَرَاهِمِنَا فَأَذِنْتُ لَهُ فَدَخَلَ فَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُ ثَوْبَيْنِ وَثَلَاثِينَ دِرْهَماً مِنَ الدَّرَاهِمِ الْمَضْرُوبَةِ بِاسْمِهِ"**[6].

---

[1] عيون أخبار الرضا ﷺ: ٢/ ٢٢٦.

[2] أقول: من تكلم بهذا الكلام كان من جماعة المأمون ومن عيونه لا من أقرباء الإمام ﷺ. منه ﷺ.

[3] عيون أخبار الرضا ﷺ: ٢/ ٢٠٦.

[4] م. ن: ٢/ ٢٠٦-٢٠٧.

[5] وقيل لكلّ مصر: كُورَةٌ، وهي البقعة التي يجتمع فيها قرى ومحالّ. مفردات ألفاظ القرآن: ٧٢٩.

[6] عيون أخبار الرضا ﷺ: ٢/ ٢٠٨.

- **سيكثر ماله وتبعه**

عن الحسين بن موسى بن جعفر بن محمد العلوي قال: **"كُنَّا حَوْلَ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام وَنَحْنُ شُبَّانٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ إِذْ مَرَّ عَلَيْنَا جَعْفَرُ بْنُ عُمَرَ الْعَلَوِيُّ وَهُوَ رَثُّ[1] الْهَيْئَةِ فَنَظَرَ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ وَضَحِكْنَا مِنْ هَيْئَةِ جَعْفَرِ بْنِ عُمَرَ فَقَالَ الرِّضَا عليه السلام لَتَرَوْنَهُ عَنْ قَرِيبٍ كَثِيرَ الْمَالِ كَثِيرَ التَّبَعِ فَمَا مَضَى إِلَّا شَهْرٌ أَوْ نَحْوُهُ حَتَّى وَلِيَ الْمَدِينَةَ وَحَسُنَتْ حَالُهُ فَكَانَ يَمُرُّ بِنَا وَمَعَهُ الْخِصْيَانُ وَالْحَشَمُ وَجَعْفَرٌ هَذَا هُوَ جَعْفَرُ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْحَسَنِ[الحسين] بْنِ عَلِيِّ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام"**[2].

- **سيُقتل الأمين**

عن الحسين بن بشار قال: **" قَالَ الرِّضَا عليه السلام إِنَّ عَبْدَ اللهِ[3] يَقْتُلُ مُحَمَّداً[4] فَقُلْتُ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ هَارُونَ يَقْتُلُ مُحَمَّدَ بْنَ هَارُونَ فَقَالَ لِي نَعَمْ عَبْدُ اللهِ الَّذِي بِخُرَاسَانَ يَقْتُلُ مُحَمَّدَ ابْنَ زُبَيْدَةَ الَّذِي هُوَ بِبَغْدَادَ فَقَتَلَهُ"**[5].

- **قتل هرثمة**

عن موسى بن هارون قال: **" رَأَيْتُ الرِّضَا عليه السلام وَقَدْ نَظَرَ إِلَى هَرْثَمَةَ[6] بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ كَأَنِّي بِهِ وَقَدْ حُمِلَ إِلَى مَرْوَ فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ فَكَانَ كَمَا قَالَ"**[7].

- **إنَّهما غلام وجارية**

عن موسى بن عمر بن بزيع قال: **" كَانَ عِنْدِي جَارِيَتَانِ حَامِلَتَانِ فَكَتَبْتُ إِلَى الرِّضَا عليه السلام أُعْلِمُهُ ذَلِكَ وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَدْعُوَ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ مَا فِي بُطُونِهِمَا ذَكَرَيْنِ وَأَنْ يَهَبَ لِي ذَلِكَ قَالَ فَوَقَّعَ عليه السلام أَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى ثُمَّ ابْتَدَأَنِي عليه السلام بِكِتَابٍ مُفْرَدٍ نُسْخَتُهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ* عَافَانَا اللهُ وَإِيَّاكَ بِأَحْسَنِ عَافِيَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِرَحْمَتِهِ الْأُمُورُ بِيَدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَمْضِي فِيهَا مَقَادِيرُهُ عَلَى مَا يُحِبُّ يُولَدُ لَكَ غُلَامٌ وَجَارِيَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى فَسَمِ الْغُلَامَ مُحَمَّداً وَالْجَارِيَةَ فَاطِمَةَ عَلَى بَرَكَةِ اللهِ تَعَالَى قَالَ فَوُلِدَ لِي غُلَامٌ وَجَارِيَةٌ عَلَى مَا قَالَهُ عليه السلام"**[8].

---

[1] الرَّثُّ: الثوب البالي، وحبل رَثٌّ وثوب رَثٌّ، ورجل رَثُّ الهيئة في لبسه. كتاب العين: ٨/ ٢١٢.

[2] عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ٢٠٨ - ٢٠٩.

[3] أي المأمون العباسي.

[4] أي الأمين العباسي.

[5] عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ٢٠٩.

[6] هرثمة بن أعيَن. أبو حبيب، وصفه الحرّ العامليّ بقوله: وكان من خدّام المأمون، إلاّ أنّه كان محبّاً لأهل البيت إلى الغاية، ويعدّ نفسه من شيعتهم، وكان قائماً بخدمة الرضا عليه السلام وجمع مصالحه، مُؤْثراً لذلك على جميع أصحابه، مع تقدّمه عند المأمون وقربه. إثبات الهداة، للحرّ العامليّ: ٣/ ٣١٨.

[7] عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ٢١٠.

[8] م. ن: ٢/ ٢١٨- ٢١٩.

● **إيمان أم نفاق؟**

عن عبد الرحمن بن أبي نجران قال: كتب أبو الحسن الرضا عليه السلام وقرأت رسالته إلى بعض أصحابنا[1]: **"إِنَّا لَنَعْرِفُ الرَّجُلَ إِذَا رَأَيْنَاهُ بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ وَبِحَقِيقَةِ النِّفَاق"**[2].

إخباره عليه السلام بما ادّخر وإحياء الأموات

عن إبراهيم بن سهل، قال: **" لَقِيتُ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام وَهُوَ عَلَى حِمَارِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: مَنْ أَرْكَبَكَ هَذَا، وَتَزْعُمُ أَكْثَرُ شِيعَتِكَ أَنَّ أَبَاكَ لَمْ يُوصِكَ وَلَمْ يُقْعِدْكَ هَذَا الْمُقْعَدَ، وَادَّعَيْتَ لِنَفْسِكَ مَا لَمْ يَكُنْ لَكَ.**

فَقَالَ لِي: وَمَا دَلَالَةُ الْإِمَامِ عِنْدَكَ؟

قُلْتُ: أَنْ يُكَلِّمَ بِمَا وَرَاءَ الْبَيْتِ، وَأَنْ يُحْيِيَ وَيُمِيتَ.

فَقَالَ: أَنَا أَفْعَلُ، أَمَّا الَّذِي مَعَكَ فَخَمْسَةُ دَنَانِيرَ، وَأَمَّا أَهْلُكَ فَإِنَّهَا مَاتَتْ مُنْذُ سَنَةٍ وَقَدْ أَحْيَيْتُهَا السَّاعَةَ وَأَتْرُكُهَا مَعَكَ سَنَةً أُخْرَى، ثُمَّ أَقْبِضُهَا إِلَيَّ لِتَعْلَمَ أَنِّي إِمَامٌ بِلَا خِلَافٍ. فَوَقَعَتْ عَلَيَّ الرِّعْدَةُ فَقَالَ: أَخْرِجْ رَوْعَكَ فَإِنَّكَ آمِنٌ. ثُمَّ انْطَلَقْتُ إِلَى مَنْزِلِي، فَإِذَا بِأَهْلِي جَالِسَةٌ، فَقُلْتُ لَهَا: مَا الَّذِي جَاءَ بِكِ؟ فَقَالَتْ: كُنْتُ نَائِمَةً إِذْ أَتَانِي آتٍ، ضَخْمٌ، شَدِيدُ السُّمْرَةِ- فَوَصَفَتْ لِي صِفَةَ الرِّضَا عليه السلام- فَقَالَ لِي: يَا هَذِهِ، قُومِي وَارْجِعِي إِلَى زَوْجِكِ، فَإِنَّكِ تُرْزَقِينَ بَعْدَ الْمَوْتِ وَلَداً. فَرُزِقْتُ وَالله"[3].

● **إخباره عليه السلام بوفاة عليّ بن أبي حمزة البطائنيّ، وما جرى عليه في القبر**

عن الحسن بن عليّ الوشّاء[4] قال:

" وجّه إليّ أبو الحسن عليّ بن موسى عليهما السلام -ونحن بخراسان- ذات يوم بعد صلاة العصر، فلمّا دخلت عليه قال عليه السلام لي:

يا حسن، توفّي عليّ بن أبي حمزة البطائنيّ في هذا اليوم وأدخل قبره في هذه الساعة، فأتياه ملكا القبر، فقالا له: من ربّك؟ فقال: الله ربّي.

قالا: فمن نبيّك؟ قال: محمّد صلى الله عليه وآله.

---

[1] بالجيم المضمومة والنون الساكنة والدال المهملة المفتوحة والباء المنقطة تحتها نقطة البجلي عربي كوفي من أصحاب الكاظم عليه السلام والرضا عليه السلام ثقة. رجال العلامة الحلي: ١٠٥.

[2] بصائر الدرجات في فضائل آل محمد عليهم السلام: ١/ ٢٨٨.

[3] دلائل الإمامة: ٣٦٤.

[4] الحسن بن علي بن زياد الوشاء، بجلي كوفي. قال الكشي: يكنى بأبي محمد الوشاء وهو ابن بنت إلياس الصيرفي خير من أصحاب الرضا عليه السلام وكان من وجوه هذه الطائفة. رجال العلامة الحلي: ٤١.

قالا: فما دينك؟ قال: الإسلام.

قالا: فما كتابك؟ قال: القرآن كتابي.

قالا: فمن وليّك؟ قال: عليّ.

قالا: ثمّ من؟ قال: الحسن.

قالا: ثمّ من؟ قال: الحسين.

قالا: ثمّ من؟ قال: عليّ بن الحسين.

قالا: ثمّ من؟ قال: محمّد بن عليّ.

قالا: ثمّ من؟ قال: جعفر بن محمّد.

قالا: ثمّ من؟ قال: موسى بن جعفر.

قالا: ثمّ من؟ فتلجلج[1]، فأعادا عليه فسكت، قالا له: [أ] فموسى بن جعفر أمرك بهذا؟

ثمّ ضرباه بأرزبّة[2] وألقيا على قبره ناراً فهو يلتهب إلى يوم القيامة.

قال الحسن: فلمّا خرجت كتبت اليوم [ومنزلته في الشهر] فما مضت الأيّام حتّى ورد [ت] علينا كتب الكوفيّين بأنّ عليّ بن أبي حمزة قد توفّي في ذلك اليوم، وأدخل قبره الساعة التي قال أبو الحسن عليه السلام"[3].

- **إخباره عليه السلام بما يكون**

عن الحسن بن يسار المدائنيّ[4] قال: **" سألني الحسين بن قياما الصيرفيّ[5] أن أستأذن له على الرضا عليه السلام**

[1] اللَّجْلَجَة: كلام الرجل بلسان غير بيّن، وهو يُلَجْلِجُ لسانه، وقد تَلَجْلَجَ لسان. كتاب العين: ٦/ ٢٠.

[2] المِرْزَبَة والإِرْزَبَّة: عُصَيَّة من حديد. لسان العرب: ١/ ٤١٦.

[3] دلائل الإمامة: ٣٦٥.

[4] الحسين بن بشار او الحسين بن بشار الواسطي. من أصحاب الكاظم عليه السلام، رجال الشيخ. وعده في أصحاب الرضا عليه السلام قائلا: «الحسين بن يسار المدائني، مولى زياد ثقة صحيح، روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام». وعده في أصحاب الجواد عليه السلام أيضا.
وقد تقدم عن البرقي أيضا عد الحسن بن بشار من أصحاب الجواد عليه السلام، وعد ابن داود عن الشيخ الحسن بن بشار من أصحاب الكاظم والرضا عليهما السلام، كما تقدم عن الشيخ عد الحسن بن يسار من أصحاب الجواد عليه السلام.
فمن المطمأن به: أن الرجل واحد والاختلاف إنما نشأ من اختلاف نسخ الرجال، وإن كان البرقي ذكر الحسن بن بشار، والحسين بن بشار، من أصحاب الجواد عليه السلام، والحسين بن يسار، من أصحاب الكاظم عليه السلام.
كما أن من المطمأن به: صحة كلمة بشار على ما صرح به ابن داود دون كلمة يسار، كما يظهر من الروايات.
وقال الكشي: الحسين بن بشار. «حدثني خلف بن حماد، قال: حدثنا أبو سعيد الآدمي قال: حدثني الحسين ابن بشار، قال: لما مات موسى بن جعفر عليه السلام خرجت إلى علي بن موسى عليه السلام غير مؤمن بموت موسى عليه السلام، ولا مقر بإمامة علي عليه السلام، إلا أن في نفسي أن أسأله وأصدقه، فلما صرت بالمدينة انتهيت إليه، وهو بالصراء فاستأذنت عليه ودخلت فأدناني وألطفني، وأردت أن أسأله عن أبيه عليه السلام، فبادرني، فقال: يا حسين إن أردت أن ينظر الله إليك من غير حجاب وتنظر إلى الله من غير حجاب فوال آل محمد صلى الله عليه وآله، ووال ولي الأمر منهم. قال: فقلت: أنظر إلى الله عز وجل؟ قال: إي والله. قال حسين: فجزمت على موت أبيه، وإمامته. ثم قال لي: ما أردت أن آذن لك لشدة الامر وضيقه ولكني علمت الامر الذي أنت عليه. ثم سكت قليلا، ثم قال: خبرت بأمرك؟ قلت له: أجل. فدل هذا الحديث على تركه الوقف، وقوله بالحق». معجم رجال الحديث، السيد الخوئي: ٦/ ٢٢٠ – ٢٢١.

[5] والحسين بن قياما الصرفي، الواسطي، أدرك الإمام الكاظم والرضا عليهما السلام، ووقف على الإمام الكاظم عليه السلام، وعدّه الشيخ في رجال الكاظم عليه السلام، وذكر الكشي فيه: أنّه واقفي عنيد ملعون. وقال ابن داود: إنّه كان يجحد الإمام الرضا عليه السلام. وقال العلامة: إنّه واقفي. انظر: رجال الطوسي: ٣٣٦، اختيار معرفة الرجال ١/ ٤٠٦، خلاصة الاقوال: ٣٣٨، نقد الرجال ٢/ ١١١، جامع الرواة ١/ ٢٥١، معجم رجال الحديث: ٧/ ٦٩ ـ ٧٠.

ففعلت، فلمّا صار بين يديه قال له: أنت إمام؟

قال: نعم.

قال: إنّي أشهد الله أنّك لست بإمام.

قال له: وما علمك؟

قال: إنّي رويت عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: الإمام لا يكون عقيماً، وقد بلغت هذا السنّ وليس لك ولد.

فرفع الرضا عليه السلام رأسه إلى السماء، ثمّ قال: اللهمّ إنّي أشهدك أنّه لا تمضي الأيّام والليالي حتّى أرزق ولداً يكون لك حجّة على عبادك، فعددنا الوقت وكان بينه وبين ولادة أبي جعفر عليه السلام شهور"[1].

---

[1] دلائل الإمامة: ٣٦٨.

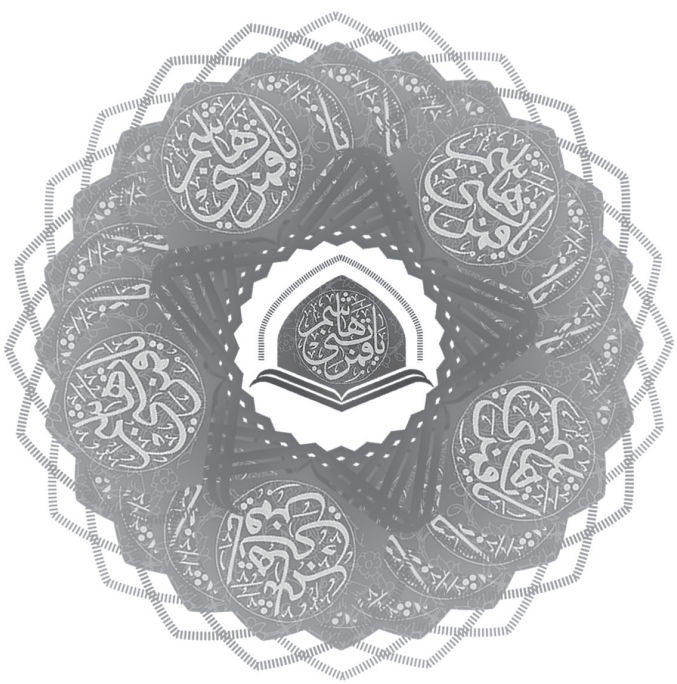

الدور المعنوي للسيدة خديجة عليها السلام في تقدّم الإسلام

محمد يوسف السعدي

تستخدم كلّ مدرسة أو فئة أو مجتمع من المجتمعات مجموعة متنوّعة من الأدوات والشخصيات والمفاهيم لنشر تفكيرها وعقائدها وسلوكها وطريقة تعاملها؛ ومن بينها الموارد البشريّة والشخصيات التي تلعب دورًا رئيسًا في نشر رسالة دينهم للجميع.

والمجتمع الإسلامي لا يشذ عن هذه القاعدة فقد التزم بأقدس رسالة إنسانيّة وديانة أبدية، ألا وهي الدّيانة الإسلامية الخالدة، وهناك أناس تمكّنوا على من تقدمه، وقدّموا التضحيات الجسام من أجله وكان من بينهم مولاتنا وسيدتنا خديجة عليها السلام التي فعلت كلّ ما بوسعها لأجل نشر الدّين الإسلامي.

السيدة خديجة أوّل سيّدة مؤمنة ومسلمة، وزوجة الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله، جسَّدت الكمال الإنساني والتضحية في جميع النواحي، بالجهاد والبذل بالنفس والمال والدفاع عن العقيدة بكلِّ ما أوتيت من قوّة.

لقد كانت الزّوجة الحكيمة، والأم المتفانية، والأم الحنون، جسَّدت الصبر والتضحية الصادقة بكلِّ معانيها، كريمة النفس، عفيفة الطبع، هذه هي أم السيدة فاطمة الزهراء، خديجة الكبرى عليها السلام.

إنَّ الحديث عن سيّدة مثل مولاتنا خديجة ليس بالسهل. بل لا يمكن للمرء أن يصوّر شخصية مثل هذه السيّدة الرائعة مع هذه الأقلام العاجزة، وما لا يدرك جله لا يترك كله، فنحاول أن نكتشف بعض الصفات الشخصية والنفسية، ونوضح الدور المعنوي لهذه السيدة العظيمة في نشر الإسلام.

إنَّ دراسة حياة هذه السيدة العظيمة، والتأكيد على حقوقها العديدة علينا من البديهيات، فهي مؤثّرة ونبيلة ولها إسهامات مالية ومعنوية مختلفة.

لقد كانت السيدة خديجة عليها السلام من خيرة نساء قريش شرفاً، وأكثرهنَّ مالاً، وأحسنهنَّ كمالاً، وكانت تُدعى في الجاهلية بـ(الطاهرة)، ويقال لها: (سيّدة قريش) لما لها من هيبة وعفاف قد عرفت به.

وقبل أن ندخل نحتاج أن نطّلع على نسبها وحسبها عليها السلام:

تمتاز السّيّدة خديجة أم المؤمنين بنسبها الطاهر، وهو كالتالي:

أبوها: هو خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، وكان خويلد من سادة قريش ومن أثرياء مكة.

أمّها: فهي فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر.

وأمّ فاطمة هي هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عمرو بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عمر بن لؤي بن غالب بن فهر.

وأما أم هالة فهي قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن معيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر[1].

فنلاحظ اشتراكها مع رسول الله صلى الله عليه وآله في أجداده، حيث إنَّ آباءه وأجداده صلى الله عليه وآله هم: عبد الله، عبد المطلب، هاشم، عبد مناف، قُصي، كِلاب، مُرَّة، كعب، لُؤي، غالب، فِهر، مالك، النضر، كِنانة، خُزيمة، مُدركة، إلياس، مُضر، نَزار، مَعدّ، عدنان .

أما خديجة عليها السلام فآباؤها وأجدادها هم: خويلد، أسد، عبد العزى، قصي، كلاب، مرة، كعب، لؤي، غالب، فهر، مالك، النضر، كِنانة، خُزيمة، مُدركة، إلياس، مُضر، نَزار، مَعدّ، عدنان.

كما ورُويَ عَنْ الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فِي خُطْبَةٍ لَهُ خَاصَّةً يَذْكُرُ فِيهَا حَالَ النَّبِيِّ وَالْأَئِمَّةِ عليهم السلام وَصِفَاتِهِمْ أنه قال: **" فَلَمْ يَمْنَعْ رَبَّنَا لِحِلْمِهِ وَأَنَاتِهِ وَعَطْفِهِ مَا كَانَ مِنْ عَظِيمِ جُرْمِهِمْ وَقَبِيحِ أَفْعَالِهِمْ أَنِ انْتَجَبَ لَهُمْ أَحَبَّ أَنْبِيَائِهِ إِلَيْهِ وَأَكْرَمَهُمْ عَلَيْهِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الله عليه السلام فِي حَوْمَةِ الْعِزِّ مَوْلِدُهُ وَفِي دَوْمَةِ الْكَرَمِ مَحْتِدُهُ غَيْرَ مَشُوبٍ حَسَبُهُ وَلَا مَمْزُوجٍ نَسَبُهُ وَلَا مَجْهُولٍ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ صِفَتُهُ بَشَّرَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ فِي كُتُبِهَا وَنَطَقَتْ بِهِ الْعُلَمَاءُ بِنَعْتِهَا وَتَأَمَّلَتْهُ الْحُكَمَاءُ بِوَصْفِهَا مُهَذَّبٌ لَا يُدَانَى هَاشِمِيٌّ لَا يُوَازَى أَبْطَحِيٌّ لَا يُسَامَى شِيمَتُهُ الْحَيَاءُ وَطَبِيعَتُهُ السَّخَاءُ مَجْبُولٌ عَلَى أَوْقَارِ النُّبُوَّةِ وَأَخْلَاقِهَا مَطْبُوعٌ عَلَى أَوْصَافِ الرِّسَالَةِ وَأَحْلَامِهَا إِلَى أَنِ انْتَهَتْ بِهِ أَسْبَابُ مَقَادِيرِ الله إِلَى أَوْقَاتِهَا وَجَرَى بِأَمْرِ الله الْقَضَاءُ فِيهِ إِلَى نِهَايَاتِهَا أَدَّاهُ مَحْتُومُ قَضَاءِ الله إِلَى غَايَاتِهَا تُبَشِّرُ بِهِ كُلُّ أُمَّةٍ مَنْ بَعْدَهَا وَيَدْفَعُهُ كُلُّ أَبٍ إِلَى أَبٍ مِنْ ظَهْرٍ إِلَى ظَهْرٍ لَمْ يَخْلِطْهُ فِي عُنْصُرِهِ سِفَاحٌ وَلَمْ يُنَجِّسْهُ فِي وِلَادَتِهِ نِكَاحٌ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَبِيهِ عَبْدِ**

---

[1] السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م: ١/ ١٩٨.

اللهِ فِي خَيْرِ فِرْقَةٍ وَأَكْرَمِ سِبْطٍ وَ أَمْنَعِ رَهْطٍ وَ أَكْلَإِ حَمْلٍ وَأَوْدَعِ حَجْرٍ اصْطَفَاهُ اللهُ وَارْتَضَاهُ وَ اجْتَبَاه"[1].

فأجدادها طاهرون مدحوا من قبل المعصومين عليهم السلام، وطهارة نسبها ضرورة تؤكّدها النصوص المأثورة.

إنَّ أوّل السمات الرّياديّة البارزة في حياة السيدة خديجة عليها السلام والتي تكشف عن روحها الكبيرة، وهمّتها العالية، وحرّيّتها واستقلالها، أنَّها عندما ورثت أموالاً طائلة من أبيها، لم تترك هذه الأموال راكدة، وإنَّما استثمرتها في التجارة، واستخدمت رجالاً صالحين لهذا الغرض، واستطاعت أن تكسب عن طريق التجارة ثروة ضخمة حتى قيل إنَّ لها أكثر من ثمانين ألف جمل متفرّقة في كلّ مكان، وكان لها في كلّ ناحية تجارة، وفي كل بلد مال، مثل مصر والحبشة إضافة إلى رحلتي التجارة إلى الشام واليمن.

ولا بد من القول إنَّ إدارة تجارة واسعة في ذلك المجتمع الجاهلي لم يكن أمراً سهلاً؛ حيث كانت المرأة محرومة من جميع حقوقها الاجتماعية، فلا بد أنَّ التي تقوم بهذا العمل الرائد تتميز بنبوغ متفوّق، وشخصية شامخة قوية، وخبرة بشؤون الحياة كافية لأن تؤهّلها لإدارة تلك التجارة العظيمة كأفضل الرجال رشدًا وعقلاً.

ومضات معنوية:

أوَّلاً: الخطبة المباركة:

ولعلَّ أول محطة استطاعت السيدة الجليلة من خلالها دعم الإسلام أنَّها عرضت نفسها على الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله؛ لتكون سنداً له، فلم تغرّها الدنيا وزينتها، وإنَّما كانت تبحث عمّا يخدم هدفها الأسمى في الحياة، فاتجهت الى أقدس شخص خلقه الله –تعالى– ألا وهو الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله، وبعد ذلك سخرت المال، والجاه، والقوّة، وكلَّ شيء لخدمة الإنسان والإنسانية، وتكاملها في الدرجات العلا.

مثل هذا الشخص العظيم لا بُدّ أن يفكّر بالاقتران بامرأة، ترتفع إلى مستوى حياته، بما سوف يكتنفها في المستقبل من جهاد وصبر، امرأة مستعدّة لبذل كلِّ غالٍ ونفيس في سبيل الأهداف السامية التي يسعى لتحقيقها، وتكون جديرة بمشاركته رحلة الدعوة بما يكتنفها من مشاكل وعقبات، فقيّض الله له السيدة الطاهرة، والمرأة العاقلة، اللبيبة، الفاضلة، الحنون، الثرية، سيدة مكة الأولى.

إنَّ قصة زواج السيدة خديجة عليها السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله، تُعدّ منعطفاً مهمًّا في حياتها، ونقطة لامعة في تأريخها المشرف، ودليلاً واضحًا على ما كانت عليه من روح الاستقلال والاعتماد على النفس، والحرية، والنَّفَس الريادي، والقدرة على اتخاذ القرار دون الالتفات إلى الموروث القيَمي للمجتمع الذي كانت تعيش فيه؛ لذا لم يكن اقترانها بالنبي محمد صلى الله عليه وآله يشبه الزواج المتعارف بين الناس، ولا بين الخاصّة من عِلية القوم، بل يُعدّ هذا

---

[1] الكافي: ١/ ٤٤٤.

الزواج الأنموذج الوحيد من نوعه في الجزيرة العربية، وخاصة بين قريش، إذ كان ذلك القِران الميمون المبارك خالٍ من كلِّ الدوافع، لقد كان زواجاً وسكناً من الطراز الأول .

ولم تكتفِ السيدة خديجة عليها السلام باختيار الرجل المناسب؛ ليكون زوجاً لها، بل ينقل لنا التاريخ أنّها المبادرة بالخطوة الأولى؛ حيث بعثت إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله، فقالت له: **" يَا ابْنَ عَمِّ إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِيكَ لِقَرَابَتِكَ مِنِّي وَشَرَفَكَ فِي قَوْمِكَ وَسَطَتِكَ فِيهِمْ وَأَمَانَتِكَ عِنْدَهُمْ وَحُسْنِ خُلُقِكَ وَصِدْقِ حَدِيثِكَ ثُمَّ عَرَضَتْ عَلَيْهِ نَفْسَهَا"**[1].

وفي رواية إنَّها عليها السلام وسَّطت أختها هالة فكلمت عمار بن ياسر وكان صديقاً مقرباً للنبي صلى الله عليه وآله فكلَّم النبي صلى الله عليه وآله الذي تقدم لخطبتها مع نفر من أعمامه، ولما خطب أبو طالب عليه السلام الخطبة المعروفة، وعقد النكاح، قام صلى الله عليه وآله ليذهب مع عمه أبي طالب، فقالت خديجة عليها السلام: **" إِلَى بَيْتِكَ فَبَيْتِي بَيْتُكَ وَأَنَا جَارِيَتُكَ"**[2].

السيدة خديجة ليست مجرد سيدة تملك أموالاً وترسل إبلًا إلى مختلف المناطق بدافع الربح، ولكنها شخصية معروفة حتَّى في أيّام الجهل بالعفّة والنقاء والطهارة؛ بل وصلت إلى درجة الكمال، حتى أنَّ النبي صلى الله عليه وآله شهد لها قائلاً: عن ابن عباس قال: **"خَطَّ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله أَرْبَعَ خِطَطٍ فِي الْأَرْضِ وَقَالَ أَتَدْرُونَ مَا هَذَا قُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَرْبَعٌ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ"**[3].

ثانياً: إعلان الإسلام:

لقد آمنت في اليوم الأول من بعثة المصطفى صلى الله عليه وآله، كما جاء في الحديث الشريف: **" فكان أول من آمن به من النساء خديجة ومن الذكور أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام"**[4].

وعندما رجع الرسول الكريم صلى الله عليه وآله من غار حراء وهو ينوء بثقل الرسالة العظيمة، كانت السيّدة خديجة عليها السلام في استقباله حيث قالت له: **" أيّ نور أرى في جبينك؟ فأجابها: إنّه نور النبوّة، ومن ثمّ شرح لها أركان الإسلام، فقالت له: «آمنت وصدّقت ورضيت وسلّمت"**[5].

كانت السيّدة خديجة أول سيّدة في الإسلام تصلّي، إذ إنّه لسنوات طوال انحصر الإيمان بالدين الإسلامي بخديجة عليها السلام والإمام علي عليه السلام، وكان الرسول الأعظم يذهب إلى المسجد الحرام ويستقبل الكعبة وعلي عليه السلام إلى

---

[1] كشف الغمة في معرفة الأئمة: ١/ ٥٠٩.

[2] الخرائج والجرائح: ١/ ١٤٠.

[3] الخصال: ١/ ٢٠٦٢٠٥-٢٠٦.

[4] كنز الفوائد: ١/ ٢٥٦.

[5] العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٣٢.

يمينه وخديجة خلفه، وكان هؤلاء الثلاثة هم النواة الأولى لأمّة الإسلام، وكانوا يعبدون معبودهم الواحد إلى جانب كعبة التوحيد.

وفقًا للظروف السياسية والاجتماعية السائدة في مجتمع الجهلاء، يمكن لإسلام السيدة خديجة أن يزيد من قوّة النبي ﷺ وأن يكون حلًّا مناسبًا للتغلب على المشكلات التي واجهها النبي ﷺ. فوجودها مع النبي ﷺ، بالإضافة إلى كونه مصدر السعادة والسلام للنبي، فهو الأساس لتطوير وتعزيز الثقافة الإسلامية في مجتمع ذلك الوقت.

ولعلّ من أهمّ فوائد إعلان السيدة لإيمانها أنَّها مهّدت للنساء دخولها في الاسلام.

متى أسلمت السيدة خديجة عليها السلام؟

من الأُمور المتّفق عليها لدى الجميع أنّ السيّدة خديجة عليها السلام هي أوّل امرأة أسلمت وآمنت برسول الله ﷺ.

وقد بقيت تصلّي مع رسول الله ﷺ سرّاً ما شاء الله، فعن عفيف الكندي قال: **"جئت في الجاهلية إلى مكة وأنا أُريد أن أبتاع لأهلي من ثيابها وعطرها، فنزلت على العباس بن عبدالمطّلب، قال: فأنا عنده وأنا أنظر إلى الكعبة وقد حلّقت الشمس، فارتفعت إذ أقبل شاب حتى دنا من الكعبة فرفع رأسه إلى السماء فنظر ثم استقبل الكعبة قائماً مستقبلها، فما لبثت إلَّا يسيراً حتى جاء غلام حتى قام عن يمينه ثم ما لبثت إلَّا يسيراً حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما ثم ركع الشاب، فركع الغلام وركعت المرأة، ثم رفع الشاب رأسه ورفع رأسه الغلام ورفعت المرأة رأسها، ثم خرّ الشاب ساجداً وخرّ الغلام ساجداً وخرّت المرأة، قال: فقلت: يا عباس إنّي أرى أمراً عظيماً.**

فقال العباس: أمر عظيم، هل تدري مَن هذا الشاب؟

قلت: لا ما أدري.

قال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطّلب ابن أخي، هل تدري مَن هذه؟

قلت: لا أدري.

قال: هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي هذا، إنّ ابن أخي هذا الذي ترى حدّثنا إنّ ربّه ربّ السماوات والأرض، أمره بهذا الدين الذي هو عليه، والله ما علمت على ظهر الأرض كلّها على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة"[1].

إنَّ إيمان السيدة خديجة عليها السلام بحدِّ ذاته هو شدٌّ لظهور المسلمين، ومجال من مجالات القوَّة أنَّ سيدة قريش

---

[1] سنن النسائي الكبرى: ٥/ ١٠٦.

تدخل في هذا الدين وتعلن إسلامها، عن أمير المؤمنين عليه السلام: **" فَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ نَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أُنُوفَ[الْمُنَافِقِينَ] الْكَافِرِين"**[1].

لقد تحملت السيدة خديجة مع رسول الله عذاب قريش، ومقاطعتها، وكانت تؤازره على أمره، وتخفّف عنه، وتهوّن عليه أمر الناس، وكان لا يسمع شيئاً يكرهه من ردٍّ عليه، وتكذيبٍ له فيحزنه ذلك، إلَّا فرّج الله ذلك عنه بها إذا رجع إليها، وكان صلى الله عليه وآله يسكن إليها، ويشاورها في المهم من أموره وكانت له وزير صدق.

ثالثاً: الاعتقاد بالولاية:

كان الإمام علي عليه السلام منذ سنيّه الستّ في بيت النبي صلى الله عليه وآله وتحت ناظري السيّدة خديجة عليها السلام ورعايتها، لذلك كان لها حقّ في رقبته هو حقّ الأمومة. وعندما شرح الرسول الكريم صلى الله عليه وآله لزوجه مفهوم الولاية وموقعها السامي، وطلب إليها أن تؤمن بولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام، استجابت فوراً حيث قالت بصراحة ووضوح: **" آمنت بولاية علي وبايعته"**.

كانت السيدة خديجة عليها السلام تفيض بالحنان والعطف على الإمام علي عليه السلام، لدرجة أنّها قالت فيه: إنَّه أخي، وأخو النبي، أعزّ الناس إليه، وقرّة عين خديجة الكبرى عليها السلام[2].

رابعاً: الصبر والإخلاص مع الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

إنَّ ما ميَّز الأثر التاريخي للسيدة خديجة عليها السلام، هو صبرها وإيمانها واستعدادها للتضحية بكلّ شيء، فهي التي بذلت كلّ مالها من أجل الإسلام ونبيّه، كما إنَّها اختارت بإرادتها أن تعيش مع الرسول الاكرم محمد صلى الله عليه وآله حياة صعبة لا تعيشها أمثالها ممن يمتلكنَ ما تملك من مالٍ وشرف وجمال.

وعندما استنفرت قريش كلّ قدراتها وإمكاناتها لمواجهة النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله ورسالته، وقفت السيدة معه وداوت جراحه وآلامه، وتعرّضت هي أيضًا لأذى الهجران والقطيعة من نساء قريش، بسبب إيمانها ومساندتها للنبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله.

وكانت لخديجة منزلة كبيرة وموقع مميّز في قلب النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله حيث يؤكِّد أرباب التاريخ أنَّ عائشة قالت للنبي الأكرم يوماً ما: ما أكثر ما تذكرها! قد أبدلك الله -عزَّ وجلَّ- بها خيراً منها. فقال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله **" مَا أَبْدَلَنِيَ اللهُ خَيْراً مِنْهَا صَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِيَ النَّاسُ وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِيَ النَّاسُ وَرَزَقَنِيَ اللهُ الْوَلَدَ مِنْهَا وَلَمْ يَرْزُقْنِي مِنْ غَيْرِهَا"**[3].

---

[1] نهج البلاغة: ٤٧٣.

[2] المسعودي، إثبات الوصية، ص ١٤٤.

[3] الإفصاح في الإمامة: ٢١٧.

وقد ارتأت المشيئة الربانية أن يكون من نسل أم المؤمنين خديجة عليها السلام السيدة الزَّهراء والأئمة عليهم السلام ممن أذهب الله عنهم الرِّجس وطهَّرهم تطهيراً. حيث يؤكِّد الإمام جعفر الصَّادق عليه السلام ذلك عندما قال: "إنَّ الله تعالى جعل خديجة وعاءً لنور الإمامة"[1].

إنَّ المدَّ المعنوي للسيدة خديجة عليها السلام في مواجهة المعاناة والصعوبات، وشحذ الهمم والمعنويات أعلى من المساعدات المالية.

ولذلك كانت خديجة عليها السلام زوجة كريمة ومخلصة للنبي صلى الله عليه وآله، ولم يرَ تاريخ العالم امرأة مثل خديجة تخدم في سبيل الله وتحقق الأهداف المقدسة لزوجها طوال حياته، وعندما يذكر صلى الله عليه وآله اسم خديجة يذكرها بالتبجيل والإجلال، لدرجة أنَّه كرّم أصدقاء خديجة من خلال إرسال هدية إليهنَّ.

من مقامات السيدة خديجة عليها السلام

من الأُمور المتَّفق عليها عند الجميع أنَّ السيدة خديجة عليها السلام كانت خير نساء النبي صلى الله عليه وآله وذلك بتصريح من رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر من مرَّة، وهذا إنَّما يدل على علوّ مقامها وجلالة قدرها (سلام الله عليها).

وهناك العديد مما يدلّ على علوّ مقامها عليها السلام نشير إلى بعضها:

١- اصطفاء الباري تعالى لها، حيث جعلها من النساء المختارات.

٢- إنّها عليها السلام أوّل من أسلمت من النساء وآمنت برسول الله صلى الله عليه وآله، وأوّل من صلّت خلفه صلى الله عليه وآله [2].

عن عفيف قال: **" كُنْتُ امْرَأً تَاجِراً فَقَدِمْتُ مِنَى أَيَّامَ الْحَجِّ وَ كَانَ عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ امْرَأً تَاجِراً فَأَتَيْتُهُ أَبْتَاعُ مِنْهُ وَ أَبِيعُهُ قَالَ فَبَيْنَا نَحْنُ إِذْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ خِبَاءٍ يُصَلِّي فَقَامَ تُجَاهَ الْكَعْبَةِ ثُمَّ خَرَجَتِ امْرَأَةٌ فَقَامَتْ تُصَلِّي وَ خَرَجَ غُلَامٌ يُصَلِّي مَعَهُ فَقُلْتُ يَا عَبَّاسُ مَا هَذَا الدِّينُ إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَا نَدْرِي مَا هُوَ فَقَالَ هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ يَزْعُمُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ وَأَنَّ كُنُوزَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ سَتُفْتَحُ عَلَيْهِ وَهَذِهِ امْرَأَتُهُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ آمَنَتْ بِهِ وَهَذَا الْغُلَامُ ابْنُ عَمِّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ آمَنَ بِهِ"**[3].

وروى السيد بن طاووس عن كتاب الوصية لعيسى بن المستفاد عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال: **"سألت عن بدء الإسلام كيف أسلم علي عليه السلام وكيف أسلمت خديجة؟**

فقال: «تأبى إلا أن تطلب أصول العلم ومبتدأه، أما والله إنَّك لتسأل تفقهًا».

ثم قال: «سألت أبي عليه السلام عن ذلك فقال لي: لما دعاهما رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يا علي ويا خديجة أسلمتما لله

---

[1] اثبات الامامة: ١٤٤.

[2] راجع: مستدرك الوسائل: ٦/ ٤٥٥.

[3] إعلام الورى بأعلام الهدى: ٣٨.

وسلمتما له، وقال: إنَّ جبرئيل عندي يدعوكما إلى بيعة الإسلام فأسلما تسلما وأطيعا تهديا».

فقالا: «فعلنا وأطعنا يا رسول الله».

فقال: «إن جبرئيل عندي يقول لكما: إنَّ للإسلام شروطاً وعهوداً ومواثيق فابتدئاه بما شرط الله عليكما لنفسه ولرسوله أن تقولا: نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ملكه، لم يتخذ ولدًا ولم يتّخذ صاحبة، إلهاً واحداً مخلصاً، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، أرسله إلى الناس كافة بين يدي الساعة، ونشهد أنَّ الله يحيي ويميت ويرفع ويضع ويغني ويفقر ويفعل ما يشاء وَيَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ».

قالا: «شهدنا» الحديث"[1].

٣: تخصيص الباري لها بالسلام، فقد بلغ من قداسة السيدة خديجة عليها السلام عند الله تعالى أنّه عزّوجلّ كان يخصّها بالسلام.

ففي الحديث أنّ جبرئيل أتى النبي صلى الله عليه وآله فسأل عن خديجة فلم يجدها، فقال: **" إِذَا جَاءَتْ فَأَخْبِرْهَا أَنَّ رَبَّهَا يُقْرِئُهَا السَّلَام"**[2].

وروي أنّه أتى جبرئيل النبي صلى الله عليه وآله فقال: **"هذه خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْكَ مَعَهَا إِنَاءٌ مُغَطًّى فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَ مِنِّي وَ بَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَ لَا نَصَب"**[3].

٤: بشارة الله وجبرائيل لها ببيت عظيم في الجنة.

٥: كثرة ثناء النبي صلى الله عليه وآله على السيدة خديجة عليها السلام.

وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت السيدة خديجة عليها السلام عزيزة عند النبي صلى الله عليه وآله وتتمتع بمكانة خاصة في قلبه، حيث كان صلى الله عليه وآله يحبّها حبّاً جمّاً، ويعتزّ بها، ويقدر مواقفها المشرفة، والشواهد على ذلك كثيرة، منها:

إنّ عجوزاً دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فألطفها، فلمّا خرجت سألته عائشة، فقال: **" إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَان"**[4].

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: **"ذَكَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله خَدِيجَةَ يَوْماً وَ هُوَ عِنْدَ نِسَائِهِ فَبَكَى فَقَالَتْ عَائِشَةُ مَا يُبْكِيكَ عَلَى عَجُوزٍ حَمْرَاءَ مِنْ عَجَائِزِ بَنِي أَسَدٍ فَقَالَ صلى الله عليه وآله صَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبْتُمْ وَآمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرْتُمْ وَ وَلَدَتْ لِي إِذْ عَقِمْتُمْ**

---

[1] طرف من الأنباء والمناقب: ١١٥.

[2] روضة الواعظين وبصيرة المتعظين: ٢/ ٢٦٩.

[3] كشف الغمة في معرفة الأئمة: ١/ ٥٠٨.

[4] روضة الواعظين وبصيرة المتعظين: ٢/ ٢٦٩.

قَالَتْ عَائِشَةُ فَمَا زِلْتُ أَتَقَرَّبُ إِلَى رَسُولِ اللهِ بِذِكْرِهَا"[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: " **إِنَّ خَدِيجَةَ لَمَّا تُوُفِّيَتْ جَعَلَتْ فَاطِمَةُ تَلُوذُ بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَتَدُورُ حَوْلَهُ وَتَسْأَلُهُ يَا أَبَتَاهْ أَيْنَ أُمِّي فَجَعَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله لَا يُجِيبُهَا فَجَعَلَتْ تَدُورُ وَتَسْأَلُهُ يَا أَبَتَاهْ أَيْنَ أُمِّي وَرَسُولُ اللهِ لَا يَدْرِي مَا يَقُولُ فَنَزَلَ جَبْرَئِيلُ فَقَالَ إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ عَلَى فَاطِمَةَ السَّلَامَ وَتَقُولَ لَهَا إِنَّ أُمَّكِ فِي بَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ كِعَابُهُ مِنْ ذَهَبٍ وَعُمُدُهُ يَاقُوتٌ أَحْمَرُ بَيْنَ آسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ وَمَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ فَقَالَتْ فَاطِمَةُ إِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ وَمِنْهُ السَّلَامُ وَإِلَيْهِ السَّلَام"**[2].

وفاة السيّدة خديجة عليها السلام

توفّيت أمّ المؤمنين السيّدة خديجة عليها السلام بمكة في السنة الثالثة قبل الهجرة.

وقد حزن عليها رسول الله صلى الله عليه وآله كثيراً.

وكان الرسول صلى الله عليه وآله بشّرها بمكانها في الجنة، فإنّه لمّا حضرتها الوفاة دخل عليها النبي صلى الله عليه وآله فقال لها: **"تكرهين ما أرى منك وقد جعل الله من الكره خيراً"**.

وعند دفنها نزل رسول الله صلى الله عليه وآله في حفرتها وأدخلها القبر بيده الشريفة في الحجون[3] فكانت وفاتها مصيبة عظيمة على قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وقد تبعتها مصائب وكوارث تحمّلها النبي صلى الله عليه وآله برباطة جأش وصبر على المكاره ورضاء من الحق عزّوجلّ.

وقد كانت وفاة السيّدة خديجة عليها السلام وأبي طالب عليه السلام في عام واحد قبل الهجرة بثلاث سنين، أي في السنة العاشرة من البعثة بعد خروج بني هاشم من الشعب[4].

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **"ما اغتممت بغمّ أيام حياة أبي طالب وخديجة» لما كان أبو طالب يدفعه عنه وخديجة تعزيه وتصبره وتهون عليه ما يلقاه في ذات الله عزّ و جلّ"**[5].

ولذا عندما توفي عمه أبوطالب وزوجته خديجة سمّى ذلك العام بعام الحزن[6].

السيدة خديجة عليها السلام قدوة ومثل أعلى، وكثير من الدروس يمكن استخلاصها من سيرة السيدة خديجة عليها السلام،

---

[1] كشف الغمة في معرفة الأئمة: ١/ ٥٠٨.

[2] الخرائج والجرائح: ٢/ ٥٢٩-٥٣٠.

[3] الحَجُونُ الجبلُ المُشْرِف مما يَلِي شِعْب الجَزَّارين بمكة، وقيل: هو موضع بمكة فيه اعْوِجاج، قال: والمشهور الأَوَّل، وهو بفتح الحاء. لسان العرب: ١٣/ ١٠٩.

[4] بحار الأنوار: ١٦/ ١٣.

[5] شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام: ٣/ ١٧.

[6] بحار الأنوار: ١٩/ ٢٥.

ومواقفها الرائدة تَصلح لأن يقتدي بها النساء عبر الأجيال؛ فالسيدة الثرية التي كانت تملك ثروة طائلة، وتدير تجارة عظيمة لم تغرها زبارج الدنيا وزينتها، ولم تبحث عن اللذة لأجل اللذة، ولا عن المال والشهرة، وإنَّما كانت تبحث عمّن يخدم هدفها الأسمى في الحياة؛ فرفضت الاقتران بأصحاب المال والجاه، واقترنت برجل فقير لا مال له، وبادرت هي بعرض نفسها عليه، وتحمّلت سخرية نساء قريش، وانتقادهنّ اللاذع لها، ثم حملت معه مشعل الإسلام لتنير للبشرية دربها المظلم .

نعم كانت امرأة رسالية ورائدة لم يعهد مثلها إلَّا القليل من صانعي التاريخ، صبرت وضحّت من أجل مبادئها، وكانت الزوجة، والسكن، والمعين، والناصر لصاحب أعظم رسالة في تاريخ البشرية حتى عُدّ نصرها له أحد الدعائم التي قام عليها الإسلام.

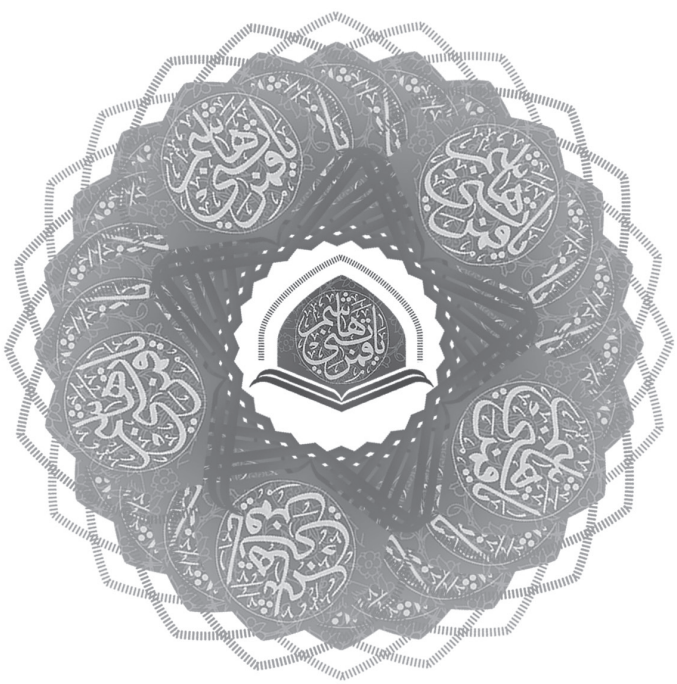

الإقناع الخطابي عند الإمام الحسن عليه السلام

د. رحيم كريم علي الشريفي

من أجل الكشف عن آليّات الإمام الحسن عليه السلام في تجلّي المعالم الإنسانية المثالية، ومدى تأثيرها في تراثه الخالد، نزعنا إلى آلية نَحْسبها مهمّة في بيان معالم الإنسانية المثالية عند الإمام الحسن عليه السلام، وهي الإقناع الخطابي عنده عليه السلام.

ولا يخفى أنَّ مفهوم (الإقناع الخطابي) من المفاهيم المهمة لما لها من تأثير في السامعين، فهو يمثّل حلقة اشتراك بين (المتكلم) المخاطِب، وبين السامع (المخاطَب)، بمعنى: عملية تواصُل واستقبال بينهما.

إنَّ هذا المفهوم يُفهم من خلال ركائز ثلاث: المخاطِب (المبدع)، والخطاب (النص)، والمخاطَب (المتلقي)[1]، ومن هنا فإنَّ الوقوف على مادة (ق ن ع) في كتب اللغة، ومفردات ألفاظ القرآن يفيدنا في تصوّر هذه الركائز.

الإقناع مصدر على وزن (إفْعَال) من الفعل الثلاثي المزيد بحرف واحد (أَقْنَعَ) على وزن (أَفْعَلَ)، وفعله الثلاثي المجرّد (قَنَعَ – يَقْنَعُ).

ويبدو من أقوال اللغويين أنَّ الدّلالة الحسيّة لهذه المادة (ق ن ع) تعني المدّ، والميل، قال الخليل: «الإقناع مدّ البعيرُ رأسَه إلى الماء ليَشْرَبَ (...) والرجل يُقْنِعُ الإناء للماء الذي يسيل من جدول، أو شِعْب، والرجلُ يُقْنِع يدَه في القُنُوت، أي: يمدُّها، فيسترحم ربّه»[2]، وقال الزَّمخشري: «وقَنَع إليه: سأله وهو من قَنَعت الماشيةُ للمرتع مالت إليه، وأَقْنَعَها الرأي إليه؛ لأن القانع يميل إلى الناس»[3].

وقد انتقلت هذه الدلالة الحسيّة إلى المجرّدة، فأصبح الإقناع، والقانِع، والمُقْنِع على كُلِّ مَرْضي من القول،

---

[1] ينظر: فهم الخطاب القرآني بين الإمامية والأشاعرة (دراسة مقارنة في ضوء ركائز الأسلوبية: صباح عيدان العبادي، ط١، دار الفيحاء، البصرة – العراق، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م: ٢٧.

[2] العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، ط١، منشورات دار الهجرة، قم – إيران، ١٤٠٥هـ. : ٣ (قنع): ١٥٣١، وينظر: • مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني (ت في حدود ٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط٤، مطبعة كيميا، قم – إيران، ١٤٢٥هـ.: (قنع): ٦٨٦.

[3] أساس البلاغة: جار الله أبو قاسم محمود بن عم الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تقديم الدكتور: محمود فهمي حجازي، سلسلة الذخائر (المؤسسة العامة لقصور الثقافة) مصر، ٢٠٠٣م.: ٢ (قنع): ٢٧٩، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٦٨٥ – ٦٨٦، و معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية (القاهرة): محمد علي النجار، الهيأة العامة لشؤون المطابع الأميري، القاهرة، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.: ٥ (قنع): ٧٣.

والفعل، فالمُقْنِعُ هو كُلّ من رُضي كلامُه، وقَوْلُه، أو رُضِي عطاؤُه ونوالُه، وترفع الرؤُوس له رضا، وقبولاً لخطابه.

والذي يهمّنا من هذه المادة هو دلالة الرضا بالقول وقَبولِه والاهتمام به، وانفتاحها لتشمل هذه الرّكائز الثلاث، نقول: «فلان لنا مَقْنَعٌ: رِضَا يُقْنَع بقوله وقضائه، وشاهد مَقْنَع، وشهود مَقْنَع (...) وجواب مُقْنع، وسألتُ فلاناً في كذا، فلم يأتِ بمُقْنِع»[1].

نخلص من هذا أنَّ المتكلّم (المخاطِب) هو المُقْنِع، وقوله المَرْضِي هو الخطاب، والذين يَرْضَون قوله هم السامعون (المخاطَبُون).

لذا سنحاول في هذا المبحث أن نبيّن أثر هذه الركائز الثلاث في تجلّي المعالم الإنسانية المثالية عند الحسن ﷺ.

أولاً: المخاطِبُ (الحسن ﷺ):

المخاطب هو الشخص الذي يتبوّأ المكانة الأولى في عملية التخاطب بوصفه المنتج للنصّ، وقد تعدّدت التسميات التي تطلق على المخاطب منها الباثّ، والمتكلم، والموجّه، والمتحدّث، والمصدر، والمرسِل، وعلى الرغم من تعدّد المسمّيات إلاَّ أنَّ المخاطب هو المراد لما فيه من سَعة الشمول، والعموم[2].

لقد شكّل الخطابُ عند الحسن ﷺ ملمحاً إعجازيّاً، وبه خلّد العطاء الإنسانيّ له، والحقُّ أنه لا يمكن فصل سلوك الإنسان عن كلامه فهما مقترنان، فقد كوّن ﷺ مدرسة فكرية متميزة، قال سبط بن الجوزي: «كان الله (عز وجل) قد رزقه الفطرة الثاقبة في إيضاح مراشد ما يعانيه، ومنحه الفطرة الصائبة لإصلاح قواعد الدين، ومبانيه، وخصّه بالجِبْلة التي درّت لها أخلاف مودّتها بصور العلم، ومعانيه»[3].

وقد تعدّدت الأصوات الناطقة في خطابات الإمام الحسن ﷺ بلحاظ المقامات، وقوانين الأحوال من جهة كونه خليفة، وإماماً، وحكيماً، ومصلحاً، وناصحاً، وغير ذلك مما أضفى على تراثه الشمول، ويبدو أنَّ تعدّد هذه المقامات، والأدوار هو انعكاس للواقع الإنساني في تلك الحقبة.

ويمكن بيان ذلك من خلال أن نستعرض تراث الحسن ﷺ، فمقام الخليفة، والإمام يَتَجلّى ويشعُّ في رسالته إلى معاوية حينما دعاه ﷺ بعد استشهاد أبيه أمير المؤمنين ﷺ إلى مبايعته وطاعته، والدخول فيما دخل

---

[1] أساس البلاغة: ٢ (قنع) : ٢٧٩ – ٢٨٠. وينظر: القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.: ٣/ ١٦.

[2] ينظر: الخطاب في نهج البلاغة دراسة موضوعية فنية: (رسالة ماجستير): إيمان عبد الحسن علي، جامعة بابل – كلية التربية، قسم اللغة العربية، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م. : ١٥.

[3] تذكرة الخواص من الأئمة بذكر حقائق الأئمة ﷺ يوسف بن علي البغدادي سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ) تحقيق : حسين تقي زادة، مطبعة ليلى، إيران، ١٤٢٦هـ.: ١٨٦.

فيه المسلمون، منها: «إنَّ عليّاً لمّا مَضَى لسبيله – رحمةُ الله عليه يومَ قُبض، ويوم مَنّ اللهُ عليه بالإسلام، ويوم يُبْعث حَيّاً، ولآني المسلمون بَعْدَه، فأسأل اللهَ أنْ لا يؤتِيْنا في الدنيا الزائلة شيئاً يُنْقِصنا به في الآخرة مما عنده من الكرامة، وإنَّما حملني على الكتاب إليه الإعذار فيما بيني وبين الله (ﷻ) في أمرك، ولك في ذلك إنْ فَعَلْته الحظّ العظيم، والصلاح للمسلمين، فَدَعِ التمادي في الباطل، وادخُلْ فيما دَخَلَ فيه الناس من بَيْعَتي»[1]، ويتجلّ في هذا الخطاب معالم إنسانية مثالية منها: دعوته إلى الدخول في الجماعة، وإصلاح المسلمين، وترك التمادي في الباطل.

وتتجلّى المعالم الإنسانية المثالية عند الإمام الحسن ﷺ، ولاسيما التواضع، وحُبّ الآخرين، والابتعاد عن التكبّر والاستعلاء، وعدم الابتداء بالقتال، في مقام كونه قائداً، وقادراً على إدارة قيادة الجيوش، ففي وصيّته القيّمة إلى ابن عمّه عبيد الله بن عباس حينما ولاّه الحسن ﷺ قيادة الجيش لردّ العدوان الأمويّ: «يا بنَ العمِّ، إنّي باعثٌ مَعَك اثْني عَشَرَ ألفاً من فُرْسان العرب، وقُرّاء المِصْر الرَّجلُ منهم يزيدُ الكتيبة، فَسِرْ بهم، وأَلِنْ لَهُم جانبَكَ، وابْسُط لهم وَجْهَك، وافْرُشْ لهم جَنَاحَك، وأدْنِهم من مَجْلِسِك، فإنَّهم بَقِيّةُ ثُقَاتِ أمير المؤمنين، وسِرْ بِهِمْ على شطِّ الفراتِ، ثم امْضِ حتى تستقبل بِهم معاوية، فإن لَقِيتَه فاحْتَبِسْه حتّى آتيكَ»[2].

ويتجلّى معلم النصح، وإرادة الخير للناس، وحبّه للوحدة والجماعة في مقام الناصح، قال ﷺ في أشد المواقف، وأقساها بعدما تعرّض لمحاولة اغتيال، فقد طعنه الجرّاح بن سنان في فخذه، «أما بعدُ، فَوَاللهِ إنّي لأرجو أن أكون قد أصْبَحْتُ – بحمد الله ومَنّه – وأنا أنْصَحُ خَلْقَ الله لخلقه، وما أصْبَحْتُ محتملاً على مسلم ضغينة، ولا مُريداً له بسُوء، ولا غائلة، وإنَّ ما تكرهون في الجماعة خيرٌ لكم مما تُحبون في الفُرْقة، ألاَ وإنّي ناظرٌ لكم خيراً من نَظَرِكُم لأنْفُسِكم، فلا تخالفوا أمري، ولا تَرُدُّوا عليَّ رَأْيي، غَفَر الله لي ولكم، وأرشدني وإيّاكم لما فيه المحبّةُ والرِّضا»[3].

وتتجلى الحِكم الإنسانية، والتربوية، والنظرات الصائبة في السلوك الإنساني، وكيفيّة النظر إلى الدنيا، وطرائق التعامل مع الآخرين، وبيان صفات مِمن يتخذ صاحباً وخليلاً في مقام كونه ﷺ حكيماً، فقال في وصيّته للصحابي الجليل جُناده بن أبي أميّة، حينما عاده، طالباً منه أنْ يعظه: «يا جنادة، اسْتَعِد لسفرك، وحَصِّل زادَك قبل حُلول أجلك، واعْلَمْ أنّك تطلبُ الدنيا والموت يطلبك (...) واعلمْ أنَّ الدنيا في حَلالها حِساب، وفي

---

(1) شرح نهج البلاغة : أبو حامد عز الدين بن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٣٨٨هـ.: ١٦ / ٣٣ – ٣٤.

(2) م.ن : ١٦ / ٤٠.

(3) الإرشاد :- محمد بن محمد بن نعمان العكبريّ البغدادي الملقب بـ (الشيخ المفيد) (ت ٤١٣هـ)، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ١٤٢٩ – ٢٠٠٤م. : ١٨٠، وينظر : • مقاتل الطالبيين : أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، شرح وتحقيق، السيد أحمد صقر، دار إحياء التراث العربية، بيروت، (د. ت).: ١٨٠.

حرامها عقاب، وفي الشبهات عتاب، فأنزلِ الدنيا بمنزلةِ المَيْتةِ (...) وإذا نازعَتْكَ إلى صُحْبة الرّجال حاجة فاصْحَب مَنْ إذا صَحِبْتَه زانك، وإذا أَخَذْتَ منه صانك، وإذا أردْت منه معونة أعانك، وإذا قُلْتَ صَدَّقَ قَوْلَك، وإن صُلْت شَدَّ صَوْلتك، وإن مَدَدْتَ يَدَك بفَضْلٍ مَدَّها، وإنْ بَدَتْ مِنْك ثُلْمةٌ سَدَّها، وإن رأى منك حَسَنةً عَدّها وإن سَألْتَهُ أعْطَاك، وإنْ سَكَتَّ عنه ابْتَدَأَك، وإن نَزَلتْ بِك إحْدَى المُلِمّات واساك، مَنْ لا تأتيك منه البوائق، ولا تختلف عليك منه الطرائق، ولا يَخْذُلُك عند الحقائق»[1].

ويتجلى معلم حقن الدماء في مقام كونه ﷺ إماماً، وناصحاً، وحكيماً، وأخًا كبيرًا للحسين ﷺ في وصيّته له ﷺ في الاحتياط بالدماء، وعدم الخوض في إراقتها خشية أنْ يظلم بريء بعدما دُسّ إليه السمّ حقناً للدماء[2]، وكذلك وصيتُه إلى أخيه ﷺ أنْ يدفن عند أبيه رسول الله ﷺ، فإن منعتم فلا يُهرق دمٌ، وادفنوني في مقابر المسلمين، قال العسقلانيّ: «لَمّا حُضِر الحسن، قال للحسين: ادْفِنُوني عند أبي، يعني رسول الله ﷺ إلاّ أن تعافوا، فإن خِفْتُم الدماء فلا تهريقوا فيّ دماً، ادْفنوني في مقابر المسلمين»[3].

ومن هنا فقد وظّف الحسن ﷺ مكانته، ومنزلته من جهة كونه خليفة، وإماماً، وقائداً، وحكيماً، وناصحاً في الخطاب توظيفاً إنسانيّاً مثاليّاً، فهو يمتلك «شخصيّة الأديب المجرّب الذي يختزن الأحداث والذكريات ويغوص في أعماق النفسيّات ويُدْرك بذكائه الفروق بين الشخصيّات وعنده من قوّة الخُلُق ما يستطيعُ أنْ يكون نموذجاً بشرياً يفكّر على مثال النموذج الذهني الذي تكوّن عنده، وينطق بالأفكار والكلمات التي تؤكّد هذه الشخصيّة ويحاور حوار الحاذق البارع ليصل إلى الرأي والفكرة ويعبر عن اللمحة والعاطفة»[4].

إنَّ الصفات الإنسانية المثالية التي تحلّى بها الإمام الحسن ﷺ وقربه من المصطفى ﷺ، وأبيه ﷺ أهّلته ليكون امتداداً عظيماً من المصطفى ﷺ، ومن أبيه ﷺ، فأصبح له مركزاً تربويّاً وإنسانيّاً، فهو مصدر الإشعاع الرسالي بما يمتلك من معالم إنسانية مثالية.

لقد كان الإمام الحسن ﷺ قائداً للمرحلة، ورجلاً سياسيّاً، وإنسانيًّا، وتربويًّا؛ لأنَّه امتلك أعمق الصّفات، وحاز عليها، فامتلاكه لهذه الذّهنيّة، والملكات النفسية والتاريخ الشخصي، جعلته قادراً على قيادة الأمّة، وبثّ روح الإنسانية الأصيلة فيها[5]، قال راضي آل ياسين: «إنَّ الذين تحدّثوا عن الإمام وصلحه، فاتهم أنْ ينظروا

[1] أعيان الشيعة : السيد محسن الأمين، حققهُ، السيد حسن الأمين، ط٥، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، (١٤١٨هـ—١٩٩٨م).: ٤ / ٨٥.

[2] ينظر : أُسد الغابة في معرفة الصحابة : عزّ الدين أبو الحسن علي بن أبي كريم محمد بن محمد الشيباني المعروف بـ (ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ))، ط١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٢٥هـ— ٢٠٠٥م.: ١ / ٥٦٢، وتذكرة الخواص : ٦٢.

[3] تهذيب التهذيب : أحمد بن علي حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤هـ : ٢ / ٥٤.

[4] دفاع عن فن القول : عبد الكريم غلاّب، مطابع دار القلم، تونس، ١٩٨٤م : ١٦٤، وينظر : الخطاب في نهج البلاغة : ١٦.

[5] ينظر: من حياة أهل البيت ﷺ: محمد علي التسخيريّ، دار التعارف، بيروت، د.ت.

إليه كألمع سياسيّ يدرس نفسيات خصومه، ونوازع مجتمعه، وعوامل زمنه، فيضع الخطط، ويقرّر النتائج، ويحفظ بخططه مستقبل أمّة بكاملها، ويحفر بنتائجه قبور خصومه قبراً قبراً، ويَمُرّ بزوابع الزمن من حوله رسول السلام المضمون النجاح، المرفوع الرأس بالدعوة إلى الإصلاح، ثم يموت ولا يرضَى أنْ يهرق في أمره محجمة دم»[1].

إنَّ القرابة بين الإمام الحسن عليه السلام، وبين المصطفى صلى الله عليه وآله كان لها تأثير في شخصيّته عليه السلام، وبلورة خطابه، وقد انطلق عليه السلام من هذه القاعدة الرحم الماسّة مع المصطفى صلى الله عليه وآله، الذي يُمثّل أُنموذجًا إنسانيّاً متكاملاً، فكان عليه السلام يشدِّد على هذه القرابة من أجل دعم دعوته إلى إصلاح المجتمع، والدخول في الجماعة، وترك الفرقة، واتباع دروب الضلالة، وأهل النفاق، والبغي، وقد نقل لنا المسعوديّ خطبة له في كونه أحقّ بالخلافة قال عليه السلام: «نحن حزبُ الله المفلحون، وعترة رسول الله صلى الله عليه وآله الأقربون، وأهل بيته الطاهرون الطّيّبون، وأحد الثقلين اللّذينِ خلّفهما رسول الله صلى الله عليه وآله، والثاني كتاب الله فيه تفصيل كلّ شيء لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمعوّل عليه في كلّ شيء، لا يُخْطِئنا تأويله، بَلْ نتبيّن حقائقه فأطيعونا، فإنَّ طاعتنا مفروضةٌ إذ كانت بطاعة الله والرسول، وأولى الأمر مقرونة ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**ۖ **فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**ۚ **ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾، ﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ**ۖ **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ**ۗ **وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾، وأحذّركم الإصغاء لهتاف الشيطان إنّه لكم عدوٌّ مبين، فتكونون كأوليائه الذين قال لهم:

﴿**وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ**ۖ **فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ**ۚ **وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾»[2].

وكذلك بيانُ انتسابه إلى أبيه عليه السلام أشجع العرب، وأمّه الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، عندما رَدّ عليه السلام عبد الله بن الزبير يوم عاتبه على سلمه مع معاوية، ننقل موضع الحاجة من قوله عليه السلام: «**ثم تَزْعَمُ أنّي سَلَّمْتُ الأمر، فكيفَ يكون ذلك وَيْحَك، كذلك ؟!، وأنا ابنُ أشجعُ العربِ، وقد وَلَدَتْني فاطمةُ سيّدةُ نساء العالمين، وخِيْرَةُ الإماء، لَمْ أَفعلْ ذلِك جُبْناً ولا ضَعْفاً، ولكنَّهُ بايعني مِثْلُك، وهو يَطْلُبُني بِترَةٍ، ويُدَاجيني المودّة ولم أثق بنصرته؛ لأنّكم**

المنطق: محمّد رضا المظفّر، منشورات دار العلم، قم – إيران، ١٤٣٤هـ - ٢٠٠٣م.: ٣١.

[1] صلح الحسن عليه السلام: الشيخ راضي آل ياسين، ط٤، منشورات ناصر خسرو، بيروت – لبنان، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.: ١٩.

[2] (مروج الذهب ومعادن الجوهر: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، ط١، دار القارئ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م. : ٣/ ١٠ – ١١. (النساء/ من الآية ٥٩)، (النساء/ من الآية ٨٣)، (الأنفال/ من الآية ٤٨).

أهلُ بيت غَدْرٍ»[1].

لقد كان الإمام الحسن في خطبه، ورسائله يعرف بنفسه، لكي يُلقيَ الحجّة على الناس، ويبيّن للمخاطبين أنَّه من ذرّيّة رسول الله ﷺ، وهو أحقّ بالإتباع، وتسلّم السلطة من غيره، فضلاً عن صفاته الإنسانية المثالية.

إنَّ الغاية من التعريف بنفسه من أجل إصلاح المجتمع، وطلب العودة، والرجوع إلى رشدها واستمالتهم لطلب العفو، والصفح، والتوبة.

إنَّ ما خلّفه ﷺ من تراث فكريّ، وإنسانيّ، وعلميّ من خلال النّصوص التي تركها لنا على شكل خطب، ورسائل، ووصايا، واحتجاجات، وأحاديث، وحكم في فروع المعرفة المختلفة، تكشف عن تنوّع اهتمام الحسن ﷺ، وسَعَة علمه، وإحاطته بمتطلّبات المرحلة التي كانت تعيشها الأمّة المسلمة في عصره المحفوف بالفتن، والمخاطر، والدواهي[2].

إنَّ الأهم في دراسة أحوال الحسن ﷺ هو بيان الصفات السلوكيّة، والجوانب الإنسانية والتّربويّة، والإطار القيادي والسياسي الذي صدر عنه.

علينا أنْ نقف عند عنصر القيادة البشريّة المتجاوزة على الحدود الزّمانيّة، والمكانيّة، وكذلك علينا أنْ نبعث روح الإمام الحسن ﷺ من جديد، ونجعلها وهّاجة، ساطعة، ناصعة في وجودنا، وهي روح الإسلام الأصيل.

إنَّ المقام السامي، والرفيع الذي نزله الإمام الحسن ﷺ، ومحبوبيّته الواسعة الأبعاد، قادرة على زلزلة العرش الظالم، فالحزب المعارض الظالم كان يتوقّع زوال حكمه، وملكه في أيّة لحظة، فضلاً عن ذلك، فإنَّ الخطاب الإنساني الإصلاحي الواسع، والدعوة إلى الوحدة، والتآلف، والحوار، والحفاظ على دماء المسلمين جعلت الطرف المعارض والمعادي يخشى من الوحدة، والجماعة، والحوار، والصلاح، فهو يرغب في الفرقة، والتشتت، والانحلال.

ثانياً: فَصْلُ الخطاب:

لقد اشتملت شخصية الإمام الحسن ﷺ على خصائص كثيرة، تعرضنا لها فيما سبق، ولاسيما المقامات العالية السامية الرفيعة كونه خليفة، وإماماً، وقائداً، وحكيماً، وناصحاً، وموجّهاً مما أهّلتهُ لإنتاج خطاب عالٍ جمع فيه بين الإفهام، والإمتاع.

---

[1] المحاسن والمساوئ : محمد بن إبراهيم (البيهقي ت بعد ٣٢٠هـ)، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٥هـ.
محمد خاتم المرسلين : شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف، مصر، ٢٠٠٩م.: ١ / ٥٨ – ٥٩، وينظر : حياة الإمام الحسن ﷺ دراسة وتحليل : باقر شريف القرشي، تحقيق : مهدي باقر القرشي، ط١، مطبعة شريعة، إيران، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م. : ٢ / ٣٢٣.

[2] ينظر : أعلام الهداية : ١٩٣ – ١٩٤.

لقد أعطى الإمام الحسن ﷺ مَلَكة الخطاب؛ والقول الفصل، وعندما نَستعرض تراثه ﷺ نجد هذه الملكة حاضرة، وواضحة وقد وقفنا من قبلُ على نصوص كثيرة، المتفحّص فيها يجد هذا الأمر في جنبات تراثه سواءٌ أكان خطبة، أم رسالةً، أم وصيّة، أم حكمة وغيرها.

لقد وظّف الإمام الحسن ﷺ اللغة توظيفاً بيّنًا، ودقيقًا، فكانت أداة، وآلة طيّعة تستجيب له أنّى شاء، ومتى أراد في المستويات كافة من أجل التأثير في المتلقّي، واستمالته، وإقناعه.

وقد عدّ الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) فصل الخطاب في قوله تعالى: ﴿**وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ**﴾ (ص / ٢٠)، صفة أعطيت لداود ﷺ؛ لأنَّها علامة مهمّة من علامات حصول القدرة والإدراك، وكون الناس مختلفين في «مراتب القدرة على التّعبير عمّا في الضّمير، فمنهم من يتعذّر عليه إيراد الكلام المرتّب المنتظم، بل يكون مختلط الكلام مضطرب القول، ومنهم مَنْ يتعذّر عليه الترتيب من بعض الوجوه، ومنهم من يكون قادرًا على ضبط المعنى، والتعبير عنه إلى أقصى الغايات (...) لأنَّ فصل الخطاب عبارة عن كونه قادراً على التعبير عن كلّ ما يخطر بالبال، ويحضر في الخيال، بحيث لا يختلط شيءٌ بشيء، وبحيث ينفصل كُلُّ مقام عن مقام»[(١)]، وفي هذا إشارة واضحة، ومهمّة إلى أنّ الخطاب يتكامل بتكامل مُنْشئه.

إنَّ المنبت، والمغرس النبويّ الذي ترعرع فيه الإمام الحسن ﷺ، وتغذيه من لبان حكمة المصطفى ﷺ، والملكة الخطابيّة التي وعاها من أبيه أمير المؤمنين ﷺ جعلته يمتلك ملكة الخطاب، والأخذ بزمام القول وجوانبه، وقد أشار أخوه الحسين ﷺ إلى هذه الملكة الخطابيّة، وجذورها، حينما أبّنَ الإمام الحسن ﷺ، معدّداً مناقبه، وسجاياه، وحكمته، جاء فيها : «**رَحِمك اللهُ أبا محمد، إنْ كُنْتَ لتباصُرَ الحقِّ مظانَّه، وتؤثر الله عند مداحض الباطل في مواطن التقيّة بحسن الرويّة، وتستشف جليل معاظم الدنيا بعين لها حاقدة، وتقبض عليها يداً ظاهرة الأطراف نقيّة الأسِرّة، (...) ولا غرو وأنت ابن سلالة النبوّة، ورضيع لِبان الحكمة، فإلى روح، وريحان، وجنّة نعيم، أعظم اللهُ لنا، ولكم الأجر، ووهب لنا، ولكم السلوة، وحسن الأسى عنه**»[(٢)].

ومن الجليّ أنَّ هذا النصّ التأبيني قد جسّد نمطاً واقعيّاً ينسجم مع واقع الإمام الحسن ﷺ، إذ ذكر جانباً من مناقبه، وسجاياه، وصبره العظيم على مفاتن الدنيا، وغرورها، وحلمه الواسع على مكر أعدائه، وقد نهضت بتلك الدلالات المتقدّمة، عبارات النص المشعّة[(٣)].

---

(١) التفسير الكبير : أبو عبد الله محمد الرازي : ط٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م : ٢٦ / ١٨٧ – ١٨٨، وينظر : فهم الخطاب القرآني بين الإمامية والأشاعرة : ٢٢.

(٢) عيون الأخبار : ابن قتيبة : شرح وضبط وتقديم يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م : ٢ / ٢٣٨ – ٢٣٩. (مَدَاحِض مَزَالِق)، والأسِرّة جمع سِرار وتعني خطوط الكفّ، والجبهة، وجمع الجمع أسارير، وينظر : مختار الصحاح : (سَرر) ٢٩٥.

(٣) ينظر : أدب الإمام الحسين ﷺ قضاياه الفنية والمعنوية : (رسالة ماجستير) : موسط خابط عبود القيسيّ، جامعة بابل / كلية التربية، قسم اللغة العربية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.: ١٥٢.

وقد اعترف ألدُّ خصومه بهذه الملكة الخطابيّة، انظر إلى تقريظ معاوية له في خواتيم المشاجرات التي كان يثيرها عليه في مجالسه، وإلى إطّرائه إيّاه في مناسبات أخرى لا تتصل بهذه المشاجرات، قال اليعقوبي: «وقال معاوية: ما تكلّم عندي أحدٌ كان أحبَّ إليّ إذا تكلّم أنْ لا يسكت من الحسن بن عليّ»[1].

وكان الحسن ﷺ مما لا تطاق عارضته، وكان معاوية يخاطب مروان بن الحكم قد كُنت نهيتُك عن هذا الرجل، وأنت تأبى إلا انهماكاً فيما لا يعنيك، وقال له: «لا تجار البحار. فتغمرك، ولا الجبال فتبهرك، واسترح من الاعتذار»[2]، وقال خير الدين الزركلّي: «كان عاقلًا حليمًا محبّاً للخير، فصيحاً من أحسن الناس منطقاً، وبديهة (...) كان معاوية يوصي أصحابه باجتناب محاورة رجلين هما الحسن بن علي، وعبد الله بن عباس لقوة بداهتهما»[3].

إنَّ هذه الملكة الخطابية العالية وظّفها الحسن ﷺ في تجلّي المعالم الإنسانية المثالية في تراثه أجمع، وقد كفتنا النصوص التي ذكرناها من قبل مؤونة الاستشهاد بها، وقد ألمح سبط بن الجوزي إلى أثر هذه الآليّة المهمّة في تجلّي معالم الإنسانية المثالية عنده ﷺ ولاسيّما في إصلاح الدين، والمجتمع، فقال: «كان اللهُ (ﷻ) قد رزقه الفطرة الثاقبة في إيضاح مراشد ما يعانيه، ومنحه الفطرة الصائبة لإصلاح قواعد الدين ومبانيه، وخصّه بالجِبْلة التي درّت لها أخلاف مودّتها بصور العلم ومعانيه»[4].

وقد أشار طه حسين إلى أنَّ الحسن ﷺ قد أُوتي الفصاحة، واللسن، وفصل الخطاب، وإنّه «قد خطب الناس غير مرّة في حياة أبيه، وبعد وفاته، فلم يعرف منه عيّاً أو حصراً، وهو بعد ذلك أو قبل ذلك من أهل بيت لم يعرَفوا قطّ بعيّ أو حصر، وإنَّما كانوا معدن الفصاحة، واللسن، وفصل، الخطاب، وقد خطب الحسن ﷺ فقال: خير ما كان يمكن أنْ يقال، وأصدق ما كان يمكن أنْ يقال أيضاً: قال: «أيُّها الناس إنَّ أكْيَسَ الكَيْس التقي، وأحمق الحُمْق الفجور، إنَّ هذا الأمر الذي سلّمته لمعاوية إما أنْ يكون حقّ رجل كان أحقّ به منّي فأخذ حقّه، وإمّا أن يكون حقّي، فتركتُه لصلاح أمّة محمد، وحقن دمائها، فالحمدُ لله الذي أكرم بنا أوّلكم، وحقن دماء آخركم»[5].

لقد عالج الإمام الحسن ﷺ الأوضاع التي دارت حوله بما أُوتي من «الحكمة البالغة، والحُنْكَة الموهوبة متدرّجاً معها من البداية إلى النهاية لا يستسلم للغضب، ولا يتأثّر بالعاطفة، ولا يستكين للحوادث، ولا

---

[1] تاريخ اليعقوبي : ٢ / ١٥٨، وينظر : صلح الحسن (ﷺ) : ٢٠١ – ٢٠٢.

[2] صلح الحسن (ﷺ) : ٢٠٤.

[3] الأعلام (قاموس تراجم) : خير الزركليّ، ط١٧، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ٢٠٠٧م : ٢ / ١٩٩.

[4] تذكرة الخواص : ١٨٦.

[5] الفتنة الكبرى : الدكتور طه حسين، ط١، دار المنار، مصر، ٢٠٠٣م.: ٢ / ١٨٥. وينظر : كشف الغمة في معرفة الأئمة : أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربليّ (ت ٦٩٢هـ)، قدم له السيد أحمد الحسيني، ط١، مطبعة شريعة قم – إيران، ١٤٢٧هـ.: ٢ / ١٩٣ – ١٩٤.

يتقلقل للمربكات، ولا تهزّه إلاّ نُصرة الدين، وكلمة القرآن، ودعوة الإسلام (...) وكان من حلاوة حديثه وسرعة بديهته، وقوّة حجّته، وهيبته، وحِلمه، وحجاه، ما شَهِد به أعداؤُه، فضلاً عن أصدقائه»[1].

وعلى الرغم من امتلاك الإمام الحسن ﷺ هذه الملكة الخطابيّة، وفصل الخطاب، إلاّ أنَّ الأمويين أرادوا أن يلصقوا به ﷺ تهمة جديدة، وهي (الحَصْر والعِيّ) وهما من عيوب المتكلم، ونعني بهما: التلجلج في الكلام، والارتجاح في الخطاب، وعدم القدرة على الكلام، وضبطه إن تمكّن منه، وجعلهما الزمخشري بمعنى واحد، قال: «حَصِر في كلامه، وفي خطبته: عَيّ»[2].

وقد صَرّح الحسن ﷺ بهذه التهمة من قبل، رادّاً إيّاها، فبعد قبوله السلم، والهدنة مع معاوية بالشروط التي أملاها ﷺ على معاوية، عاتبه عبدُ الله بن الزبير عتاباً شديداً قائلاً له ﷺ: فما أدري ما الذي حملك على ذلك ؟ أضعفُ في الرأي، أم وهن نَحِيزة (طبيعة)، فأجاب الحسن ﷺ: «أما والله لولا أنَّ بني أميّة تَنْسِبُني إلى العَجْز عن المقال، لَكَفَفْتُ عنك تهاوُناً، ولكن سأبيّن لك ذلك لتعلم أنّي لَسْتُ بالعَيِيّ، ولا الكليل اللّسان، إيّاي تعيّر، وعليّ تفتخر، فزوجته صفيّة بنت عبد المطلب، فبذخ على جميع العرب بها، وشرف مكانها، فكيف تفاخر مَنْ هو في القلادة واسطتها، ومن الأشراف سادتها، نَحنُ أكرمُ أهل الأرض زَنْداً، لنا الشرفُ الثاقبُ، والكرم الغالب»[3].

وأصل هذه التهمة فيما يبدو أبو الفرج الأصفهاني قال: «وكان في لسان الحسن بن علي ثقل كالفأفأة (...) حدّثنا مفضل بن صالح بن جابر، قال: كانت في لسان الحسن رُتَّة، فقال: سلمان الفارسيّ: أَتَتْه من قِبَل عمّه موسى بن عمران ﷺ»[4]، ولا أعلم ما مصدر رواية الأصفهاني هذه، ومن أين تأتي هذه الرُّتّة العُجْمة في كلامه ﷺ ؟!، وقد رُضِع من لبان حكمة المصطفى ﷺ، ونَهِل من مناهل الفصاحة والبلاغة.

ويظهر من خلال النصوص التي وقفنا عليها في هذا الباب أنَّ بَطَل هذه الروايات هو عمرو بن العاص بن وائل، قال المسعوديّ: «ولمّا صالح الحسن معاوية لما ناله من أهل الكوفة، وما نزل به، أشار عمرو بن العاص على معاوية وذلك بالكوفة أن يأمرَ الحسن فيقوم، فيخطب الناس، فكَرِه ذلك معاوية، وقال: ما أريد أنْ يخطب بالناس، قال عمرو: لكن أريد أنْ يبدو عِيُّهُ في الناس بأن يتكلّم في أمور لا يدرى ما هي، ولم يزل به حتّى

---

[1] صلح الحسن (ﷺ) : ٢٠١.

[2] أساس البلاغة : (عَيّ) / ١٧٧. وينظر : الفروق اللغوية : أبو هلال العسكري، علق عليه ووضع حواشيه : محمد باسل عيون السود، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م : ١٣١.

[3] المحاسن والمساوئ : ١ / ٥٨ - ٥٩، وينظر : حياة الإمام الحسن بن علي ﷺ : ٢ / ٣٢٣.

[4] مقاتل الطالبيين : ٤٩ - ٥٠. (الرُّتَّة بالضم العُجْمة في الكلام، ورجلٌ أَرَتّ بيّن الرَّتَت، وفي لسانه رُتّة) مختار الصحاح : (رتت) : ٢٣٢.

أطاعه، فخرج معاوية فخطب الناس، وأمر رجلاً أنْ ينادي بالحسن بن علي، فقام إليه، فقال: قُم يا حسن، فكلّم الناس، فقام، فتشهّد في بديهته ثم قال: أما بعدُ، أيّها الناس، فإنَّ اللهَ هداكم بأوّلنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وإنَّ لهذا الأمر مدّة، والدنيا دُوَل..... ثم قال في كلامه ذلك: يا أهل الكوفة، لو لم تُذْهَل نفسي عنكم إلاّ لثلاث خصال لذُهِلْتُ: مقتلُكم لأبي، وسلبكم ثقلي، وطعنكم في بطني»[1].

ولا يخفى ما في هذه الرواية من دليل واضح، وبرهان ساطع، على ملكة الحسن عليه السلام الخطابية، وتمكّنه من بلاغة القول.

وقد عاب معاوية عمرو بن العاص على رأيه هذا، قال سبط بن الجوزي: «عندما وقع الصلح سار معاوية فدخل الكوفة فأشار عليه عمرو بن العاص أنْ يأمر الحسن أنْ يخطب، ليظهر عيّه، فقال له: قم فاخْطُبْ، فقام، وخطب، فقال: أيّها الناس، إنَّ الله قد هداكم بأوّلنا، وحقن دماءكم بآخرنا، ونحن أهل بيت نبيّكم أذهب اللهُ عنا الرّجس، وطهّرنا تطهيراً، وإنَّ لهذا الأمر مدّة، والدنيا دول، وقد قال الله تعالى لنبيّه محمد صلى الله عليه وآله: ﴿ **فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَى سَوَاء وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ {الأنبياء/ ١٠٩} إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجُهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**(، فضجّ الناس بالبكاء، فالتفت معاوية إلى عمرو، وقال: هذا رأيك، ثم قال للحسن: حَسْبُك يا أبا محمد (...) وفي وراية أنه قال: «نحن حزب الله المفلحون، وعترة رسوله المطهّرون، وأهل بيته الطيبون الطاهرون، وأحد الثقلين اللذين خلّفهما رسول الله صلى الله عليه وآله فيكم، فطاعتنا مقرونة بطاعة الله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۖ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** ﴾، وإن معاوية دعانا إلى أمرٍ ليس فيه عزّ ولا نَصَفَة، فإن وافقتم رددْنا عليه، وخاصمناه إلى الله تعالى، بظُبا السيوف، وإن أبيتم قَبِلْناه، فناداه الناسُ من كلّ جانب البقية البقية»[2].

إنَّ طلب معاوية من الحسن عليه السلام اعتلاء مِنصة الخطابة؛ ليبيّن للناس قبوله بالسلم، كان بإشارة عمرو بن العاص، ليظهر للناس بحسب زعمه عِيّ الحسن عليه السلام وحَصْره، وعدم مقدرته على الخطاب، وقد انبرى الحسن عليه السلام إلى أعواد المنبر، والناس كلّهم أُذُن صاغية، وهم ما بين راغب، وراغم، فخطبهم خطبة طويلة كانت في منتهى البلاغة، والبيان، وعظ فيها الناسَ، ودعاهم إلى الألفة والمحبّة، وصوّر فيها الأحداث الرهيبة التي جرت على أهل البيت بعد وفاة المصطفى صلى الله عليه وآله [3].

---

[1] مروج الذهب: ٣/ ٩ – ١٠، وينظر: الكامل في التاريخ: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني المعروف بـ (ابن الأثير) (ت ٦٣٠هـ)، مراجعة الدكتور سمير شمس، دار صادر، بيروت، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٩م.: ٣/ ٢٠٨.

[2] تذكرة الخواص: ٧٤. (الأنبياء/ ١١١)، (النساء/ من الآية ٥٩).

[3] ينظر: حياة الإمام الحسن بن علي عليه السلام: ٢/ ٢٥٩.

ولا تعجب أيّها القارئ العزيز من تصرّف عمرو بن العاص، وعمله هذا، فكان محبّاً للفتنة، والسلطة، والإمارة، وعُرف بمكره، ودهائه، وقد صرّح عباس محمود العقاد بذلك الأمر أكثر من مرّة تبعاً للروايات التي وقف عليها في كتابه (عمرو بن العاص)، منها ما له علاقة بأحداث مقتل عثمان بن عفان، قال: «وترك الفتنة، وآوى إلى مينائه بفلسطين، يتلقّى الركبان ويسأل منهم كلَّ عابر ينفعه سؤاله، فمر به راكب من المدينة فاستخبره خبر عثمان، فقال: محصور: ثم أعقبه آخر، فقال: قُتل عثمان، فيروي رواة الخبر أنَّه صاح يومئذ: أنا أبو عبد الله إذا نَكَأتُ قُرْحةً أدْمَيْتُها (...) والله إنّي كُنْت ألْقَى الراعي فأحرِّضه على عثمان»[1].

وكان متجاسراً على الخلفاء ولاسيّما الثاني، والثالث، فقد «أرسل إليه عمر بن الخطاب من يحاسبه، ويشاطره ماله، غضب، وقال للرسول: قبّح اللهُ زماناً عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب فيه عامل، والله، إنِّي لأعرف الخطاب يحمل فوق رأسه حزمة من الحَطب، وعلى ابنه مثلها، وما منهما إلاَّ في نَمِرَة لا تبلغ رُسْغَيه، والله ما كان العاص بن وائل يَرْضى أنْ يلبس الديباج مُزَرَّراً بالذهب»[2]، ولما عزله «عثمان من ولاية مصر دعاه فأنّبه، وقال له: استعملتُك على ظُلْمك، وكَثْرة القالة فيك، فقال عمرو، قد كنت عاملاً لعمر بن الخطاب، ففارقني وهو عنّي راضٍ، واحتدم الجدل بينهما، فهمَّ عمرو بالخروج مغضباً، وهو يقول: قد رأيتُ العاص بن وائل، ورأيتُ أباك، فوالله للعاص كان أشرف من عثمان، فما زاد عثمان على أن قال: ما لنا ولذكر الجاهلية»[3].

وقد ذكر العقاد رواية في نسبه مؤكِّداً إيّاها تأنَفُ هذه الدراسة من ذكرها؛ لما فيها خدش للحياء، وخروج عن الجوّ العام لهذه الدراسة، التي تخصّ الإنسانية المثالية لسبط المصطفى ﷺ، وغرسه، وبرعه، الطهر الطاهر سيّد شباب أهل الجنة، الحسن بن عليّ عليهما السلام.

ثالثاً: الاهتمام بالمتلقّي:

إنَّ الاهتمام بالمتلقّي (السامع) ضرورة في عملية تشكيل الخطاب، فمفهوم الخطاب مؤسّس على عملية الفهم، والإفهام، وتتبيّن مدى قوّة اللحمة بين الفهم، والخطاب، ومن هنا يكون الخطاب مجموعة من القيم الدّلالية المندرجة في سياق معين، قصد به مبدعه إفهام المتلقّي، سواء أكانت هذه القيم إشارة، أم علامة، أم لفظاً[4].

---

[1] عمرو بن العاص: عباس محمود العقاد: ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ١٩٦٩م: ٢٦.

[2] م.ن: ١٤. (نَمِرَة: جبّة من صوف يلبسها الأعراف).

[3] عمرو بن العاص: ١٤ – ١٥.

[4] ينظر: فهم الخطاب القرآني بين الإمامية والأشاعرة (دراسة مقارنة في ضوء ركائز الأسلوبية): صباح عيدان حمود العبادي، ط١، دار الفيحاء، البصرة – العراق، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.: ٢٥ – ٢٦.

إنَّ إقناع المتلقي (المخاطَب)، واستمالته من خلال الاهتمام به، والدأب على إيصال الفكرة له هي سمة واضحة في الخطاب الحسني، فإنَّ الحسن ﷺ قد اهتمّ بوجود المتلقي، وعَمِل على إقناعه، وحجاجه، والتأثير به في مستويات الحال كافة.

إنَّ الخطاب الحسنيّ كان يرمي إلى هداية المتلقي، ونجاته من المهلكة، والفوز بجنّة الآخرة، فضلاً عن ذلك الدعوة إلى إصلاحه خاصة، وإصلاح المجتمع الذي يحوي جمّاً غفيراً من المتلقين أصحاب الفهوم المتفاوتة، وكذلك إلى لزوم الجماعة والعُصبة، وترك الخلافة والفرقة، والدعوة إلى التواصُل والتحابُب والتوادد، والتعايش، وهجران التباغُض، والتدابُر والتناحُر.

هذه الدعوات الإنسانيّة وغيرها، كانت مزايا تُلْمح في هذا التراث الإنساني الخالد، فكان الحسن ﷺ يجعل المتلقي في دائرة النّص التأثيرية، لا يغيب عنه طرفة عين، فهو أمامه دائماً، وهذا ما يَبينُ، ويوضّح القيمة البلاغيّة في عملية التواصُل، والإبلاغ.

إنَّ الأسلوب هو قوّة ضاغطة يسلّطها المتكلّم على المخاطب، بحيث يسلبه حرّيّة التصرّف إزاء هذه القوّة، فكأنّ الأسلوب أصبح بمثابة قائد لفظي للمتلقّي، «هذه القوّة الضاغطة تتمثّل فيها عملية الإقناع بوسائلها العقلية، التي من خلالها يُسْلم المتلقّي قياده للفكرة الموجّهة إليه، كما تتمثّل فيها عملية الإمتاع التي تلوّن الكلام بكثير من المواصفات العاطفية، الوجدانية، بحيث تكون هناك مزاوجة بين الجانب الإقناعي، والجانب الإمتاعي، كما تتمثّل فيها ثالثاً عملية الإثارة، التي بها يوقِف المبدع المشاعر التي كانت مختزنة عن المتلقّي أو يجمِّدها تمهيداً لإحلال انفعالات جديدة، مُسبَّبة عن الطاقة الفكرية والعاطفية الموجّهة إليه»[1].

إنَّ المتأمّل والمدقّق في تراث الحسن ﷺ أجمع، يجد الاهتمام بالمتلقّي، وإثارته، ومراعاته حاضراً حضوراً واضحاً، فلا نعدم وجود هذا الأمر في أغلب تراثه، بدءًا من إيفاده في زمن أبيه أمير المؤمنين ﷺ إلى أهل الكوفة يدعوهم إلى نصرة إمامهم وخليفتهم في البصرة، وكان أبو موسى الأشعري والياً على الكوفة، فأخذ الإمام الحسن ﷺ يجدّ في تحفيز الناس، وإثارتهم للجهاد، وحضهم إلى الخروج إلى البصرة لنصرة أبيه ﷺ منها ما قال لهم: «أيُّها الناسُ، أجيبوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنَّه سَيُوْجَدُ لهذا الأمر من يَنْفُرُ إليه، والله لَئِن يَلِيَه أولو النُهَى أمثل في العاجلة، وخير في العاقبة، فأجيبوا دَعْوَتنا، وأعينونا على ما ابْتَلَيْنا به، وابْتَلَيْتُم»[2]، وقال أيضاً ﷺ: «وهو يسألكم النصر، ويدعوكم إلى الحقّ، ويأمركم بالمسير إليه، لتؤازروه وتنصروه على قوم نكثوا بيعته، وقتلوا أهل الصلاح من أصحابه، ومَثّلُوا بعماله، وانتهبوا ماله، فأشخصوا إليه رحمكم الله، فمروا

---

[1] البلاغة والأسلوبيّة : محمد عبد المطلب : ط٤، الشركة المصرية العالمية (لونجمان)، مصر، ١٩٩٤ : ٢٣٥ – ٢٣٦.

[2] تاريخ الرسل والملوك المعروف بـ (تاريخ الطبري) : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، ط١، الأميرة، بيروت – لبنان، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.: ٣/ ٤٩٩.

بالمعروف، وانهوا عن المنكر، واحضروا بما يحضر به الصالحون»[1]، وانتهاءً بوصيّته إلى أخيه الحسين عليه السلام، وهو يجود بنفسه يدعوه عليه السلام فيها إلى حقن الدماء، والاحتراز والاحتياط منها، ودفنه بجوار جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله، وإن منع فالبقيع، قال ابن رستم الطبري: «ولما حضرته الوفاة قال لأخيه إذا مُتُّ فغسّلني، وحنّطني، وكفّني، وصلِّ عليّ، واحملني، إلى قبر جدّي حتى تَلْحَدَني إلى جانبه، فإن منعت من ذلك، فبحقّ جدّك رسول الله، وأبيك أمير المؤمنين، وأمّك فاطمة وبحقّي عليك إن خاصمك أحدٌ رُدّني إلى البقيع، فادفني فيه، ولا تهرق فيّ مِحجمة دمٍ»[2].

إنَّ الضغط الذي يسلّط على المتلقّي، ويؤثّر في إدراكه، ويحرّك فكره، وشعوره يكون من خلال الطاقات التعبيرية، والأسلوبية الضاغطة التي تؤثّر تأثيراً واضحاً، وقويّاً على المتلقّي، وكلّما تعدّدت المفاجآت في الأسلوب زادت القوة الضاغطة، وتكاثرت ردود الفعل[3].

إنَّ تكثيف هذه الطاقات التعبيريّة في الخطاب، جاءت من أجل المتلقّي، ومحاولة استمالته، وإثارته، والتأثير فيه، ومن هنا فقد تباينت الأساليب التركيبيّة في الخطاب الحسنيّ، وفقاً لدواعٍ دلاليّة، وغايات إفهاميّة، فالحسن عليه السلام كان حريصاً على إيصال أفكاره، ومنهجه، ومعرفته، إلى المتلقّين؛ من أجل إثارتهم، وشد أذهانهم، واستشعار نفوسهم، وقلوبهم.

وليس غرض هذه الفقرة (الاهتمام بالسامع) هو دراسة تراث الإمام الحسن عليه السلام دراسة أسلوبية، لكن الغاية بيان أثر الطاقات التعبيرية، وتباين الأساليب التركيبية في تجلّي المعالم الإنسانية المثالية عنده عليه السلام.

إنَّ أهمّ هذه الطاقات التعبيرية، والأساليب التركيبية التي نلمحها في خطاب الإمام الحسن عليه السلام من أجل شدّ انتباه المتلقي، وإثارته، والتواصل معه هو أسلوب الأمر، ولاسيما صيغته الرئيسة (افْعَل)، والنداء، والتكرار الدلالي.

إنَّ أوّل ما عنانا من هذه الطاقات التعبيرية، هو الأمر وهو «صيغة تستدعي الفعل، أو قولٌ يُنبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء»[4]، ودلالة الأمر الرئيسة هي الطلب، ونلمح هذه الطاقة من رسالة الحسن عليه السلام البليغة الطويلة إلى معاوية، وقد دعاه فيها إلى قيم إنسانية مثاليّة منها إصلاح المجتمع، وحفظه من خلال مبايعته، والدخول في الجماعة، وعدم التمادي في البغي والجور، فنجد الأفعال الأمرية

---

[1] أعيان الشيعة : السيد محسن الأمين، حققهُ، السيد حسن الأمين، ط٥، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، (١٤١٨هـ – ١٩٩٨م).: ٢ / ٣٦٩.

[2] دلائل الإمامة : أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري، من علماء القرن الرابع الهجري، ط٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.: ٦١.

[3] ينظر : البلاغة والأسلوبية : ٢٤٠ – ٢٤١.

[4] الطراز (المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز) : يحيى بن حمزة العلويّ : مراجعة وضبط وتدقيق : محمد عبد السلام شاهين، ط١ / دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م : ٥٣٠.

حاضرة حضوراً جليّاً، ننقل منها مقطعاً لبيان هذا الملمح الأسلوبي، قال ﷺ: «فدعِ التمادي في الباطل، وادخُلْ فيما دَخَل فيه الناس من بيعتي، فإنّك تَعْلَمُ أنّي أحقّ بهذا الأمر منك عند الله، وعند كلّ أوّابٍ حفيظ، ومَنْ له قَلْبٌ مُنِيبٌ، واتَّقِ اللهَ ودَعِ البغي، واحْقِن دِماءَ المسلمين، فوالله ما لك خَيْرٌ في أنْ تَلْقَى اللهَ من دمائهم بأكثر مما أنت لاقيه به، وادْخُلِ في السِّلم والطاعة ولا تنازع الأمرَ أهْلَه، ومَنْ هُوَ أحقّ به منك لِيُطْفِئَ اللهُ النائرة بذلك، ويجمع الكلمة، ويصلحَ ذات البين، وإن أنت أبيت إلاَّ التماديَ في غيِّك سِرْتُ إليك بالمسلمين، فحاكمتُك حتى يحكمَ اللهُ بيننا وهو خيرُ الحاكمين»[1]، فالأفعال الأمرية [دَعْ (تكرّر مرتين)، ادْخُلْ (تكرّر مرتين)، اتّقِ، احْقِنْ] طاقات تعبيريّة تؤثر في المتلقّي، وتجعله شريكاً رئيساً في الخطاب، قال راضي آل ياسين: «فلا عجب إذا جاء كتاب الحسن هذا صريحاً في تهديده، شديداً في وعظه، قويّاً في لغته الآمرة الناهية»[2].

وتشتدّ هذه الطاقة التعبيريّة في وصيّته البليغة الذهبيّة إلى الصحابي جُنادة بن أبي أمية، وهو ﷺ في أشدّ الأحوال وأقساها حينما دُسّ السمُّ إليه، قال ﷺ: «**يا جنادةُ، استعِدَّ لِسَفَرِكَ، وحَصِّلْ زادَك قَبْلَ حُلولِ أجَلِك، واعْلَمْ أنّك تطلبُ الدنيا والموت يَطْلُبُك، ولا تَحْمِلْ هَمّ يومِكَ الذي لم يأتِ على يومك الذي أنت فيه، واعْلَم أنّك لا تَكْسِبُ من المال شيئاً فوق قُوّتك، إلاَّ كُنتَ فيه خازناً لغيرك، واعلمْ أنَّ الدنيا في حلالها حِسابٌ، وفي حَرامِها عقاب، وفي الشبهات عِتاب، فَأَنْزِل الدنيا بمنزلة المَيْتَةِ، خُذْ منها ما يكفيك، فإن كان حلالاً كُنتَ قَدْ زَهِدْت فيه، وإن كان حراماً لم يكن فيه وِزْرٌ فأخذت مِنْه كما أَخَذْتَ من المَيْتَة، وإن كان العقابُ فالعقابُ يسير، واعمل لِدُنياك كأنّك تعيش أبداً، واعْمَل لآخرتك كأنّك تموتُ غداً، وإذا أردْت عِزّاً بلا عَشِيرةٍ، وهيبةً بلا سُلطان، فاخْرُج من ذُلّ معصية الله إلى عِزّ طاعة الله (عزّ وجلّ) وإذا نازعَتْك إلى صُحْبة الرّجال حاجةٌ، فاصْحَبْ مَنْ إذا صَحِبْتَهُ زانك**»[3]، فاحتشاد الأفعال الأمرية، وهي [اسْتَعِدْ، وحَصِّلْ، واعْلَمْ (تكرر خمس مرات)، وأَنْزِلْ، وخُذْ، واعْمَلْ (تكرّر مرّتين)، واخْرُجْ، واصْحَبْ] في الخطاب الحسنيّ غايته الاهتمام بالمتلقي، ومحاولة جَذْبه، وشدّه، واستثارته، فضلاً عن ذلك الوصول إلى أعلى درجات التوصيل، والاستقبال.

أما النداءُ، فكثير الدوران في خطابه ﷺ، والمقصد من النداء هو «لفت نظر المنادى، وتنبيهه على الأمر الذي يلي النداء، بمعنى أنَّ النداء فتحٌ لمجالات الخطاب، أي أنّه سعيٌ قَبْلي، أو محاولة لتهيئة المخاطَب إلى المباشرة الخطابية بين طرفي الخطاب، سواء أينتقل المخاطَب إلى ساحتك، أو بالتحرّك نحو ساحة المخاطَب»[4]، وقد

---

[1] شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد : ١٦ / ٣٤.

[2] صلح الحسن ﷺ : ٨٣.

[3] أعيان الشيعة : ٤ / ٨٥.

[4] الخطاب في نهج البلاغة دراسة موضوعية فنية : (رسالة ماجستير) : إيمان عبد الحسن علي، جامعة بابل – كلية التربية، قسم اللغة العربية، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.: ١٠٥.

استعمل الحسن ﷺ حرف النداء (يا) وهو لنداء البعيد لتوصيل كلامه، وتنبيه المتلقّي إلى ما يراد منه، وقد تعدّد المنادون في خطاب الحسن ﷺ، ولاسيما نداؤُه إلى الناس من خلال تركيب (يا أيُّها الناسُ)، وكذلك نداؤُه إلى مَن يريد تنبيهه، وإثارته، من نحو: (يا أبا موسى)، و (يا معاويةُ)، و (يا حِجْرُ)، و (يا عَدِيُّ)، و (يا أبا سعيدُ)، و (يا جُنادة)، و (يا مُحَمّدُ)، و (يا حُسينُ)، وغيرها، وقد جاءت هذه النداءات في خطابه ﷺ، وقد ذكرنا النصوص التي وردت فيها من قبلُ، نضربُ صفحاً عن ذكرها خشية الإطالة والإطناب.

ومن الطاقات التعبيرية، والشحنات الأسلوبية التي كان لها حضورٌ واضح في تراثه ﷺ هو التكرار الدلالي، سواءٌ أكان على مستوى تكرار الألفاظ، أم على مستوى تكرار الموقف، فالمستوى الأول، وهو تكرار الألفاظ جاء من أجل دلالة التوكيد، والإفهام وهي الدلالة الرئيسة بل (أم الدلالات) للتكرار.

إنَّ التكرار الذي نلمحه في خطاب الحسن ﷺ في تراثه أجمع سواءٌ أكان خطبة، أم رسالة، أم وصيّة، أم حكمة كانت له دلالاته، وتجلياته من خلال الدعوة إلى أمر مهم، أو الإشارة إلى قضيّة ملحة، أو تقدير موقف، أو عرض فكرة وغيرها، فالإمام الحسن ﷺ في تكراره هذا أراد التأثير الخطابي في المسلمين.

فالتكرار اللفظي من خلال إعادة الألفاظ تُعلي من المضمون، وتنزع إلى الشدّ نحو الفكرة، والقضية، فتوكيد الحسن ﷺ كونه من بيت النبوة، في خطبته «حين قتل أبوه علي ﷺ، فَحمِد الله، وأثنى عليه ثم قال (...) أيُّها الناس مَنْ عرفني فقد عرفني، ومَنْ لم يَعْرِفني، فأنا الحسنُ بن عليّ، وأنا ابنُ النبيّ، وأنا ابنُ الوصيّ، وأنا ابنُ البشير، وأنا ابنُ النذير، وأنا ابن الداعي إلى الله، والسراج المنير، وأنا من أهل البيت الذي كان جبريل يتنزل فينا ويصعد من عندنا»[1]، فقد تكرّر ضمير المتكلم (أنا) سبع مرات، وهذا التكرار اللفظي غايته التأثير في المتلقّين، ومحاولة زرع عامل التحليل، والتفسير في نفوسهم، والوصول بهم إلى أعلى درجات الفهم والإفهام.

ويتجلّى تكرار المواقف في تراثه ﷺ ولاسيّما موقف توكيد نسبه الطاهر، وموقف توكيد أحقّيّته بالخلافة، وموقف توكيد دعوته إلى السلم والدخول في الجماعة، وموقف توكيد الإصلاح، وحقن الدماء، وهي مواقف إنسانية مثالية هدفها التأثير في المتلقّين، وشدّهم نحو الفكرة، والقضية التي يريد ﷺ إيصالها.

ومما له علاقة بدراستنا هو تكرار موقف السلم، ولزوم الجماعة، وتكرار موقف الإصلاح وحقن الدماء، ولا يخفى الترابط الوثيق بين الموقفين، موقف السلم ولزوم الجماعة، وموقف إصلاح المجتمع، وحقن دماء المسلمين، ويظهر هذا الترابط في رسالة الإمام الحسن ﷺ البليغة الطويلة لمعاوية، وقد ذكرناها من قبل، منها «فدع التمادي في الباطل، وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي (...) واتّقِ اللهَ ودَعِ البغي، واحقن دماء المسلمين

---

[1] الذرية الطاهرة: أبو البشر محمد بن أحمد بن حماد الأنصاري الرازي الدولابي (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: السيد محمد جواد الجين الجلالي، ط٨، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.: ١٠٨.

(...) لِيُطفِئ اللهُ النائرة بذلك (...) ويجمع الكلمة ويصلح ذات البين»[1]، ويتكرّر هذان الموقفان في خطبته الطويلة البليغة التي خطبها بعد سلمه مع معاوية، قال عليه السلام: «**أيُّها الناسُ، إنَّ أكْيَس الكَيْس التُّقَى، وأحْمَق الحُمْقِ الفجور، والله لو طَلَبْتُمْ ما بين جَابَلْق وجَابَرْس رَجُلاً جَدُّه رسول الله صلى الله عليه وآله ما وَجَدْتمُوهُمْ غَيْري، وغيْر أخي الحُسين، وقَدْ عَلِمْتُم أنَّ الله هَدَاكم بِجَدّي محمدٍ، فَأنْقَذكم به من الضلالة، ورفعكم به من الجَهَالة، وأعَزَّكم بعد الذلّة، وكَثَّرَكُمْ به بَعْدَ القِلّة، وإن معاوية نازعني حقّاً هو لي دونَه، فنظرتُ لصلاح الأمّة، وقَطْع الفتنة وقد كنتم بايعتموني على أنْ تسالموا من سالمت، وتُحاربوا من حاربْتُ، فَرَأيْتُ أنْ أسالم معاوية، وأضعُ الحربَ بيني وبينه، وقد بايَعْتُه، ورأيْتُ أنَّ حَقْنَ الدماء خيرٌ من سفكها، ولم أرِدْ بذلك إلاَّ صلاحكم، وبقاءكُمْ ....**»[2].

ويشتدّ هذان الموقفان، ويتعالان في ردّه عليه السلام أصحابه بعدما عُوتب من قبلهم؛ بسبب قبوله السلم والهدنة مع معاوية منها ردّه على المسيّب بن نجبة، قال عليه السلام: «**يا مسيَّب، إنّي لو أردْتُ بما فَعَلْتُ الدنيا، لم يكن معاوية بأصبر عند اللقاء، ولا أثبت عند الحرب منّي، ولكن أردْتُ صلاحكم وكفَّ بعضَكم عن بعضٍ فارضَوا بقدر الله، وقضائه حتى يستريح بر، ويستراح من فاجرٍ**»[3]، **واسْمَع إلى كلامه عليه السلام إلى عَدِيّ بن حاتم: «يا عَدِيُّ، إنّي رأيْتُ هَوَى مُعْظَم الناس في الصُّلح، وكَرِهوا الحرب، فلم أحِبُّ أن أحْمِلَهُم على ما يكرهون، فصالحت بقياً على شيعتنا من القتل فرأيت دفع هذه الحروب إلى يوم ما، فإنَّ الله كُلّ يوم في شَأن**»[4].

ويتكرر موقف الحفاظ على المجتمع، وحقن الدماء في آخر لحظة من حياته المطهّرة، في وصيّته لأخيه الحسين عليهما السلام، وقد تضمّنت أمرين مهمّين، الأول: إخفاء اسم الشخص الذي سمّه حقنًا للدماء، وخوف الفتنة، والثاني: عدم الإصرار على دفنه بجوار جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله إن مُنع خوفاً من الفتنة، وحقناً لدماء المسلمين، والحفاظ على الجماعة الصالحة، وقد نقلنا النصوص بهذا الشأن من قبلُ.

ولابد من الإشارة أنَّ الإمام الحسن عليه السلام قد استعمل في خطابه أسلوب التعليل، والمحاججة، فضلاً عن ذلك الاستشهاد بكلام الله (عزّ وجلّ)، وقد بيّنّا ذلك من خلال النصوص التي ذكرناها في الفصل الأول في مبحث أثر القرآن الكريم في رسوخ إنسانية الحسن عليه السلام المثالية في فقرة استشهاده بالنصوص القرآنية.

---

[1] شرح نهج البلاغة : ١٦ / ٣٤.

[2] كشف الغمة : ١ / ٥٣٤. (الأنبياء / ١١١).

[3] أعشان الشيعة : ٢ / ٣٧٧ – ٣٧٨، وينظر : تاريخ دمشق : علي بن الحَسن ابن عساكر (ت ٥٧١هـ) تحقيق : علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.: ٢ / ٢٢٥.

[4] حياة الإمام الحسن بن علي عليه السلام : ٢ / ٢٧٠ – ٢٧١.

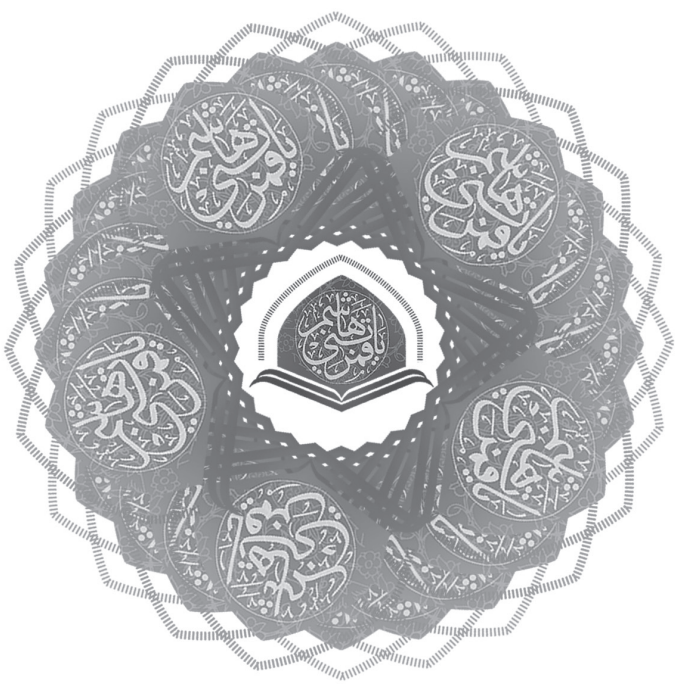

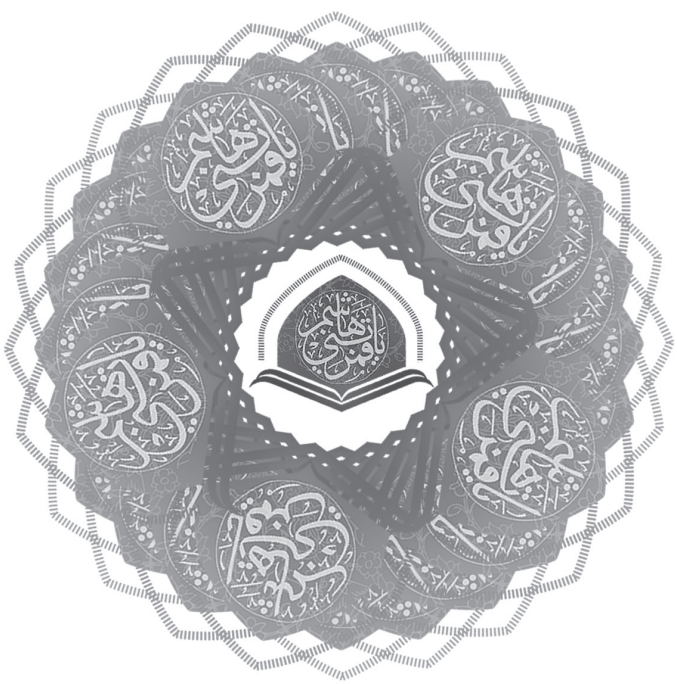

معركة بدر مفتاح عهد جديد

الشيخ عبد الرزاق فرج الله الأسدي

من الطبيعي أنّ نقلة في تاريخ المسلمين قد تحقّقت، بعد انتهاء معركة بدر، وأنَّ انعطافًا هامًّا في حياتهم قد تحقّق على المستوى النّفسي، والفكري والسّياسي والاقتصادي والعسكري.

ويحتاج هذا الانعطاف إلى مواكبة وملازمة من قبل القرآن الكريم، على أساس دراسة تامّة للسلبيات والإيجابيات التي قد لا يلتفت إليها المسلمون؛ لأنَّهم لا يزالون يتذوقون حلاوة النّصر ونشوة الظّفر.

فلا بُدّ من إعداد شخصيّة الأمّة لمستقبل الصراع بين الحقّ والباطل، والذي لا يقف عند حدّ، أو نقطة تاريخية معيّنة، خصوصاً وأنَّ واقعة بدر جاءت حتميّة بظروف خاصة سابقة لأوانها ترتبط بمصير الإسلام، لذلك كانت تلازمها إيجابيّات السماء، انسجاماً مع الإمكانات والشروط المتوفّرة لدى المسلمين آنذاك وهي – أي الإمكانات – محدودة بحكم قصر الفترة بين البعثة والمعركة.

أما العهد الجديد الذي انتقل إليه المسلمون، فإنّه يقتضي مضاعفة الامتحان إذا ما تفاقم الصراع بين الإسلام وخصومه، أو قد تسحب السماء جزءًا من تدخّلها اختياراً من الله تعالى للاستعدادات والإمكانات البشرية.

(الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)[1].

ولهذا تطل علينا من سورة الأنفال –بعد شرح أحداث الواقعة وبيان إيجابيات السماء – كوكبة من الآيات الكريمة، تتضمن كلّ آية منها نداء هامًّا، يضيف إلى شخصية الأمّة عنصراً من عناصر القوّة، وتوقظ فيها إحساسها بشيء ربّما كان غائباً عن ذاكرتها في هذه التجربة، ويذكّرها بنعمة من نعم الله عليها لولاها لكانت آكلة سائغة بيد المستكبرين عليها الذين استبدّوا بمقدّراتها واستهانوا بقدراتها.

وهكذا تتتابع الآيات، وتتظافر المضامين في هدم شيء وبناء شيء، والتذكر بشيء، وهي تلتقي عند غرض الإعداد لحمل الرسالة، والاجتياز بها لأمواج الفتن، ورياح الشرور بشجاعة وصبر وإيمان وحكمة وتتمثّل

[1] العنكبوت : ١ – ٣ .

النداءات فيما يلي:-

١ – الأمر بالثبات في ملاقاة العدوّ

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ * وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)[1].

(وخطاب الآية عام غير خاص بوقت دون وقت ولا غزوة دون غزوة، فلا وجه لتخصيصها بغزوة بدر، وقصر حرمة الفرار بها كما يحكى عن بعض المفسّرين، على أنَّك عرفت ظاهر سياق الآيات أنَّها نزلت بعد غزوة بدر لا يومها)[2].

وقد بنى الفقهاء على هذا حكماً عامّاً بحرمة الفرار من الزحف إذا وجدت شروطه، وعدّوه من أكبر الكبائر عند الله تعالى.

بينما ذهب بعضهم إلى أنَّ هذه الآية منسوخة بآية أخرى في السورة نفسها وهي:

(الْآَنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)[3].

ومعنى هذا أنَّ وجوب الثبات مرتبط بما إذا كان العدو ضعفاً واحداً، أما إذا وجد ضعفان من الكافرين أو أكثر لا يجب الثبات في ملاقاتهم.

ولكن ينبغي أن نلاحظ: أنَّ النسخ لا يقع إلّا مع التنافي بين الآيتين، بحيث لا يمكن الجمع بينهما في جامع مشترك مع العلم أنَّ آية: (**إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ**..) مطلقة تحرّم الفرار في كلّ الأحوال سواء كان العدو ضعفاً واحداً أو أضعافاً متعدّدة.

وأما آية: الآن خفف الله عنكم.. الخ، مقيّدة إذ توجب الثبات وتحرّم الفرار إذا كان العدو قد بلغ ضعفاً واحداً فقط، وأمّا إذا ما بلغ ضعفين أو أكثر فلا يجب الثبات.. إذًا لو أوجب الله الثبات في هذا الحال لأوقع المسلمين في عسر وحرج.

إذن: يبقى الحكم بحرمة الفرار من الزحف ثابتاً، ولا تعارض بين الآيتين، حيث التقتا في جامع مشترك، ولم تطرح أي منها عن الدلالة على وجوب الثبات.

---

[1] الأنفال : ١٥ – ١٦ .

[2] تفسير الميزان للسيد الطباطبائي : ج٩ ، ص٣٧ .

[3] الأنفال : ٦٦ .

وقد تظافرت الروايات على عموم الحكم لكلّ زمان ومكان، ولكلّ المؤمنين حيث عدت الكبائر سبعاً:-

منها: قتل المؤمن عمدًا.. وقذف المحصنة. والفرار من الزحف والتعرّب بعد الهجرة.. الخ.

(وفي الفقيه والعلل بإسناده عن ابن شاذان: إنَّ أبا الحسن الرضا عليه السلام كتب إليه فيما كتب من جواب مسائله: حرم الله الفرار من الزحف لما فيه من الوهن في الدين والاستخفاف بالرسل والأئمة العادلة، وترك نصرتهم على الأعداء، والعقوبة لهم على ترك ما دعوا إليه من الإقرار بالربوبية، وإظهار العدل، وترك الجور، وإماتة الفساد، لما في ذلك من جرأة العدو على المسلمين، وما يكون في ذلك من السبي والقتل وإبطال دين الله وغيره من الفساد)[1].

ويعدّ الفرار من الزحف موجباً لغضب الله تعالى ومقته للإنسان في الحياة الدنيا، وموجباً لعذاب جهنم له في الآخرة، وقد استثنى القرآن الكريم من هذا الحكم حالتين:-

الأولى: كون الإنسان متحرفًا لقتال، والتحرف: هو تعديل الموقف للمواجهة، بأن ينحرف عن مقابلة العدو وجهاً لوجه، لأجل أن يأخذ التدابير والاستعدادات العسكرية لموقف أفضل.

فلا يعدّ انحراف المقاتل عن المواجهة –هنا– هروبًا، وإنَّما هو انحراف إلى موضع قدم بديل، وانتقال من قتال إلى قتال، وهو داخل ضمن وجوب الثبات والمواجهة، حيث تقتضي الضرورة أحياناً انحراف المقاتل إلى مرتفع، أو إلى ماء لغرض الشرب منه، أو عن أرض موحلة إلى أرض صلبة.. وهكذا مما يناسب ظروف وملابسات المعركة.

الثانية: كون الإنسان متحيّزاً إلى فئة أو جهة أخرى والتحيز هو: الانتقال لإشغال حيّز من مكان آخر وهو من مقتضيات فنون المعركة، إذ لو كان الإنسان في جبهة مع مجموعة من المسلمين فرأى جبهة أخرى تتعرض إلى ضغط العدو لزمه أن ينتقل إلى تلك الجبهة لكسر الحصار أو تخفيف الضغط عنها.

والتحيز هنا، وان كان يستلزم استدبار العدو، الذي كان محرماً عاماً، فهو مطلب يقتضيه موقف المعركة.

فهذان الاستثناءان يدخلان ضمن وضيفة القرآن الكريم في هذا المنعطف العسكري الجديد الذي يحتاج إلى ملازمة الإعداد لمستقبل الصراع بين المسلمين والمشركين.

٢ – الأمر بطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ

[1] تفسير الميزان للسيد الطباطبائي : ج٥ ، ص٥٧ .

وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ)[1].

هنا ويبني القرآن الكريم هذا النداء على أساس مسلمات وأسس فكرية لدى المسلمين هي: الإيمان بوحدانية الله تعالى ونبوة محمد ﷺ.

وتأتي طاعة الله بمعنى الانقياد لأمره والرضوخ لحكمه، إذًا لا حكم ولا مشرع إلّا الله، وطاعة الرسول ﷺ تعني التصديق بما جاء به من عند الله تعالى من عقيدة وشريعة، والاقتداء به والالتفاف حوله لأنّه القائد والمقتدى لهذه الأمّة، وأنّ كلّ ما يأمر به ينسجم تماماً مع مصلحة الأمة وتطلّعها.

وفي إطاعة الله تعالى والرسول تتمثّل وحدة الأمة وتماسكها، في انتهاج الوسيلة العادلة، والاتجاه العادل إلى الغاية العادلة.

أمّا خروج الأمة عن ميدان الطاعة فهو يعني: الاستسلام للأهواء، والأذواق، وبالتالي التمزق والتلاشي وتعدّد الاتجاهات، ثم الضعف وعدم القدرة على اتخاذ القرار الصائب.

(فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)[2]

وتمضي الآية الكريمة في الضرب على وتر الإنسانية الحساس لدى الإنسان وهو: العقل، ميزان التقييم الذي أعطاه الله تعالى له، والذي أصبح مركز أهليّته لحمل الأمانة، وخرج به الإنسان على بقيّة الحيوانات والدّواب بشرط كونه سامعاً لما يلقى إليه، منفتحاً أمام توجيهات السماء ودعواتها، وإلّا أضحى أضل خلق الله على الأرض **(إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ)**.

لأنّ الدّواب –عداه– استعملت حواسها وغرائزها، أما هو فقد أهمل عقله وتفكيره، وأغلق سمعه، وشلّ بصيرته عن التدبر، فكان شرّ الدواب، ولذا جاء في قوله تعالى **(أولئك كالأنعام بل هم أضلّ)**[3].

ومثل هذا النموذج من الناس لا يكون مستعدًّا للتفاهم والقبول، ولا ينتج خيراً للإنسانية، لذلك لا يفيض الله عليه من الخير والتسديد للهداية، لأنّ فعل الله تعالى لا يتجرّد عن الحكمة بحال من الأحوال، بل سوف يكون من العبث واللغو إسماعه إذا لم تكن هناك أرضيّة وجوّ قابل للإسماع، كمن يلقي البذر في رماد يحترق.

٣ – المسؤولية الاجتماعية

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ

---

[1] الأنفال : ٢٠ – ٢٣ .

[2] القصص : ٥٠

[3] الأعراف : ١٧٩ .

إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَاب * وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[1].

ترتبط هذه الكوكبة من الآيات الكريمة بين مسؤوليتين متلازمتين، تعضد إحداهما الأخرى، بعد التحول المرحلي في حياة المسلمين وهما:

أ – المسؤولية الخاصّة:

وهي مسؤولية لكلّ إنسان تجاه نفسه بالاستجابة لدعوة الرسول ﷺ لما يحيي، والحياة هنا حياة معنوية تعني السعادة والهدوء والتخلص من الحيرة والضّلال والتخبّط.. وأنَّ الضمان لتوفير هذه الحياة هو الإيمان بالإسلام عقيدة وشريعة، ينسجم مع أصل تكوين الإنسان وطبيعة خلقه وذلك:

لأنَّ الله تعالى خلق الإنسان من قبضة من طين ونفخة من روح، وفي الطين تتمثّل كلّ نوازع الإنسان المادية وغرائزه، وتمرغه الشهواني.

وفي الروح تتمثّل النوازع المعنوية، والخصائص العلوية، والمعاني والقيم التي تسمو بالإنسان وتشدّه إلى أعلى.

والإنسان الذي هكذا تكوينه وهذه طبيعته، هو بحاجة إلى نظام يتعامل مع كلا الجانبين، مع الجسد بنوازعه المادّيّة، ومع الروح المعنوية.

وأي نظام أرضي أو سماوي لا يتعامل مع طبيعة الإنسان المزدوجة، ولا ينظم حياة الإنسان على أساس تكوينه، نظام كاذب لا يصلح لتسيير الحياة.

والإسلام من بين كلّ الأديان والمبادئ، هو الوحيد الذي يستطيع أن يوحّد بين الرّوح والجسد، ويقضي على الثنائية من داخل الإنسان نفسه، بتوحيد الروح والجسد في إطار المصلحة الموحدة، والمنفعة المتبادلة بينهما.

ويظهر هذا الاهتمام من الإسلام في نصوصه المقدّسة كقوله تعالى:

(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)[2].

وفي مضامين بعض النصوص الشريفة: **(إنَّ لجسمك عليك حقًّا.. وأنَّ لروحك عليك حقًّا.. وأنّ لزوجك**

---

[1] الأنفال : ٢٤ – ٢٦ .

[2] القصص : ٧٧

عليك حقاً) حيث تعكس لنا تلك المضامين، أنَّ نظام الحياة الذي شرعه الله تعالى، لا يأتي للإنسان من خلال كونه جسداً فقط، ولا من خلال كونه روحًا فقط، بل لكونه مزيجًا من شقّين أحدهما متمّم للآخر.

فلو أهمل الجسد لأجل الروح تتمزق حياة الإنسان، ويفقد قدرة التّحرّك والإبداع والتّصنّع، وينهدّ شطر من سعادته، ولو أهمل الروح لأجل الجسد، تتمزّق القيم والمعاني والأخلاق والكمالات الحميدة، وتسقط الغاية من خلق الإنسان، وبذلك ينهدّ شطر مهم من سعادته.

إذًا: على أيّ جانب وضعنا يدنا نجد الإسلام قد وفّر السعادة والحياة.

ففي جانبه العقيدي: نجد أنَّ أركان الإيمان بالرّبّانية الواحدة، والرسالة الواحدة، والمعاد الواحد، نجد ذاتها وسيلة خلاص كبرى من الحيرة والقلق.

فإيمان الإنسان بربّه وعدله يوفّر له السند المعنوي والمرفأ الآمن، والخلاص من موت الحيرة والارتباك والشقاء.

وإيمان الإنسان بالنّبوّة والرسالة يوفّر له الخلاص من الحيرة التي ستمزقه لولا الدليل الذي يدلّه على ما هي واجباته وما هي حقوقه في الحياة.

وإيمان الإنسان بالمعاد والقيامة يشعره برقابة الله تعالى، ويطمئنه بضمان نتيجة عمله، ويسعده أن يرى عطاء ربّه الكريم، وجزاءه الأوفى يوم يلقاه.

وفي جانبه التشريعي الكامل الشامل للحياة: خلاص من التذبذب، والتخبّط السلوكي، بالانتساب الصادق للنظام الواحد العادل في أحكامه.

والالتزام بالتشريع يترجم الاستجابة من واقع الاعتقاد إلى الواقع العملي بصدق وإحساس خالص برقابة الله لأنه تعالى يحول بين المرء وقلبه، وكلمة يحول: كناية عن إحاطة الله تعالى بهذا الإنسان وعلمه المطلق بدقائق هذا الكون.

ب – المسؤولية العامة:

وهي تمثل السياج المحكم لبناء الأمة ولحفظ تماسكها من التصدع، وتتجسّد هذه المسؤولية في قوله تعالى: **(وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)**.

ويعني اتقاء الفتنة: الوقوف في وجه السلبيات الاجتماعية، والفتنة والفوضى والارتباك وغيره مما يؤدّي إلى تزلزل البناء الاجتماعي للأمة.

وتُسمّى هذه المسؤولية – باصطلاح الفقهاء – (واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، ويمكن

تسميتها – باصطلاح آخر–: الرقابة الاجتماعية.

(وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)[1].

فلو تركت الأمة هذه المسؤولية، ولم تقف في وجه المنكرات سوف ينهار سياج بنائها، وينحدر بها السيل وتخبو الهالة القدسية التي تحيط بها.

ولذا حذَّر القرآن الكريم من الفتنة، التي ورد في معناها عدّة أقوال، قيل: الضلالة، وقيل المصيبة، وقيل الكفر، وكلّ هذه المعاني تصبُّ في مصبٍّ واحد يجمع كلّ عمل تنعكس آثاره السلبية على الأمة، بصورة عامة وشاملة، لا تختصّ بالذين ظلموا – مرتكبي المنكرات – خاصّة وذلك:

لأنّ مرتكب المنكر ينال نتيجة عمله في الآخرة، بما أعدّ الله له من إجراءات العقوبة على المنكر.

أمّا السّاكتون عن المنكرات، والمتهرّبون عن أداء هذه المسؤولية، فينالون جزاء سكوتهم وعاقبة صمتهم، بأن يحلّ بهم ما لم يكونوا يحتسبون من فوضى في الحياة الدنيا، وعدم الاستقرار والاطمئنان على أنفسهم وعلى أموالهم وأهليهم لاستفحال المنكر واتساع رقعة الفتنة.

وأمّا في الآخرة فينالون عقوبة الصّمت والتّهاون عن أداء الواجب المقدّس الذي هو حقّ من حقوق الأمّة لحفظ أمنها وضمان سعادتها.

وعلى هذا جاء في حديث الإمام علي ﷺ كما (عن محمد بن عرفة قال: سمعت أبا الحسن ﷺ يقول: لتأمرنّ بالمعروف ولتنهنّ عن المنكر أو ليستعملنّ عليكم شراركم، فيدعو خياركم فلا يُستجاب لهم)[2].

عن جابر، عن أبي جعفر ﷺ قال: أوحى الله إلى شعيب النبي: أنّي معذب من قومك مائة ألف: أربعين ألفًا من شرارهم، وستّين ألفًا من خيارهم، فقال ﷺ: يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ فأوحى الله عزّ وجل إليه: داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي)[3].

وأصرح آية نزلت في بني إسرائيل بهذا الصدد قوله تعالى: **(لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)**[4].

---

[1] آل عمران: ١٠٤ – ١٠٥

[2] بحار الأنوار: ٩٧ / ٩٣

[3] م. ن: ١٢ / ٣٨٦

[4] المائدة: ٧٨ – ٧٩

حيث تدلّ على أنَّ هذا الواجب حكم جوهريّ في حياة كلّ أمّة في كلّ زمان لأجل حفظ وجودها وبنائها من الانهيار.

الانتقال الطّبيعي ضمان البقاء

وقضى القرآن الكريم يعقد المقارنة بين ما كانت عليه الأمّة آنذاك وما هي عليه بعد معركة بدر الفاصلة، ليحقّق بهذه المقارنة الانتقال الطّبيعي إلى المرحلة الجديدة من ناحية.

ومن ناحية أخرى إشعار الأمّة بواجبها في زمن القوّة والغلبة وهو القيام بأداء المسؤولية الاجتماعية على أفضل الوجوه وأخلص الاتجاهات.

فقد ذكّر الأمة بأنَّ ما كانت عليه من الضّعف والقلّة، والذلّ تحت التّسلّط الوثني، إنَّما كان بسبب ضلالها وضياعها عن سندها الرّوحي وحصنها الأمين.

وأنَّ ما أصبحت عليه الأمّة الآن من القوّة والمنعة، والأمان إنَّما هو من فضل الله عليها، ونعمة الإسلام وعزّة الحق.

فما عليها – إذن – إلَّا أداء ما يجب من الشكر العملي وهو: حفظ الرسالة من أن يتلاعب بها المتلاعبون، فقال تعالى في مقام المقارنة:

(وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[1].

وإيواء الله للمؤمنين كان عندما هاجروا من مكّة فرارًا بدينهم إلى الله تعالى من ظلم الظالمين واضطهادهم، فكانت المدينة مأواهم لأنَّها كانت دولة الإسلام ومركز قوّته.

أمّا ما كان من حالهم قبل الإسلام، فقد كانوا مستضعفين في الأرض والمستضعف: هو من أعدّه غيره ضعيفاً، فلو رجعنا إلى التاريخ خطوة لوجدنا، ما كان عليه العرب من التّحقير والتوهين الذي يواجهونه من الفرس والروم، هاتين الطائفتين اللتين سيطرتا على العرب بالقوّة.

وكانت حالة العرب – آنذاك – يتقاذفها الموت والخوف والحيرة، وخطف الأرواح والأموال والأعراض.

فجاءت الآية هذه ترسم معالم تلك الصورة المهينة قبل الإسلام، وتضرب حدًّا فاصلاً بين فترتين، إذ كانوا ضعافاً فأصبحوا أقوياء وكانوا أذلّة فأصبحوا أعزّة.

والحكمة من هذه المقارنة هي: ضمان التّغيّر التدريجي لطبيعة هذا الإنسان، وذلك لأنَّ الإنسان الخائف

---

[1] الانفال : ٢٦ .

الذّليل البائس الضعيف، عندما يتحوّل إلى الأمان والعزّة والغنى والقوّة تحوّلاً فجائيًّا، يخاف عليه من الاختلال والاهتزاز في شخصيّته.

فمثله: مثل قطعة الفلز أو الحديدة المحماة المحمرّة بالنار، عندما تقذف دفعة واحدة في الماء البارد، فإنَّها تكاد تتمزق لأنها تحوّلت فجأة من حالة إلى حالة جديدة لا تتحمّلها، فلذا تحتاج في تبريدها إلى التدرج الطبيعي لحفظ مادّتها من التّمزّق.

لذلك حاول القرآن بهذا التذكير والمقارنة بين عهدين أو مرحلتين متقاربتين في حياة المسلمين، أن يضمن بقاءهم على الحق بكامل قوّتهم، دونما غرور أو بطر وأن يضمن استمرار المسيرة إلى ما هو أكمل وأتمّ على صعيد العمل لله وأداء واجب الرسالة.

٤ – حفظ الأمانات

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ)[1].

والأمانات هي الودائع، في اصطلاح الفقهاء، ومفردها: أمانة أو وديعة، وبحثت الوديعة في كتب الفقه بصفتها عيناً تودع من قبل شخص عند شخص آخر، كالكتاب والمال، وغيرهما من الأمتعة المادّيّة، وخصصت لها أبواب لبيان أحكامها وما يتعلّق بها من شؤون.

إلّا أنَّ الأمانات قد تكون أوسع مفهوماً وأكبر شأنًا من المتاع المادّي. وقد تكررت الأمانات بالعرض والذكر في عدة مواضع من القرآن الكريم، ومختلف السياقات والمناسبات التي قد تقتضي اختلافاً في تحديد مفهوم الأمانة، ومدلولها من موضع إلى آخر.

فتارة يقتضي السياق القرآني تفسيرها بالمتاع والمادة التي يؤتمن عليها شخص ما فيطالب بأدائها إليه عند الطلب، وتارة يقتضي السياق تفسيرها بما هو أوسع من الأعيان الحسّيّة، كالعقل، أو مسؤولية التكليف التي تلقى على عاتق الإنسان، أو مسؤولية الحكم والقضاء بين الناس بالحق والعدل. وها هي السياقات القرآنية التي ورد فيها موضوع الأمانة بالذكر والعرض:

أ – في سياق البيان والتوجيه للأمّة على مستوى تنظيم حساباتها وديونها ومعاملاتها، وفي عرض الإرشاد إلى الكتابة والإشهاد على التداين قال تعالى: **(فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ..)**[2].

ب – في سياق بيان الحكم والقضاء بين الناس بالعدل والأمر بطاعة الله والرسول قال تعالى:

---

[1] الانفال: ٢٧ – ٢٨ .

[2] البقرة: ٢٨٣ .

(إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)[1].

فالأمانات في هذا السياق: كل الحقوق المادية والمعنوية التي يتم اتصافها لأهلها بالحكم والقضاء بين المتداعين. حتى المساواة في الكلام والنظرة، كأمانة ملحوظة الأداء في أول خطوة من خطوات القضاء، كما قال الرسول ﷺ: (يا علي ساوِ بين الخصمين في لفظك ولحظك).

ج – في سياق الأمر بالتقوى وأداء مسؤولية التكليف بالقول السديد، والعمل الصالح، والطاعة الخالصة لله تعالى، ولرسوله، قال تعالى:

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) [2].

(اختلف المفسرون في معنى الأمانة، فمن قائل: إنَّها التكليف والطاعة، وقائل: إنَّها كلمة (لا اله إلا الله) وقال ثالث: هي أعضاء الإنسان كسمعه وبصره ويده ورجله وأنَّ عليه أن يستعملها فيما خلقت من أجله، وذهب رابع إلى أنَّها الأمانة في الأموال، والذي نراه نحن: أنَّها التضحية بالمصلحة الفردية لصالح الجماعة، لا لشيء، إلّا لوجه الله والإنسانية لأنّ هذه التضحية قد بلغت من الثقل والضخامة مبلغًا لو عرضت على أقوى مخلوق كالسموات والأرض والجبال لأشفقن منها على فرض أنَّه يحسّ ويشعر)[3].

د – وفي سياق بيان صفات المؤمنين وخصالهم وخصائصهم الحميدة، قال تعالى:

(وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ)[4].

إذن يتحدَّد مفهوم الأمانة سعة وضيقًا ومصداقًا لدى المفسّرين على ضوء هذه السياقات القرآنية، وعلى أيّ صعيد يتحدّد مدلول الأمانة يبقى الجامع المشترك وهو: أنَّ الأمانات تمثّل الرابطة وصلة الثّقة بين المؤتمن (مالك الأمانة) الذي وضعت الأمانة في مسؤوليته.

وتبقى مسؤولية حفظ الأمانة من التّعدّي وهو (تصرف وفعل ما يمنع فعله في الأمانة) والتفريط وهو (ترك ما يجب فعله تجاه الأمانة) وهي مسؤولية من وضعت الأمانة في رعايته.

فالتعدّي والتفريط كلاهما خيانة للأمانة وخروج وخرق لرابطة الثقة بين المؤتمِن والمؤتمَن. وهذه الخيانة تمتد

---

[1] النساء : ٥٨ .

[2] الاحزاب : ٧٢ .

[3] تفسير الكاشف ، محمد جواد مغنيه : ج٦ ، ص٢٤٤ .

[4] المؤمنون : ٨ ؛ المعارج : ٢٣ .

إلى الأمانات بمفهومها العام والشامل؛ لأنَّ لها مكاناً هامًّا في بناء الأمّة وشدّ أواصرها. فالعقل أمانة الله على عاتق الإنسان، لأنَّه مركز التكليف وميزان العمل، فالتّعدّي عليه بتصرّف يحرف مسيرته أو يعطل دوره، ويشلّ وظيفته، كشرب الخمر أو تلقي التيارات والأفكار الضارة، خيانة بحقّه.

ومن ناحية فالتفريط به وإهمال دوره في الحياة وترك الاستضاءة بنوره خيانة أيضاً. ومسؤولية التكليف أمانة، فالتّعدّي عليها بالدس والتحريف والوضع الباطل، وإدخال تكاليف لم ينزل الله بها سلطانا، خيانة وتركها والتّخلي عن الالتزامات والضّوابط العملية في الحياة خيانة.

ومسؤولية الحكم والقضاء بين الناس بالعدل أمانة، فالتّعدّي على هذه المسؤولية بإبداع واختراع القوانين، والإجراءات التي تتنافى مع جوهر القضاء العادل خيانة، والتّفريط بهذه المسؤولية وتركها وترك الأمّة تغرق في خضمّ المشاكل والقضايا والأزمات المتعبة خيانة.

وهكذا يمكن أن نتصوّر أنَّ كلّ ما يقع ضمن مسؤولية الإنسان أمانة، من النفس والمال والأهل والأولاد والمجتمع والدين والكون والعلم إلى غير ذلك مما تتبادل فيه الأمّة المصالح والمنافع.

(وإلى هذا أشار الإمام علي ﷺ بقوله: (الأمانات نظام الأمّة) أي أنَّ الأمّة لا تنتظم شؤونها إلّا إذا أدّى كل إنسان ما يطلب منه، وقال:

من لم يختلف سرّه وعلانيته وفعله ومقالته فقد أدّى الأمانة وأخلص العبادة، ومن استهان بالأمانة ورتع في الخيانة ولم ينزّه نفسه ودينه عنها فقد أحلَّ بنفسه في الدنيا الخزي وهو في الآخرة أذلّ وأخزى، وأنَّ أعظم الخيانة خيانة الأمة، وأفظع الغش غش الأمة)[1].

ومن هنا فإنَّ من خان الله ورسوله في الأمانة التي حمل بها وأصبح مسؤولاً في رعايتها وحفظها... فقد خان الأمّة وغشّها؛ لأنَّه فوّت عليها ثمرة التزامه، وحرمها نتاج دوره الفاعل، لذلك جاء في سياق الأمر بطاعة الله تعالى والرسول، في مضمار الجهاد والدفاع عن أشرف دين وأقدس رسالة في تأريخ الإنسانية قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ... الآية).

٥ – التحصّــن بالتقــوى

والبيان الآخر من بيانات القرآن الكريم، وهو في قمّة البيانات أهمّيّة، وعليه تبتني كل معالم العهد الجديد، **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)**[2].

---

[1] تفسير الكاشف، محمد جواد مغنيه: ج٢، ص٣٥٦.

[2] الأنفال: ٢٩.

يؤكِّد القرآن الكريم في عرضه البياني وخطابه الوجداني: أنَّ وسيلة الخلاص الكبرى من العدو الخارجي وأن استتباب الأمن والاستقرار في حياتهم، إنَّما يتم من خلال البناء الداخلي للنفس والقضاء على العدو الحقيقي الذي يتلاعب في داخل نفس الإنسان، وهو يشكّل ظاهرًا نمطاً من العلاقة الحميمة معه، لكنّه هو الذي يثبت فيه عزيمة الجهاد ويغمد فيه سيف المواجهة.

ولذلك تعني مجاهدة النفس –فيما تعني– في قول الإمام علي ﷺ: (ميدانكم الأول أنفسكم فإن قدرتم عليها كنتم على غيرها أقدر، وإن عجزتم عنها كنتم عن غيرها أعجز) تعني، مجاهدة الغرائز التي تنفتح على حطام الدنيا وبهرج الحياة، فتشكّل لوحدها معسكراً قويّاً وفاعلاً في تراجع الإنسان وهزيمته وخروجه عن أوامر وقرارات السماء.

وهنا يؤكِّد القرآن الكريم: إنَّ مجابهة العدو الداخلي الذي يعسكر في صميم النفس الإنسانية بزبرجه الخادع وبهرجه وخيلائه وطوفانه .. تتم هذه المجابهة بسيف وقوّة معدة من داخل ذات الإنسان.

وهذه القوة هي: التحصين الداخلي الذي سعى القرآن الكريم الى بنائه في نفس إنسان الرسالة من خلال هذا النداء وشبهه من النداءات.

وقد قال الإمام علي ﷺ: (التقوى دار حصن منيع والمعصية دار حصن ذليل لا يمنع أهله ولا يحرز من لجأ إليه).

إذ كثيراً ما يقع الإنسان مع ما يحمل من القيم والمعاني فريسة لتيار العاطفة وطوفان الغريزة في كلّ ميدان امتحان وساحة صراع، حيث يبدأ هذا الصراع وينتهي في فترة قصيرة يمر بها الإنسان من حيث يشعر أو لا يشعر حتى تسفر المعركة عن إحدى نتيجتين:

إما الفشل في إحراز نتيجة الصراع لصالح الدين والعقل والضمير، وإما النجاح والتغلب على طوفان وتيار الشيطان والغرائز والمغريات.

ومن الواضح إنّ كيفية الصراع ترتبط بوظيفة كلّ ركن من أركان معسكر الدين، ومعسكر الشيطان.

أمّا الدين: فوظيفته وظيفة الآمر والناهي وهو صاحب القرارات.. في الوقت الذي يسلّط العقل أشعّته على الطريق، ويكشف عن المزالق والعقبات التي تعترض لهذا الإنسان في ساحة المواجهة، وللضمير صوت أخير في ردع الإنسان عن الوقوع والسقوط في المزالق والمهاوي والعقبات التي تقع على الطريق.

وأمّا الشيطان فوظيفته تزيين المغريات للغرائز والربط بينها وبين الغرائز.

(زيّن للناس حبّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة

والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب)[1].

والغرائز بطبيعتها تتفاعل وتتجاذب مع هذه المغريات ومظاهر البهرجة فيها، وتفيض طوفاناً عارماً مدمّراً ما لم يكن هناك ضابط يوجّه سيلها في المصب الذي رسمه الله تعالى لها.

وهنا يأتي دور التقوى، التي تعني: إنَّ لله في نفس عبده المؤمن حضوراً دائماً، لا يغيب في حال من الأحوال.. يكون هذا الحضور فاعلاً في الوقوف كالسياج الحصين والقلعة المنيعة في وجه معسكر الشيطان وجنده من الغرائز والمغريات، وهو الذي يفسح المجال لصوت الضمير ليشق طريقه بقوّة، وهو يصرخ في الإنسان صرخة الردع عن السقوط في أحضان المعصية.

فإذا ما ضعف سياج التقوى وتداعى بناؤها، وغاب حضور الله في نفس الإنسان، فسوف يجد الشيطان وجنده من الغرائز والمغريات طريقاً إلى تشتيت هذا الصوت، وتبديد صرخة الضمير ليقع الإنسان فريسة هذا الطوفان وضحية هذا الصّراع.

والمتقون هم أنجح ما يكونوا في هذا الصراع، بما يملكون من صفات وخصائص القوّة لامتلاك زمام المبادرة في كلّ معركة.

وقد عرض الإمام علي ﷺ هذه الخصائص في جوابه لهمّام فقال: (فمن علامة أحدهم أنَّك ترى له قوة في دين، وحزماً في لين، وإيماناً في يقين...) إلى أن يقول:

تراه قريباً أمله، قليلاً زلله، خاشعاً قلبه، قانعة نفسه، متزوّدًا أكله، يقول ﷺ: في الزّلازل وقور، وفي المكاره صبور، وفي الرخاء شكور.

ومنها (عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم، فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعّمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذّبون).

آثار التقوى

بعد أن أولى القرآن الكريم اهتمامًا ببناء التقوى في نفس إنسان الرسالة، بصفتها الأساس المنيع، والسرّ الحقيقي للنجاح في المعركة ضد العدوين الداخلي والخارجي، أوضح من جانب آخر أنّ النجاح يتم على أساس ثلاث عطاءات تمثّل الرصيد الأوفر لسعادة الأمّة في الدَّارين:

الأول: يجعل لكم فرقاناً، والفرقان: كل ما يفرق به بين الحق والباطل، والخير والشر، والنور والظلمة، ومن أجلى مظاهر القرآن الكريم في حياة المسلمين بعد معركة بدر هو: الحدّ الفاصل، ودرجة الوضوح في

---

[1] آل عمران : ١٤ .

الرؤية، وفي الفكر والمنهج، وكيفية التعامل مع مرحلة المجد الإسلامي، بعد مرحلة التوهين والتحقير الوثني الذي سيطر على حياة عرب الجزيرة.

الثاني: ويكفّر عنكم سيئاتكم، وتكفير السيئات هو: سترها في الدنيا، وانعدام آثاره وانعكاساتها السلبية على الواقع الإنساني، وأهمّها إسقاط ما حدث من آثار الافتتان بالأموال، والاستسلام أمام حطام الدنيا الزَّائل، عقب الانتهاء من مقاتلة العدو، مما عكس مظاهر الضعف في النفوس.

الثالث: ويغفر لكم، والمغفرة هي: الصفح عن الذنوب في الآخرة، وعدم المؤاخذة عليها في الحشر كرماً من الله تعالى، وتفضلا منه على الأمّة، وإكراماً للمتقين، الذين يوجّه حياتهم الحضور المطلق لله تعالى في نفوسهم، فيجعل منهم هالة مقدّسة من النور والطهر، والنّزاهة، محرّمة على النار.

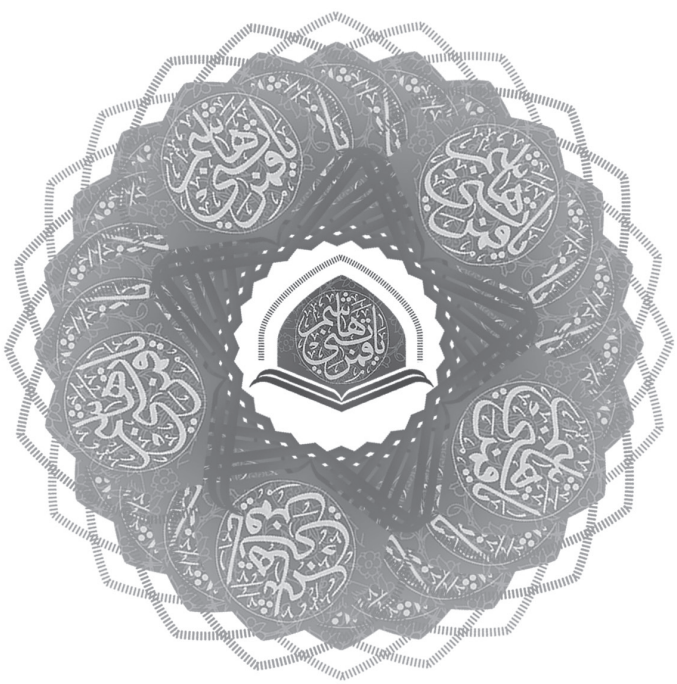

شذرات تربوية من وصية الإمام علي عليه السلام

أ.د. نجم عبد الله غالي الموسوي

" أوصيكُما بِتَقوَى الله، وألّا تَبغِيَا الدُّنيا وإن بَغتَكُما، ولا تَأسَفا عَلى شَيءٍ مِنها زُوِيَ عَنكُما، وقولا بِالحَقِّ، وَاعمَلا لِلأَجرِ، وكونا لِلظّالِمِ خَصما، ولِلمَظلومِ عَونا. أُوصيكُما وجَميعَ وُلدي وأهلي ومَن بَلَغَهُ كِتابي بِتَقوَى الله ونَظمِ أمرِكُم وصَلاحِ ذاتِ بَينِكُم؛ فَإِنّي سَمِعتُ جَدَّكُما صلى الله عليه وآله يَقولُ: صَلاحُ ذاتِ البَينِ أفضَلُ مِن عامَّةِ الصَّلاةِ وَالصِّيامِ.

اللهَ اللهَ فِي الأَيتامِ؛ فَلا تُغبّوا أفواهَهُم، ولا يَضيعوا بِحَضرَتِكُم، وَاللهَ اللهَ في جيرانِكُم؛ فَإِنَّهُم وَصِيَّةُ نَبِيِّكُم، ما زالَ يوصي بِهِم حَتّى ظَنَنّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُم، وَاللهَ اللهَ فِي القُرآنِ، لا يَسبِقُكُم بِالعَمَلِ بِهِ غَيرُكُم، وَاللهَ اللهَ فِي الصَّلاةِ؛ فَإِنَّها عَمودُ دينِكُم، وَاللهَ اللهَ في بَيتِ رَبِّكُم، لا تُخَلّوهُ ما بَقيتُم؛ فَإِنَّهُ إن تُرِكَ لَم تُناظَروا، وَاللهَ اللهَ فِي الجِهادِ بِأَموالِكُم وأنفُسِكُم وألسِنَتِكُم في سَبيلِ الله .

وعَلَيكُم بِالتَّواصُلِ وَالتَّباذُلِ، وإيّاكُم وَالتَّدابُرَ وَالتَّقاطُعَ. لا تَترُكُوا الأَمرَ بِالمَعروفِ وَالنَّهيَ عَنِ المُنكَرِ، فَيُوَلّى عَلَيكُم شِرارُكُم، ثُمَّ تَدعونَ فَلا يُستَجابُ لَكُم. ثُمَّ قالَ: يا بَني عَبدِ المُطَّلِبِ، لا أُلفِيَنَّكُم تَخوضونَ دِماءَ المُسلِمينَ خَوضا، تَقولونَ: قُتِلَ أميرُ المُؤمِنينَ. ألا لا تَقتُلُنَّ بي إلّا قاتِلي. أُنظُروا إذا أنَا مُتُّ مِن ضَربَتِهِ هذِهِ، فَاضرِبوهُ ضَربَةً بِضَربَةٍ، ولا تُمَثِّلوا بِالرَّجُلِ؛ فَإِنّي سَمِعتُ رَسولَ الله صلى الله عليه وآله يَقولُ: إيّاكُم وَالمُثلَةَ ولَو بِالكَلبِ العَقورِ"[1].

جاءت وصية أمير المؤمنين علي عليه السلام في أيامه الأخيرة من عمره الشريف، وهي تحمل بين طياتها العديد من النفحات الإيمانية المباركة والمضامين التربوية السامية، جعلها الإمام علي عليه السلام بمثابة خلاصة ذهبية لعمره الشريف، ومنهج عطائه وتعامله مع الآخرين، أو أنموذج تجربته المباركة في هذه الحياة، قدمها للجميع فهي ليست لأهل بيته عليهم السلام فقط، بل هي خط عمل ونبراس عطاء وفيوضات مباركة أرادها عليه السلام أن تعمّ المسلمين جميعا، والتي إن تمسّك بها أفراد المجتمع صلحوا وصلح المجتمع كافة، والمتتبع للوصية المباركة يجد أنَّها حملت المعطيات والمؤشّرات التربوية الآتية:

[1] نهج البلاغة/ ص٤٢٢.

وجَّه أمير المؤمنين ﷺ بضرورة الالتزام بهذه الوصية والعمل على تطبيقها، وجعلها نبراساً ينير الطريق للخلاص من أعباء الدنيا والنجاة من عذاب الآخرة، فقد ركّز ﷺ على التقوى والالتزام بالإسلام الحنيف دينًا قيمًا للفرد والمجتمع، وعدم التخلي عنه، والاعتصام بحبل الله، والركون إلى مبادئ السماء الخالدة الكفيلة بتربية الإنسان تربية إسلامية حقيقية، وشحنه بطاقة إيجابية تجعل نفسه تسمو وتقترب إلى الحق تعالى.

حثَّ الإمام علي ﷺ على الطاعة الحقيقية لله سبحانه وتعالى وذكره واللهج به في الأوقات كلّها، واستشعار الذات الإلهية في كلِّ لحظة وبناء مبدأ التقوى في نفوس الناس، مع التَّأكيد على إقامة حدود الله تعالى وعدم تجاوزها والاعتداء عليها، والتنبيه على عدم الانقياد وراء الدنيا والانصياع لها، وتجنب الأسف على شيء فات الإنسان منها، فهي سراب زائل، وألزم الآخرين بأهمّيّة العبادة الحقيقية لله تعالى واجتناب ما دون الله وإنصاف الناس وخصوصًا المظلوم، والعمل الجاد على أخذ حقّه ممن ظلمه واعتدى عليه، وشجّع أمير المؤمنين ﷺ على ردع الظالم حتى لا يتمادى في ظلمه واعتدائه على الآخرين.

الالتزام بقول الحق والصدق في مختلف الظروف، وأن لا يلجأ الإنسان إلى غير ذلك يبتغيه سبيلا فالحق هو المنجاة وهو السبيل الوحيد لوصول الإنسان إلى الله تعالى، وأنَّ الإنسان يجب عليه أن يعمل للأجر الأخروي فضلا عن الدنيوي، فالآخرة هي المقر الأساس والرئيس وهي مبتغى المؤمنين الصالحين وتربية المجتمع المسلم على أنَّ الدنيا هي دار مرور لدار أكبر هي دار الخلود.

الاهتمام بالإصلاح ومتابعة حالة الضّغائن التي تحدث بين الناس والعمل على حلّها، وتقريب وجهات النظر بين المتخاصمين، وهذا الأمر من شأنه أن يبعث حالة المحبّة والألفة والتراحم بين أفراد المجتمع، والتخلص من الظغينة والتقاطع التي يمكن أن تهدم أركان المجتمع وتجعله يعيش حالة القطيعة والكراهية ومن ثم سيادة البغضاء والشحناء والحقد والمقت والعدوان.

تركيز أمير المؤمنين ﷺ على نظم الأمر بمعنى أي أنَّ الفرد لا يجعل أموره مبعثرة وغير منتظمة بل عليه أن يرتّب أموره ويعتني بها ويلتزم الدّقة والتخطيط في أعماله ويجد لها حلولاً بعد الاتكال على الله تعالى، ونظم الأمر في حياة المسلمين لا يكون إلا بالرجوع إلى من هم القادة الحقيقيين المنصبين من الله تعالى، وكأنَّه ﷺ أراد أن يلزم الجميع بهذا الأمر من جانب واقتران نظم الأمر بالرجوع إلى أصحابه الحقيقيين، وكان تنظيم الأمور حالة متلازمة مع أولي الأمر الحقيقيين.

أخذ الأيتام ركنا مهمًّا في وصية الإمام علي ﷺ وذلك لما يشكّله هؤلاء الأيتام من شريحة مهمّة داخل المجتمع، واعتقاده أنَّه من الواجب العناية بهم ورعايتهم واحتضانهم لأسباب تربويّة معرفة منها تعويضهم عمّا

فقدوه من الأب أو الأم، أو كليهما من رعاية نفسية وتربوية، وثانيًا تربيتهم وتنشئتهم بصورة صحيحة؛ لكي لا يصبحوا ضحيّة في المجتمع أو تأخذهم التيارات السلبية فتضعف تربيتهم أو ينشئوا تنشئة ليست صحيحة.

احترام الجار والتركيز على بناء علاقات جوار متينة مبنيّة على وفق قيم فاضلة وأسس إسلامية صحيحة، كون المجتمع الآمن هو مجتمع منتج ومتحضّر ومتقدّم، فحسن الجوار كان أهم رؤى أمير المؤمنين علي ﷺ، فكان يحثّ على الالتزام بالأخلاق الإسلامية في التعامل مع الجار، وعدم إلحاق الأذى بهم، والتزام حرمة الجار، وعدم البغي عليه، وعدم ظلمهم والاعتداء عليهم أو إخافتهم، وتشجيع العلاقات الاجتماعية الطيبة، وبث روح التعاون والمحبة بين الآخرين، ولا سيما أنَّ الإمام أخذ لفظة الجار بصورة مطلقة لا تقتصر على الجار المسلم فقط بل بصورة عامة.

أعطى أمير المؤمنين ﷺ أهمية كبيرة للقرآن الكريم بوصفه الدستور السماوي الذي أرسله الله للناس لإنقاذهم وهدايتهم وصلاحهم، فقد ركّز ﷺ على وجوب العمل الفعلي بتعاليم القرآن وعدم التأخّر في العمل بها، لأنَّه السبيل الأمثل للنجاة والخلاص من كلّ مشاكل الدنيا، وأنّه السبيل للفلاح في الآخرة، والمتتبع للوصية المباركة نجده ﷺ يحذّر من التأخّر بالعمل في القرآن وعدم إعطاء فرصة لأن يسبقنا الآخرون للعمل بالقرآن، لأنَّ السابق في العمل بالقرآن هو الذي سيتقدّم ويغلب من تأخّر.

عظم أمير المؤمنين ﷺ ضرورة الاهتمام بالصلاة بوصفها عمود الدين، والعمود يعطي البيت قوّة ودعامة، والعمود هو الذي يسند بقيّة الأوتاد ويشدّها ويسندها، فالصلاة أساس العبادة وركنها الوثيق وهي هوية الإنسان المسلم وبها يتقرب إلى الله تعالى، وللصلاة قابلية ذات فاعلية كبيرة في تحصين الفرد المسلم ووقايته من هفوات الشيطان والوقوع في شرك الذنوب وموبقاتها.

تأكيد أمير المؤمنين ﷺ على التراحم والتزاور والتفاعل الاجتماعي لأنَّها تؤدّي إلى تكوين مجتمع مترابط متماسك والابتعاد عن القطيعة والتدابر؛ لأنَّها تكوّن مجتمعًا ضعيفًا غير متماسك ومتهالك، فضلاً عن أنَّ التزاور في الله تعالى والتحاب فيه يقرّب القلوب والنفوس ويشعر الناس بالقرب من بعضهم والترابط والأخوة.

التزام أمير المؤمنين ﷺ بأهمّيّة بيان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في وصيّته الأخيرة حرصًا منه ﷺ على التزام الناس بهذه الفريضة وعدم تركها فبها يسمو المجتمع ويرتفع وترتقي الأخلاق، لأنَّ ترك هذه الفريضة يجعل الفرد والمجتمع تعيساً بائساً بسبب تفشّي المنكر والظلم وبالتالي تسلّط الأشرار على رقاب الأخيار وضياع الحقوق الفردية والاجتماعية واستضعاف الناس واحتقارهم ونبذهم واستلاب حقوقهم وشيوع الفساد والانحلال والمعاصي وتردي الأخلاق وغياب الأمن فكأنّه ﷺ يرى أنَّ النهي عن المنكر والأمر بالمعروف

وسيلة لإنقاذ المجتمع المسلم من كلِّ المشكلات، فمن مصلحة المجتمع المسلم إدامة هذه الفريضة المباركة على وفق الأسس الإسلامية الصحيحة.

أخذ بيت الله المبارك مكانة متميّزة في وصيّة أمير المؤمنين عليعليه السلام، فقد وجّه بضرورة العناية بهذه البقعة المباركة وعدم خلوّها من روّادها، كونه يربط المسلمين بربّهم عن طريق الشعائر التي وضعتها السماء وبينها الرسول محمدصلى الله عليه وآله، فالحج في نظر الإمام علي عليه السلام هي تكليف الهي يلتزم به الفرد المسلم المطيع لله ولرسوله، وللحج انعكاسات إيجابية في بناء ذات الفرد المسلم وذات المجتمع المسلم وهو أحد المقوّمات الأساسية في صقل وتهذيب النفوس والتطبيق الحقيقي لشعائر الحج يجعل المسلم يحصل على العديد من الفيوضات الإلهية اللامتناهية .

كان للجهاد مكانة بين ثنايا وصيّة أمير المؤمنين علي عليه السلام فقد شجّع عليه السلام على الجهاد بالأموال والأنفس والألسن وعدها من مقومات الجهاد وحسب الاستطاعة، فهناك من يجاهد بأمواله وهناك من يجاهد بنفسه وهناك من يجاهد بلسانه، فكلّ فرد وما يمتلك من طاقة جهاديّة تسمح له أن يشترك بما لديه من إمكانيات متاحة، فالجهاد هو السبيل لتحقيق السّمو والرّفعة وحفظ الإسلام والمسلمين وبناء دولة قوية ومجتمع قوي.

أخذ احترام دماء المسلمين في وصية سيد الموحّدين حيّزًا كبيراً حرصًا منه عليه السلام في حقن الدماء، وإبعاد الاقتتال والتناحر وسفك الدماء بين المسلمين، فنراه يوجّه ذويه بعدم إعطاء دمه الشريف بأكثر من القصاص الواجب أو الحدّ الشرعي الذي أقرّته السماء، ومع عظمة شخصيّته ودمه وعدم وجود شبيه له في عصره وغيره إلّا أنَّه يرى مبدأ المساواة في القصاص وعدم أخذ أكثر من ذلك وعدم تجاوز الحدود الشرعية التي أوجدتها السماء، ويؤكِّد مبدأ العدل والعدالة وعدم قتل غير القاتل، وضربة بضربة وعدم التمثيل به، واحترام قاتله كأسير وإطعامه والعناية به، ولو شاء الله وعاش أمير المؤمنين عليه السلام فبالتأكيد إنّه سيعفي عن قاتله.

أوجب أمير المؤمنين علي عليه السلام بممارسة الرحمة لعدوّه وقاتله، ووجه بعدم الانتقاص منه والاستهزاء به، ونصح ذويه وبني عبد المطّلب بعدم الخوض في دماء المسلمين بسبب دمه الشريف، وأن لا يكون دم علي عليه السلام مدعاة لسفك دماء أخرى.

شهر شوال

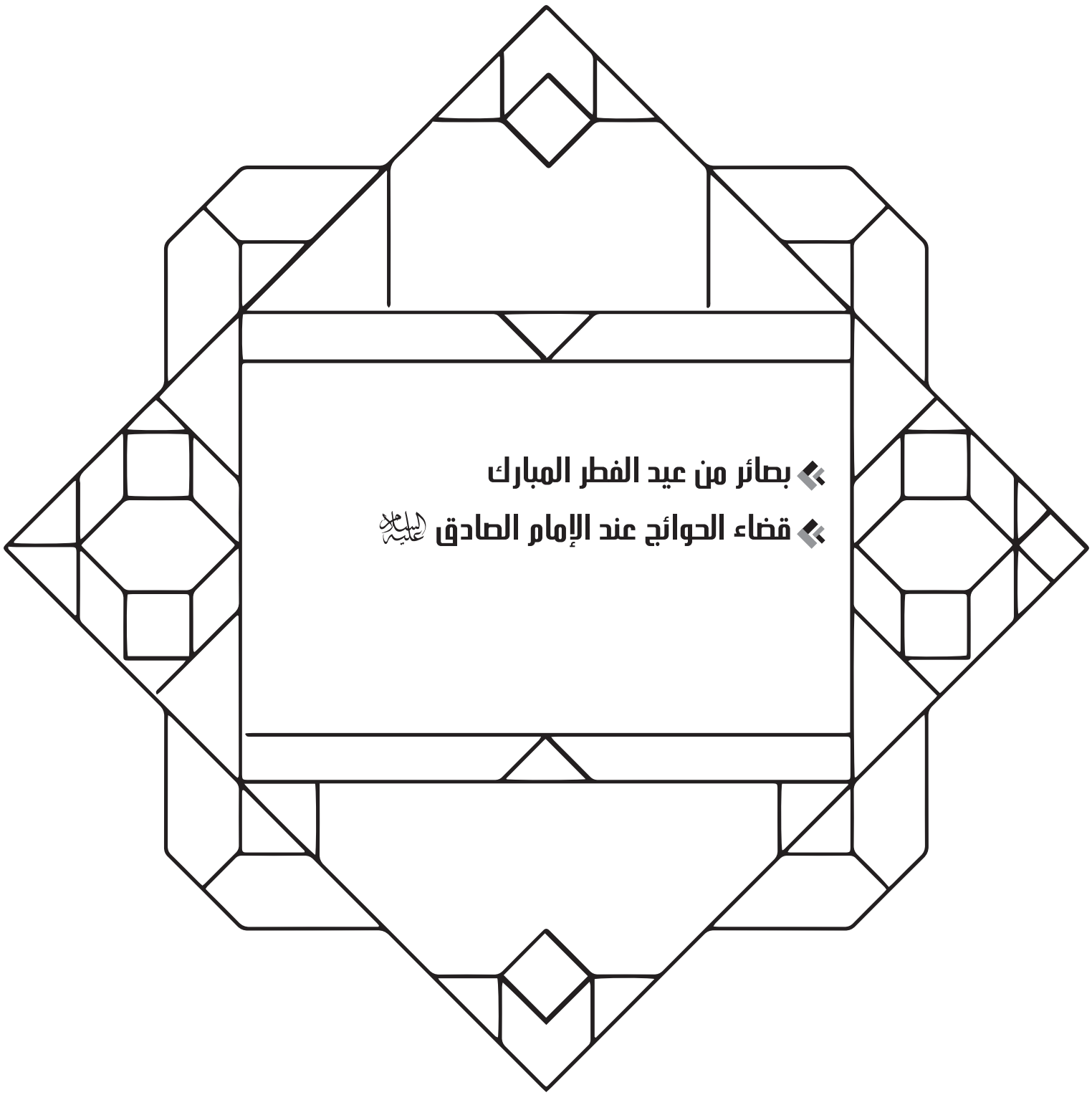
بصائر من عيد الفطر المبارك
قضاء الحوائج عند الإمام الصادق عليه السلام

بصائر من عيد الفطر المبارك

السيد مجتبى الصافي

العيد لغة: مشتق من العود، وهو الرجوع والمعاودة؛ لأنَّه يتكرر. والعيد كلّ يوم يحتفل فيه بذكرى كريمة...[1]، والعيد: كل يوم فيه جمع، واشتقاقه من عاد يعود كأنَّهم عادوا إليه[2].

وخُصَّ في الشريعة بيوم الفطر ويوم النحر، وكما كان ذلك اليوم للسرور في الشريعة صار يُستعمل العيد في كلِّ يوم فيه مسرّة، وعلى ذلك قوله تعالى: **{اللهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً}**[3] والعيد كل حالة تُعاوِدُ الإنسان[4].

أمَّا العيد اصطلاحاً: كلّ يوم أو ليلة دلَّ عليه دليل من الشرع، وجعله عيدًا ورتّب عليه آثارًا، كعيد الفطر وعيد الأضحى.

لقد وردت كلمة العيد في القرآن الكريم في الحوار بين النبي عيسى عليه السلام وأصحابه حول المائدة التي يمنحها الله لهم عندما طلبوا منه أن ينزّل الله عليهم مائدة من السماء وقالوا: **{اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيرُ الرَّازِقِينَ}**[5]، أي أن تكون عيدًا يحتفل به أوّلنا الذين عاشوا الكرامة، ويحتفل به آخرنا الذين يعيشون من بركة هذه الكرامة.

عيد الفطر هو واحد من الأعياد العظيمة في الإسلام والذي ورد فيه العديد من الأحاديث والنصوص، فالمسلمون الصائمون، يطلبون في هذا اليوم مكافأتهم من الله تبارك وتعالى، والثواب الذي وعدهم الله بهما.

عَنِ الإمام الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عليهم السلام قَالَ: خَطَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام لِلنَّاسِ يَوْمَ الْفِطْرِ فَقَالَ: ((أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ يَوْمَكُمْ هَذَا يَوْمٌ يُثَابُ فِيهِ الْمُحْسِنُونَ وَيَخْسرُ فِيهِ الْمُسِيئُونَ، وَهُوَ أَشْبَهُ

---

[1] القاموس المحيط: ٦٣٥.

[2] لسان العرب: ٣/ ٣١٩.

[3] المائدة: ١١٤.

[4] مفردات ألفاظ القرآن: ٥٩٤.

[5] المائدة: ١١٤.

يَوْمٍ بِيَوْمِ قِيَامَتِكُمْ، فَاذْكُرُوا بِخُرُوجِكُمْ مِنْ مَنَازِلِكُمْ إِلَى مُصَلَّاكُمْ خُرُوجَكُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّكُمْ، وَاذْكُرُوا بِوُقُوفِكُمْ فِي مُصَلَّاكُمْ وُقُوفَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّكُمْ، وَاذْكُرُوا بِرُجُوعِكُمْ إِلَى مَنَازِلِكُمْ رُجُوعَكُمْ إِلَى مَنَازِلِكُمْ فِي الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ. واعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ أَنَّ أَدْنَى مَا لِلصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ أَنْ يُنَادِيَهُمْ مَلَكٌ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ أَبْشِرُوا عِبَادَ اللهِ فَقَدْ غُفِرَ لَكُمْ مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِكُمْ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَكُونُونَ فِيمَا تَسْتَأْنِفُونَ؟"[1].

"اعلم أنَّ العيد هو وقت اختاره الله جلّ جلاله من بين الأيّام، لإطلاق الجوائز والإنعام على العباد؛ ليجتمعوا على أخذ الخلع والعطايا، وأذّن بالإذن للحضور بين يديه، والاستكانة لديه، بالاعتراف للعبودية، والاستغفار عن ذنوبهم وعرض حوائجهم، وبسط آمالهم، ووعدهم في ذلك كلّه الإجابة لهم، وإعطائهم فوق آمالهم، بل فوق ما خطر على قلوبهم، وأحبّ لهم في هذا اليوم أن يحسنوا ظنّهم إلى ربّهم، وأن يرجّحوا رجاءهم لقبوله، ومغفرته وعطائه، على الخوف من ردّه وعذابه. والخائب الخاسر في مثل هذا اليوم من غفل عن معنى العيد، واشتغل فيه بالتزيّن للناس، وتصفيق اليد، وترجيل الشعر عن مهامّ أمر الاستعطاف، والاسترحام من حضرة القدس، ورضي للاستئناس بأمثاله من العوامّ كالأنعام، عن الأنس بمجالس الأطهار، من خواص ربّ العالمين، من الأنبياء والمرسلين، والشهداء والصدّيقين بل استبدل دركات السجّين، عن درجات العلّيّين، بل اشترى الخلود على الأرض ومهوى عالم الطبيعة، عن جوار الله ـ جلّ جلاله ـ جبّار السماوات والأرضين، فيا له من خسران ما أعظمه وأقبحه وأفضحه. وكيف كان جعل الله شهر رمضان مضمارًا للسباق بعبادته، وندب عباده يوم العيد ليجتمعوا على أخذ الجوائز والعطايا"[2].

واليوم الأول من شوال يوم أكرمنا الله تعالى به، فنحن نقرأ: **" اللهُمَّ أَهْلَ الكَبْرِياءِ وَالعَظَمَةِ، وَأَهْلَ الجُودِ وَالجَبَرُوتِ، وَأَهْلَ العَفْوِ وَالرَّحْمَةِ، وَأَهْلَ التَّقوى وَالمَغْفِرَةِ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ هذا اليَوْمِ الَّذِي جَعَلْتَهُ لِلْمُسْلِمِينَ عِيْداً، وَلِمُحَمَّدٍ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذُخْراً وَمَزِيداً، أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمّدٍ، وَأَنْ تُدْخِلَنِي فِي كُلِّ خَيْرٍ أَدْخَلْتَ فِيْهِ مُحَمَّداً وَآلَ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تُخْرِجَنِي مِنْ كُلِّ سُوءٍ أَخْرَجْتَ مِنْهُ مُحَمَّداً وَآلَ مُحَمَّدٍ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ ما سَأَلَكَ عِبادُكَ الصَّالِحُونَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِمّا اسْتَعاذَ مِنْهُ عِبادُكَ الصَّالِحُون"**[3].

ومن دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام: **"اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْبُرْ مُصِيبَتَنَا بِشَهْرِنَا، وَ بَارِكْ لَنَا فِي يَوْمِ عِيدِنَا وَفِطْرِنَا، وَاجْعَلْهُ مِنْ خَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْنَا أَجْلَبِهِ لِعَفْوٍ، وَأَمْحَاهُ لِذَنْبٍ، وَاغْفِرْ لَنَا مَا خَفِيَ مِنْ ذُنُوبِنَا وَمَا**

---

[1] الأمالي، للصدوق: ٥٤.

[2] المراقبات: ٢١٠.

[3] مصباح المتهجد وسلاح المتعبد: ٢/ ٦٥٤.

عَلَنَ. اللهُمَّ اسْلَخْنَا بِانْسِلَاخِ هَذَا الشَّهْرِ مِنْ خَطَايَانَا، وَأَخْرِجْنَا بِخُرُوجِهِ مِنْ سَيِّئَاتِنَا، وَاجْعَلْنَا مِنْ أَسْعَدِ أَهْلِهِ بِهِ، وَأَجْزَلِهِمْ قِسْماً فِيهِ، وَأَوْفَرِهِمْ حَظّاً مِنْهُ. اللهُمَّ وَمَنْ رَعَى هَذَا الشَّهْرَ حَقَّ رِعَايَتِهِ، وَحَفِظَ حُرْمَتَهُ حَقَّ حِفْظِهَا، وَقَامَ بِحُدُودِهِ حَقَّ قِيَامِهَا، وَاتَّقَى ذُنُوبَهُ حَقَّ تُقَاتِهَا، أَوْ تَقَرَّبَ إِلَيْكَ بِقُرْبَةٍ أَوْجَبَتْ رِضَاكَ لَهُ، وَ عَطَفَتْ رَحْمَتَكَ عَلَيْهِ، فَهَبْ لَنَا مِثْلَهُ مِنْ وُجْدِكَ، وَ أَعْطِنَا أَضْعَافَهُ مِنْ فَضْلِكَ، فَإِنَّ فَضْلَكَ لَا يَغِيضُ، وَ إِنَّ خَزَائِنَكَ لَا تَنْقُصُ بَلْ تَفِيضُ، وَإِنَّ مَعَادِنَ إِحْسَانِكَ لَا تَفْنَى، وَإِنَّ عَطَاءَكَ لَلْعَطَاءُ الْمُهَنَّا. اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاكْتُبْ لَنَا مِثْلَ أُجُورِ مَنْ صَامَهُ، أَوْ تَعَبَّدَ لَكَ فِيهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. اللهُمَّ إِنَّا نَتُوبُ إِلَيْكَ فِي يَوْمِ فِطْرِنَا الَّذِي جَعَلْتَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ عِيداً وَسُرُوراً، وَلِأَهْلِ مِلَّتِكَ مَجْمَعاً وَمُحْتَشَداً مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ أَذْنَبْنَاهُ، أَوْ سُوءٍ أَسْلَفْنَاهُ، أَوْ خَاطِرِ شَرٍّ أَضْمَرْنَاهُ، تَوْبَةَ مَنْ لَا يَنْطَوِي عَلَى رُجُوعٍ إِلَى ذَنْبٍ، وَلَا يَعُودُ بَعْدَهَا فِي خَطِيئَةٍ، تَوْبَةً نَصُوحاً خَلَصَتْ مِنَ الشَّكِّ وَالِارْتِيَابِ، فَتَقَبَّلْهَا مِنَّا، وَارْضَ عَنَّا، وَثَبِّتْنَا عَلَيْهَا"[1].

إنَّ عيد الفطر المبارك هو يوم النهضة البشرية لاستنشاق رائحة الإيمان الحلو التي تصل إلى قلوب البشر على شكل مزيج من الصبر وضبط النفس، والتقوى، والوقت المناسب لزهو زهور الإيمان في قلب وروح الإنسان الذي صام وطرد الشر من حياته واستبدله بإخلاص وإيمان.

بصائر من عيد الفطر المبارك

البصيرة الأولى: لقد بارك الله في بعض الأيام أكثر من غيرها، وهذه قضية وسنّة حتَّى في الأمم السابقة، فقد قال الله عزَّ وجَلَّ وهو يذكر تحاور السحرة مع فرعون: **{فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى * قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى}**[2] والمقصود من يوم الزينة هو يوم العيد، فيوم العيد هو يوم الاجتماع العام الشامل.

والإسلام يرى أنَّ العيد فرصة للاجتماع بهدف ذكر الله والتّوجه إليه بالدعاء فعَنِ الإمام علي بن موسى الرِّضَا عليه السلام وهو يُبيّن بعض علل يوم الفطر المبارك: **"إِنَّمَا جُعِلَ يَوْمُ الْفِطْرِ الْعِيدَ؛ لِيَكُونَ لِلْمُسْلِمِينَ مُجْتَمَعاً يَجْتَمِعُونَ فِيهِ وَيَبْرُزُونَ لله عَزَّ وَجَلَّ فَيُمَجِّدُونَهُ عَلَى مَا مَنَّ عَلَيْهِمْ فَيَكُونُ يَوْمَ عِيدٍ وَيَوْمَ اجْتِمَاعٍ وَيَوْمَ فِطْرٍ وَيَوْمَ زَكَاةٍ وَيَوْمَ رَغْبَةٍ وَيَوْمَ تَضَرُّعٍ وَلِأَنَّهُ أَوَّلُ يَوْمٍ مِنَ السَّنَةِ يَحِلُّ فِيهِ الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ؛ لِأَنَّ أَوَّلَ شُهُورِ السَّنَةِ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ شَهْرُ رَمَضَانَ فَأَحَبَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ مَجْمَعٌ يَحْمَدُونَهُ فِيهِ وَيُقَدِّسُونَهُ"**[3].

---

[1] الصحيفة السجادية: ٢٠٢.

[2] طه: ٥٨-٥٩.

[3] من لا يحضره الفقيه: ١/ ٥٢٢.

ومما يؤسف له أنَّ الأعياد الإسلامية تحوّلت في مجتمعنا الإسلامي من مناسبات روحانية وعبادية تجمع الناس بعضهم إلى بعض إلى مناسبات تطغى عليها مظاهر الزينة والتفاخر والأكل والشرب، بل وأحياناً إلى مناسبات لفعل المنكرات.

نَظَرَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام إِلَى أُنَاسٍ فِي يَوْمِ فِطْرٍ يَلْعَبُونَ وَيَضْحَكُونَ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ وَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ: " إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ شَهْرَ رَمَضَانَ مِضْمَاراً لِخَلْقِهِ يَسْتَبِقُونَ فِيهِ بِطَاعَتِهِ إِلَى رِضْوَانِهِ، فَسَبَقَ فِيهِ قَوْمٌ فَفَازُوا، وَتَخَلَّفَ آخَرُونَ فَخَابُوا، فَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِنَ الضَّاحِكِ اللَّاعِبِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي يُثَابُ فِيهِ الْمُحْسِنُونَ وَيَخِيبُ فِيهِ الْمُقَصِّرُونَ، وَايْمُ اللهِ لَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ لَشُغِلَ مُحْسِنٌ بِإِحْسَانِهِ وَمُسِيءٌ بِإِسَاءَتِهِ"[1].

البصيرة الثانية: إنَّما يفرح في يوم العيد من غُفر له فيعيش حلاوة المغفرة الإلهية، ويستلم جوائز الرحمن الرحيم.

عَنْ جَمِيلِ بْنِ صَالِحٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: **" إِذَا كَانَ صَبِيحَةُ يَوْمِ الْفِطْرِ نَادَى مُنَادٍ اغْدُوا إِلَى جَوَائِزِكُمْ"**[2].

ولذلك نجد أئمّة أهل البيت عليهم السلام يحيون مناسبة العيد بشكلٍ خاص:

عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عليهما السلام قَالَ: **" كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام يُحْيِي لَيْلَةَ عِيدِ الْفِطْرِ بِصَلَاةٍ حَتَّى يُصْبِحَ وَيَبِيتُ لَيْلَةَ الْفِطْرِ فِي الْمَسْجِدِ وَيَقُولُ يَا بُنَيَّ مَا هِيَ بِدُونِ لَيْلَةٍ يَعْنِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ"**[3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **"مَن أحيا لَيلةَ العِيدِ ولَيلةَ النِّصفِ مِن شَعبانَ، لَم يَمُتْ قَلبُهُ يومَ تَموتُ القُلوبُ"**[4].

البصيرة الثّالثة: من المعاني الإنسانية ذات الأبعاد السّامية في السلوك الإنساني أنَّ الله شرّع زكاة الفطرة بين يدي العيد، وهي حقّ للفقراء في أموال الأغنياء، تؤدّي إليهم قبل يوم العيد أو صبيحة ذلك اليوم قبل صلاة العيد؛ لتكون عوناً للفقير؛ كي يشارك بقيّة أفراد المجتمع في الإحساس بمعنى العيد، فلا يشعر بحرمان الحاجة، وقلّة ذات اليد في ذلك اليوم الذي تغمر البهجة والسرور فيه قلوب الأغنياء، ولا شكّ أنَّ هذه إحدى اللمسات الإنسانية في التشريع الإسلامي تحقّق للمجتمع استقراره وأمنه وأمانه، ويربطه برباط المودّة والتعاطف بين الأغنياء والفقراء حتَّى يتحقّق لهم الإحساس بالانتماء لأسرة واحدة، والشعور المشترك بين الجميع في السّرّاء والضّرّاء.

البصيرة الرّابعة: العيد يجب أن يكون يوم انطلاقة جديدة في حياة المسلم، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في

---

[1] الكافي: ٤/ ١٨١.

[2] م. ن: ٤/ ١٦٨.

[3] إقبال الأعمال: ١/ ٢٧٤.

[4] ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ٧٧.

خطبة من يوم الفطر أنَّه قال: (**واعلَمُوا عِبادَ الله أنّ أدنَى ما للصَّائمِين والصَّائماتِ أن يُنادِيَهم مَلَكٌ في آخِرِ يومٍ من شهرِ رمضانَ أبشِرُوا عِبادَ الله فَقَد غُفِرَ لكم ما سَلَفَ من ذُنُوبِكم، فانظرُوا كيفَ تكُونُون فِيمَا تَستأنِفُون**).

فليكن يوم العيد بداية مرحلة جديدة في حياة كلّ مسلم، مرحلة جديدة في عباداته، وفي سلوكيّاته، وفي أعماله الصالحة، وفي قربه لخالقه عزّ وجلَّ. انطلاقة جديدة للمسلم نحو المداومة على فعل الطاعات، وإتيان الصالحات، والمسابقة في فعل الخيرات.

البصيرة الخامسة: يوم العبادة، فهناك أدعيّة وصلوات مختلفة، فقد روي عنه ﷺ قوله: **" زَيِّنُوا الْعِيدَيْنِ، بِالتَّهْلِيلِ وَالتَّقْدِيسِ، وَالتَّحْمِيدِ، وَالتَّكْبِيرِ"**[1].

البصيرة السادسة: التضامن مع الفقراء والمساكين والمحتاجين، فقد فرض الله تعالى في عيد الفطر زكاة الفطرة، وهي واجبة إجماعاً بين المسلمين، وإعطاء الزكاة من تمام الصوم، فعن زرارة، عن أبي عبدالله عليه السلام أنَّه قال: **" إِنَّ مِنْ تَمَامِ الصَّوْمِ إِعْطَاءُ الزَّكَاةِ يَعْنِي الْفِطْرَةَ كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ لِأَنَّهُ مَنْ صَامَ وَلَمْ يُؤَدِّ الزَّكَاةَ فَلَا صَوْمَ لَهُ إِذَا تَرَكَهَا مُتَعَمِّداً وَلَا صَلَاةَ لَهُ إِذَا تَرَكَ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ بَدَأَ بِهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ قَالَ: {قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى}**[2]"[3].

ومن أهم فوائد دفع زكاة الفطرة هو مساعدة الفقراء والمحتاجين؛ كي يتمكّنوا من تلبيّة متطلبات يوم العيد لأطفالهم ومن يعولون من أفراد أسرتهم.

وبهذه الفريضة الإسلامية (زكاة الفطرة) فإنَّ الإسلام لم ينسَ معاناة المحتاجين في يوم العيد، فهذه الفريضة قادرة على تغطية كلّ متطلّبات الفقراء في يوم العيد وتزيد، وهذا يدلّ على رؤية الإسلام البعيدة في تشريع روح التّكافل الاجتماعي، والحفاظ على التوازن الاجتماعي من الانهيار.

البصيرة السابعة: يوم التزاور والتواصل، وفرصة مميزة لإزالة الجليد في العلاقات بين الناس الذين قد نشب بينهم خلاف أو اختلاف أو سوء فهم أو خصومة... فزيارة واحدة في يوم العيد ستقضي على جبل من الجليد!

البصيرة الثامنة: يوجد ارتباط بين عيد الفطر وبين (العودة إلى الفطرة) لقد تم تسمية الزكاة المستحقة بعد غروب شمس آخر يوم من أيّام شهر رمضان ـ سمّيت بزكاة (الفطرة)، والفطرة هي الدين القيّم كما ذكرها القرآن الكريم، وهي الأخلاق الحسنة التي بُعث الرسول الأعظم ﷺ؛ ليتمّمها، وهذه الفطرة ممزوجة في أصل

---

[1] ميزان الحكمة، محمد الريشهري: ٣/ ٢١٩٨.

[2] الأعلى: ١٤-١٥.

[3] من لا يحضره الفقيه: ٢/ ١٨٣.

خلقة الإنسان أو طينته، وهي بمعنى القابلية والاستعداد والقوّة لتقبّل كلّ خصال الخير، والنفور من كلّ خصال الشر .... وهي فطرة ثابتة في كلّ الناس، خلقهم الله عليها يقول الله تعالى: **{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ}**[1]. والدين القيم هو الإسلام، وهو التوحيد، وهي خلق الله الذي لا تبديل له.

ولعلّ إطلاق تسمية عيد الفطر وزكاة الفطرة راجع؛ لأنَّ الإنسان إذا ما قام بما يجب عليه في شهر رمضان من صوم وقراءة للقرآن وعبادة وذكر وأعمال صالحة، وكذلك الصوم عن بعض المباحات، وصوم الجوارح عن الحرمات، كلّها تُعدّ بمثابة دورة رمضانية يخرج منها الإنسان عائدًا إلى فطرته السليمة التي فطره الله عليها، كيوم ولدته أمّه، بعد أن أزال حجب الشهوات والمعاصي خلال شهر رمضان، وهذه العودة بالنسبة للإنسان هي العيد الحقيقي؛ لأنَّ مفهوم العيد هو من العودة، فلعل هذه العودة إلى الفطرة هي العيد الحقيقي وهي فلسفته.

وخلاصة القول: إنَّ لفلسفة العيد أبعادًا متعددة، أبرزها: البعد الروحي وهو ما يرتبط بالجانب العبادي، والبعد الاقتصادي ويتمثّل بدفع زكاة الفطرة وما تحدثه من حراك اقتصاديّ، والبعد الاجتماعي، ويبرز في التواصل والتزاور بين الناس.

---

[1] الروم: ٣٠.

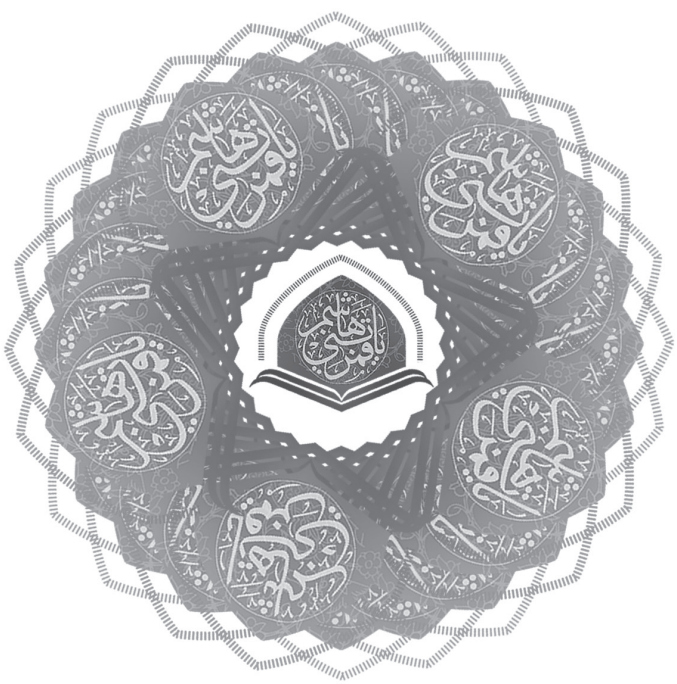

قضاء الحوائج عند الإمام الصادق عليه السلام

السيد علي الموسوي

من نعم الله –تعالى– الكبرى على الإنسان أن يوفّقه للقيام بخدمة أو معروف اتجاه إخوانه، والواقع أنَّ من يطرق بابك محتاجاً إلى مساعدتك فقد ساق الله تعالى رحمة إليك، وينبغي أن تستبشر خيراً وتقابله بوجه ملؤه البسمة والانشراح، فإن قدرت على إجابته وتلبية طلبه كان زيادة في حسناتك وذخيرة ليوم معادك، وإلَّا سعيت في ذلك طالباً رضا الله –سبحانه–.

قَالَ الإمام الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام: **" اعْلَمُوا أَنَّ حَوَائِجَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيْكُمْ فَلَا تَمَلُّوا النِّعَمَ فَتَتَحَوَّلَ إِلَى غَيْرِكُم "**[1]، فعلينا اغتنام هذه الفرصة الثمينة، وتزيين صفحات وجودنا بها، ولنا من الخالق سبحانه خير الجزاء.

لقد وضع الإسلام منهجاً متكاملاً في العلاقات بين البشر، يقوم على أساس مراعاة حقوق أفراد المجتمع، وبثِّ روح التعاون والخدمة المتبادلة بينهم، قال الله تعالى: **{إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}**[2]، فالتقيُّد بهذا الأمر الإلهي يعصم الإنسان عن التقصير في حقوق الناس، ويدفعه للعمل الدؤوب في خدمتهم، وأداء مسؤوليته تجاههم، وقد حثّ النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله كلّ مسلم؛ ليكون مسؤولاً في بيئته الاجتماعية، من خلال الاهتمام بأُمور المسلمين ومشاركتهم في آمالهم وآلامهم، فقال صلى الله عليه وآله: **" مَنْ أَصْبَحَ لَا يَهْتَمُّ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ "**[3].

قضاء حوائج الناس باب عظيم للخير، والسّعي فيه من الأخلاق الإسلامية العالية الرفيعة التي ندب إليها الإسلام وحثّ المسلمين عليها، وجعلها من باب التعاون على البر والتقوى ومن علامات الإيمان، مدعاة لمغفرة الله وباب لإدخال السرور إلى القلوب.

---

[1] أعلام الدين في صفات المؤمنين: ٢٩٨.

[2] النحل: ٩٠.

[3] الكافي: ٢/ ١٦٣.

ولا يقتصر السعي في قضاء حوائج الناس على النفع المادي فقط، ولكنه يمتد ليشمل النفع بالعلم والرأي والنصيحة والمشورة وحاجة الناس لبعضهم أمر لابُدَّ منه، وصنائع المعروف، وعمل الخير لا تتوقف عند حدٍّ أو قول معيّن، ولا في زمان ولا مكان، وهي متعدّدة شاملة من فضل الله سبحانه وتعالى، فهناك الضعيف والمحتاج الذي يحتاج إلى مساعدة، واليتيم الذي يحتاج إلى رحمة، والمريض الذي يحتاج إلى علاج.

ولقد ضرب النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام المثل والأنموذج الأعلى في الحرص على البر والإحسان، وفي سعيه لقضاء حوائج الناس وبخاصّة للضعفاء ووضع ذلك على رأس أولويّات التعاون، وجعله باباً عظيما للخير.

وفي هذا الصدد يقول الإمام الصادق عليه السلام: **" مَنْ مَشَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ أَظَلَّهُ اللهُ بِخَمْسَةٍ وَسَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ وَلَمْ يَرْفَعْ قَدَماً إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ حَسَنَةً وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً وَيَرْفَعُ لَهُ بِهَا دَرَجَةً فَإِذَا فَرَغَ مِنْ حَاجَتِهِ كَتَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِهَا أَجْرَ حَاجٍّ وَمُعْتَمِرٍ "**[1]. وعنه عليه السلام: **"وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَمْشِي فِي حَاجَةِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ فَيُوَكِّلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ مَلَكَيْنِ وَاحِدٌ عَنْ يَمِينِهِ وَآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ يَسْتَغْفِرَانِ لَهُ رَبَّهُ يَدْعُوَانِ لَهُ بِقَضَاءِ حَاجَتِهِ"**[2].

ومن أجل أن يتأصّل مبدأ التكافل في وجدان وواقع الناس اتّبع الإسلام منهج «الترغيب والترهيب» لأجل دفع الأفراد نحو الاتحاد والتعاون والتكافل. فمن جهة الترغيب نجد أحاديث أهل البيت عليهم السلام: تُسهب في إيراد الشواهد على الثواب الجزيل الذي ينتظر كلّ من قضى حوائج إخوانه وتبشّره بالأمن يوم الحساب، فعن الإمام الصادق عليه السلام: **"مَنْ سَعَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ طَلَبَ وَجْهِ الله كَتَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ"**[3]. وعن الإمام الصادق عليه السلام: **" وَمَنْ قَضَى لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ حَاجَةً قَضَى اللهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِائَةَ أَلْفِ حَاجَةٍ مِنْ ذَلِكَ أَوَّلُهُ الْجَنَّةُ"**[4].

فوائد قضاء الحوائج

من يطالع النصوص الشريفة، سيجد كثيرًا من المعطيات الإيجابية يجد ثمراتها الإنسان المؤمن في الدنيا قبل الآخرة كزيادة الرزق، والتّقرّب إلى الله تعالى، ويوجب رضا مولانا الإمام صاحب العصر والزمان (عجّل الله تعالى فرجه الشريف) عنه، ويحبّبه عند الإمام ويقرّبه إليه، كما أنَّه يوجب دفع الأخطار الكبيرة والكثيرة عن الإنسان، رُوِيَ عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: **" إِنَّ لله عَزَّ وَجَلَّ عِبَاداً مِنْ خَلْقِهِ يَفْزَعُ الْعِبَادُ**

---

[1] الكافي: ٢/ ١٩٧.

[2] وسائل الشيعة: ١٦/ ٣٥٩.

[3] الكافي: ٢/ ١٩٧.

[4] مصادقة الإخوان: ٥٢.

إِلَيْهِمْ فِي حَوَائِجِهِمْ أُولَئِكَ هُمُ الْآمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[1]، وأيضاً يستفاد من الروايات الشريفة أنَّه في ليالي القدر مثلاً يقدّر للإنسان ويُقطع عليه بأنّه سيموت بعد عشرة أيام، ولكن بسبب خدمة قدّمها لمحتاج أو قضاء حاجة عملها لطالب حاجة، فإنَّه يتغيّر تقديره إلى الأحسن ويدفع عنه البلاء.

ومن الغايات المهمّة لقضاء حوائج المؤمنين في مدرسة أهل البيت عليهم السلام: الحرص على الثواب الجزيل الذي ينتظر المؤمن في الآخرة عند قضائه حوائج إخوانه، وإليك عزيزي القارئ بعض الفوائد من روايات الإمام الصادق عليه السلام:

أولاً: إدخال السرور على الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

قال الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: **"وَاللهِ لَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله أَسَرُّ بِقَضَاءِ حَاجَةِ الْمُؤْمِنِ إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ مِنْ صَاحِبِ الْحَاجَةِ"**[2].

رُوِيَ عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أَنَّهُ قال: **" أَيُّمَا مُؤْمِنٍ أَوْصَلَ إِلَى أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ مَعْرُوفاً فَقَدْ أَوْصَلَ ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله "**[3].

إنَّ إدخال السرور على الناس قيمة عالية من قيم هذا الدين العظيم، وقد رتب عليه الشارع الحكيم أعظم الجزاء وأوفره، فكيف إذا كان ذلك الشخص هو سيّد البشرية منذ أن خلقها الله تعالى .

ثانياً: أفضل من العبادات المستحبّة

قال الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: **"مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ أُسْبُوعاً كَتَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ سِتَّةَ آلَافِ حَسَنَةٍ وَ مَحَا عَنْهُ سِتَّةَ آلَافِ سَيِّئَةٍ وَ رَفَعَ لَهُ سِتَّةَ آلَافِ دَرَجَةٍ"**[4]، ثم زاد إسحاق بن عمار فقال: **(وَقَضَى لَهُ سِتَّةَ آلَافِ حَاجَةٍ قَالَ ثُمَّ قَالَ وَقَضَاءُ حَاجَةِ الْمُؤْمِنِ أَفْضَلُ مِنْ طَوَافٍ وَطَوَافٍ حَتَّى عَدَّ عَشْراً"**[5].

إنَّ كفاية الفقراء والمحتاجين وعلاج المرضى وسدّ ديون الغارمين وغيرها من وجوه تفريج كرب الناس وسد حاجاتهم، وأكثر ثوابًا من الطواف، وأقرب قبولًا عند الله تعالى، وهذا هو الذي دلّت عليه نصوص الكتاب وروايات المعصومين عليهم السلام .

---

[1] -الدعوات، للراوندي: ١٠٧.

[2] الكافي: ٢/ ١٩٥.

[3] م. ن: ٤/ ٢٧.

[4] م. ن: ٢/ ١٩٤.

[5] م. ن: ٢/ ١٩٤.

ثالثاً: الثواب الجزيل

قال الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: **" مَا قَضَى مُسْلِمٌ لِمُسْلِمٍ حَاجَةً إِلَّا نَادَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيَّ ثَوَابُكَ، وَلَا أَرْضَى لَكَ بِدُونِ الْجَنَّةِ "**[1].

قال أبو عبد الله عليه السلام: **" مَنْ مَشَى لِامْرِئٍ مُسْلِمٍ فِي حَاجَتِهِ فَنَصَحَهُ فِيهَا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَسَنَةً وَمَحَا عَنْهُ سَيِّئَةً قُضِيَتِ الْحَاجَةُ أَوْ لَمْ تُقْضَ فَإِنْ لَمْ يَنْصَحْهُ فَقَدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ وكَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله خَصْمَهُ "**[2].

عَنْ ذَرِيحٍ الْمُحَارِبِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام يَقُولُ: **" أَيُّمَا مُؤْمِنٍ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً وَهُوَ مُعْسِرٌ يَسَّرَ اللهُ لَهُ حَوَائِجَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ "**[3].

قال الإمام الصادق عليه السلام: **" احْرِصُوا عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِ الْمُؤْمِنِينَ وَ إِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَيْهِمْ وَ دَفْعِ الْكُرُوهِ عَنْهُمْ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْأَعْمَالِ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدَ الْإِيمَانِ أَفْضَلُ مِنْ إِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ "**[4].

إنَّ محبّة الله للعبد شيء عظيم، فإنَّ الله إذا أحبّ عبدًا أحبّه أهل السماء والأرض، وإنَّ الله إذا أحبّ عبداً لا يعذّبه، وقضاء الحوائج باب عظيم لنيل محبّة الباري عز وجل .

قال الإمام جعفر بن مُحمّد الصادق عليه السلام: **" قَضَاءُ حَاجَةِ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عِتْقِ أَلْفِ رَقَبَةٍ وَخَيْرٌ مِنْ حُمْلَانِ أَلْفِ فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللهِ "**[5].

قال الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: **" لَقَضَاءُ حَاجَةِ امْرِئٍ مُؤْمِنٍ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ عِشْرِينَ حَجَّةً كُلُّ حَجَّةٍ يُنْفِقُ فِيهَا صَاحِبُهَا مِائَةَ أَلْفٍ "**[6].

وعنه أيضًا عليه السلام: **" مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ الْمُسْلِمِ، كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ مَا كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ "**[7].

وعنه أيضا عليه السلام: **" إِنَّ للهِ(عَزَّ وَجَلَّ) وُجُوهاً خَلَقَهُمْ مِنْ خَلْقِهِ وَأَرْضِهِ لِقَضَاءِ حَوَائِجِ إِخْوَانِهِمْ، يَرَوْنَ الْحَمْدَ مَجْداً، وَاللهُ(عَزَّ وَجَلَّ) يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ، وَكَانَ فِيمَا خَاطَبَ اللهُ(تَعَالَى) بِهِ نَبِيَّهُ عليه السلام، أَنْ قَالَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ {إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}**[8]. **قَالَ: السَّخَاءُ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ "**[9].

---

[1] قرب الإسناد: ٣٩.

[2] المؤمن: ٤٦.

[3] الكافي: ٢/ ٢٠٠.

[4] بحار الأنوار: ٧١/ ٣١٣.

[5] الكافي: ٢/ ١٩٣.

[6] م. ن: ٢/ ١٩٣.

[7] الأمالي، للطوسي: ٩٧.

[8] القلم: ٤.

[9] الأمالي، للطوسي: ٣٠٢.

رابعاً: أن يكون شفيعًا للآخرين

عَنِ الْمُفَضَّلِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ ﷺ، قَالَ: **" قَالَ لِي: « يَا مُفَضَّلُ اسْمَعْ مَا أَقُولُ لَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ الْحَقُّ، وَافْعَلْهُ، وَأَخْبِرْ بِهِ عِلْيَةَ إِخْوَانِكَ»**.

قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، وَمَا عِلْيَةُ إِخْوَانِي؟

قَالَ: « الرَّاغِبُونَ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِ إِخْوَانِهِمْ».

قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «وَمَنْ قَضَى لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ حَاجَةً قَضَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِائَةَ أَلْفِ حَاجَةٍ، مِنْ ذَلِكَ أَوَّلُهَا الْجَنَّةُ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنْ يُدْخِلَ قَرَابَتَهُ وَمَعَارِفَهُ وَإِخْوَانَهُ الْجَنَّةَ، بَعْدَ أَنْ لَا يَكُونُوا نُصَّاباً وَكَانَ الْمُفَضَّلُ إِذَا سَأَلَ الْحَاجَةَ أَخاً مِنْ إِخْوَانِهِ، قَالَ لَهُ : أَ مَا تَشْتَهِي أَنْ تَكُونَ مِنْ عِلْيَةِ الْإِخْوَانِ؟»[1].

وعنه أيضا ﷺ: **« أحسن يا إسحاق إلى أوليائي ما استطعت. فما أحسن مؤمنٌ إلى مؤمنٍ ولا أعانه إلّا خمش وجه إبليس وقرّح قلبه»**[2] .

وعنه ايضا ﷺ: **« إنّ الرجل ليسألني الحاجة فأُبادر بقضائها مخافة أن يستغني عنها فلا يجد لها موقعاً إذا جاءته»** [3].

قَالَ الإمام الصادق ﷺ: **« أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ عِنْدَ اللهِ إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِ، وَأَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَهُوَ سَاجِدٌ بَاكٍ»**[4].

قَالَ الإمام جعفر بن محمد الصَّادِقُ ﷺ: **«مَنْ ذَهَبَ فِي حَاجَةٍ عَلَى غَيْرِ وُضُوءٍ فَلَمْ تُقْضَ حَاجَتُهُ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»** [5] .

وقال الإمام جعفر بن محمد الصادق ﷺ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ جُنْدَبٍ: **" يَا ابْنَ جُنْدَبٍ، الْمَاشِي فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَالسَّاعِي بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَقَاضِي حَاجَتِهِ كَالْمُتَشَحِّطِ بِدَمِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ يَوْمَ بَدْرٍ وَأُحُدٍ، وَمَا عَذَّبَ اللهُ أُمَّةً إِلَّا عِنْدَ اسْتِهَانَتِهِمْ بِحُقُوقِ فُقَرَاءِ إِخْوَانِهِمْ"**[6].

وعَنْ سَيْفِ بْنِ عَمِيرَةَ، قَالَ: **" حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ أَبَا عَبْدِ اللهِ ﷺ يَقُولُ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ أَحَبُّ النَّاسِ**

---

[1] الكافي: ٢/ ١٩٢-١٩٣.

[2] المصدر نفسه / ٢ / ٢٠٧.

[3] بحار الأنوار / ٧١ / ٢٨٦.

[4] كامل الزيارات: ١٤٦، للشيخ جعفر بن محمد ابن قولويه القمي، المتوفي ببغداد سنة ٣٦٩ هجرية و المدفون فيها، طبعة دار المرتضوية، الطعبة الأولى، النجف الأشرف / العراق.

[5] من لا يحضره الفقيه : ٣ / ١٥٧ ، للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن حسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق ، المولود سنة : ٣٠٥ هجرية بقم، و المتوفى سنة : ٣٨١ هجرية ، طبعة انتشارات إسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، الطبعة الثالثة ، سنة : ١٤١٣ هجرية ، قم / إيران .

[6] تحف العقول: ٣٠٣.

إِلَى الله ؟

قَالَ: أَنْفَعُ النَّاسِ لِلنَّاسِ"[1] .

رُوِيَ عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنهُ قَالَ: **" مِنْ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى الله عَزَّ وَ جَلَّ إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِ، إِشْبَاعُ جَوْعَتِهِ، أَوْ تَنْفِيسُ كُرْبَتِهِ، أَوْ قَضَاءُ دَيْنِهِ"** [2].

رُوِيَ عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنهُ قَالَ: **" مَا قَضَى مُسْلِمٌ لِمُسْلِمٍ حَاجَةً إِلَّا نَادَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيَّ ثَوَابُكَ، وَلَا أَرْضَى لَكَ بِدُونِ الْجَنَّةِ"**[3]

عَنْ سَيْفِ بْنِ عَمِيرَةَ، قَالَ حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام يَقُولُ:

عَنِ الْمُفَضَّلِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام، قَالَ فِي حَدِيثٍ: **"... وَمَنْ قَضَى لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ حَاجَةً قَضَى اللهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِائَةَ أَلْفِ حَاجَةٍ، مِنْ ذَلِكَ أَوَّلُهَا الْجَنَّةُ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنْ يُدْخِلَ قَرَابَتَهُ وَمَعَارِفَهُ وَإِخْوَانَهُ الْجَنَّةَ، بَعْدَ أَنْ لَا يَكُونُوا نُصَّاباً"**[4].

فيما جاء عن مولانا الصادق عليه السلام: **"مَنْ قَضَى لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ حَاجَةً كَانَ كَمَنْ خَدَمَ اللهَ عُمُرَهُ"**[5].

يكشف لنا هذا الحديث الشريف عن عمق وحقيقة الخدمة الإنسانية مبيّناً بأنها خدمة إلهية طالما المراد بها وجه الله تعالى ونيل رضاه، وإلَّا لو كانت للتباهي وكسب مودة أصحاب النفوذ ورياء يراد بها وجه الناس فليس هناك شك في عدم وصفها خدمة لله -تعالى- وإنَّما خدمة للناس بغية نيل مكانة لديهم أو الحصول على منصب من مناصب الدنيا الفانية.

خامسًا: يُبشِّر المؤمن يوم القيامة:

عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: **" إِذَا بَعَثَ اللهُ الْمُؤْمِنَ مِنْ قَبْرِهِ خَرَجَ مَعَهُ مِثَالٌ يَقْدُمُهُ أَمَامَهُ، فَكُلَّمَا رَأَى الْمُؤْمِنُ هَوْلًا مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَالَ لَهُ الْمِثَالُ: لَا تَجْزَعْ وَلَا تَحْزَنْ وَأَبْشِرْ بِالسُّرُورِ وَالْكَرَامَةِ مِنَ الله (عَزَّ وَجَلَّ)، قَالَ: فَمَا يَزَالُ يُبَشِّرُهُ بِالسُّرُورِ وَالْكَرَامَةِ مِنَ الله (سُبْحَانَهُ) حَتَّى يَقِفَ بَيْنَ يَدَيِ الله (عَزَّ وَجَلَّ)- وَيُحَاسِبُهُ حِسَاباً يَسِيراً، وَيَأْمُرُ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمِثَالُ أَمَامَهُ، فَيَقُولُ لَهُ الْمُؤْمِنُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، نِعْمَ الْخَارِجُ مَعِي مِنْ قَبْرِي، مَا زِلْتَ تُبَشِّرُنِي بِالسُّرُورِ وَالْكَرَامَةِ مِنَ الله (عَزَّ وَجَلَّ) حَتَّى كَانَ ذَلِكَ، فَمَنْ أَنْتَ فَيَقُولُ لَهُ الْمِثَالُ: أَنَا السُّرُورُ الَّذِي أَدْخَلْتَهُ**

---

[1] الكافي: ٢/ ١٦٤.

[2] م. ن: ٢/ ١٩٢.

[3] م. ن: ٢/ ١٩٤.

[4] م. ن: ٢/ ١٩٣.

[5] أعلام الدين في صفات المؤمنين: ١٤٨.

عَلَى أَخِيكَ فِي الدُّنْيَا خَلَقَنِيَ اللهُ مِنْهُ لِأُبَشِّرَكَ"[1].

سادسًا: حسن الخاتمة

كتب الصادق عليه السلام إلى بعض الناس: **" إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يُخْتَمَ بِخَيْرٍ عَمَلُكَ حَتَّى تُقْبَضَ وَأَنْتَ فِي أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ فَعَظِّمْ لله حَقَّهُ أَنْ لَا تَبْذُلَ نَعْمَاءَهُ فِي مَعَاصِيهِ وَأَنْ تَغْتَرَّ بِحِلْمِهِ عَنْكَ وَأَكْرِمْ كُلَّ مَنْ وَجَدْتَهُ يَذْكُرُ مِنَّا أَوْ يَنْتَحِلُ مَوَدَّتَنَا ثُمَّ لَيْسَ عَلَيْكَ صَادِقاً كَانَ أَوْ كَاذِباً إِنَّمَا لَكَ نِيَّتُكَ وَعَلَيْهِ كَذِبُهُ"**[2].

خطورة عدم قضاء الحوائج

وفي مقابل ذلك نجد التحذير الكثير لكلِّ من يقصّر في حقّ إخوانه، ولهذا التحذير والإنذار آثار عملية تتمثّل في المحافظة على الجدار الاجتماعي من أي تصدّع، وفي الحدّ من التحولات الاجتماعية التي تخل بقواعد العيش المشترك، وكشاهد على ذلك يقول الإمام الصادق عليه السلام: **"من صار إلى أخيه المؤمن في حاجته فحجبه، لم يزل في لعنة الله إلى أن حضرته الوفاة"**[3].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: **" أيّما رجل مسلم أتاه رجل مسلم في حاجة، وهو يقدر على قضائها فمنعه إيّاها، عيّره الله يوم القيامة تعييراً شديدًا، وقال له: أتاك أخوك في حاجة قد جعلت قضاؤها في يدك فمنعته إيّاها زهداً منك في ثوابها، وعزّتي لا أنظر إليك اليوم في حاجةٍ معذّباً كنت أو مغفوراً لك"**[4].

وعنه عليه السلام: **" ما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلَّا خذله الله في الدنيا والآخرة"**[5].

شواهد

قضاء حوائج الناس والحج

عن المشمعل الأسدي، قال: **"خرجت ذات سنة حاجّاً فانصرفت إلى أبي عبد الله الصّادق، جعفر بن محمد عليه السلام، فقال عليه السلام: من أين بك يا مشمعل؟**

قلت: جعلت فداك كنت حاجّاً.

فقال عليه السلام: أوَ تدري ما للحاجّ من الثّواب؟

فقلت: ما أدري حتى تعلّمني.

فقال عليه السلام: إنّ العبد إذا طاف بهذا البيت أسبوعاً وصلّى ركعتيه، وسعى بين الصفا والمروة، كتب الله له ستة

---

[1] الكافي: ٢/ ١٩٠. الأمالي، للطوسي: ١٩٦.

[2] عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ٤.

[3] الإختصاص: ٣١.

[4] الأمالي، للطوسي: ٩٩.

[5] الأمالي، للصدوق: ٤٨٦.

آلاف حسنة، وحطّ عنه ستّة آلاف سيئة، ورفع له ستة آلاف درجة، وقضى له ستّة آلاف حاجة للدنيا كذا، وادّخر له للآخرة كذا.

فقلت له: جعلت فداك إنّ هذا لكثير

فقال عليه السلام: **أفلا أُخبرك بما هو أكثر من ذلك؟**

قلت: بلى.

قال عليه السلام: **لقضاء حاجة امرئ مؤمن أفضل من حجَّة وحجَّة وحجَّة، حتى عدّ عشر حجج"**[1].

لا تُفوِّت فرصة خدمة الناس

عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: **" أوحى الله عزّ وجلّ إلى داوود: إنّ العبد من عبادي ليأتيني بالحسنة فأبيحه جنّتي. فقال داوود: يا ربّ وما تلك الحسنة؟ قال: يُدخل على عبدي المؤمن سروراً، ولو بتمرة. فقال داوود** عليه السلام: **حقٌّ لمن عرفك ألا يقطع رجاءه منك"**[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: **"إنّ الله تعالى خلق خلقاً من خلقه، انتجبهم لقضاء حوائج فقراء شيعتنا، ليثيبهم على ذلك الجنّة. فإنْ استطعت أن تكون منهم فكن"**[3].

إنَّ قضاء حوائج الإخوان وخاصّة تلك التي لا بد منها لاستمرار العيش الكريم يرفعها الإمام إلى درجة العبادة العملية التي تستلزم الثواب الأخروي الجزيل. وكان الإمام الصادق عليه السلام يحثّ على صون كرامة المؤمن وعدم إراقة ماء وجهه بعدم تكليفه الطلب عند حاجته؛ لذلك يدعو إلى المبادرة بقضاء حوائجه بمجرد الشعور بحاجته إلى المساعدة وهذه توصية حضارية في غاية الأهمية، وقد نسج الإمام الصادق عليه السلام على هذا المنوال بأقوال عديدة تعكس حالة التضامن والتكافل التي ترغب في إشاعتها بين أفراد المجتمع أنَّها من أهم العبادات في الشريعة المقدسة.

لقد جعل الإسلام قضاء حوائج الناس صفة أساسية من صفات المجتمع المسلم، وحثّ عليها، حيث يقول الله تعالى: **{وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}**[4]

إنَّ حالة الزّهد في قضاء حوائج المؤمنين في زمننا المعاصر حالة مرضيّة شائعة في المجتمعات، وذلك نتيجة عدّة عوامل متعدّدة منها العوامل النفسية والاجتماعية والاقتصادية وأهمّها: الانغماس في حبّ الدنيا، وتكالب

---

[1] الأمالي، للصدوق: ٤٩٣.

[2] الكافي: ٢/ ١٨٩.

[3] م. ن: ٢/ ١٩٣.

[4] المائدة: ٢.

الناس على الماديات، وضنك المعيشة، والخوف من المستقبل، والتفكير في دائرة المصالح الشخصية والذاتية، وتفشّي حالة الغش والكذب، وحصر باب الحاجة في الناحية المادية، والمصالح الدنيوية التي تجمع أغلب بني البشر، وعدم الإلمام بمستوى العطاء الإلهي في قضاء حوائج المؤمنين.

لكن مدرسة الإمام الصادق ﷺ نظرت لقضاء حوائج المؤمنين كحالة حضارية لابُدّ من إفشائها في المجتمعات الإيمانية؛ لأنَّها حالة تضمن استمرار العيش الكريم للمؤمنين في مجتمعاتهم، وتنقلهم إلى درجة العبادة العملية لا العبادة القشرية التي ليس لها تأثير في سلوكهم وتعاملهم مع غيرهم، بالإضافة إلى الثواب الجزيل الذي ينتظرهم في الآخرة.

ولعلّ من أهم غايات قضاء حوائج المؤمنين في مدرسة الإمام الصادق ﷺ هي صون كرامة المؤمن، والحفاظ على إراقة ماء وجهه، وعدم تكليفه طلب حاجته من غيره، لذلك كانت أولى التوجيهات التي دعا لها أئمة أهل البيت ﷺ في هذا المضمار هي: المبادرة بقضاء حوائجهم بمجرد الشعور بحاجة إخوانهم للمساعدة، لذلك أراد الإمام الصادق ﷺ من شيعته أن يرتقوا إلى المستوى الإيماني الرفيع المقترن بالعبادة السلوكية، والمحافظة عليها بالمعاملة الحسنة من أجل بناء محيط اجتماعي سليم، كون الإيمان الكامل لا يتحقّق على نحو مثالي إلَّا بالتكافل والتآزر الاجتماعي بين المؤمنين.

لذلك نجد المؤمنين الساعين في قضاء حوائج إخوانهم هم المجددون للأمل في الحياة، والمحافظون على ماء وجوه إخوانهم، والنابتون لسنابل الخير، والمساندون لأهله، وإن كانوا قلة بين الملايين، لذا ينبغي التعاون بين المؤمنين لتأسيس ثقافة تربوية تُمكِّن المؤمن من الاستعانة بأخيه المؤمن، إذ لا مانع من أن يطلب المؤمن العون والحاجة من أخيه.

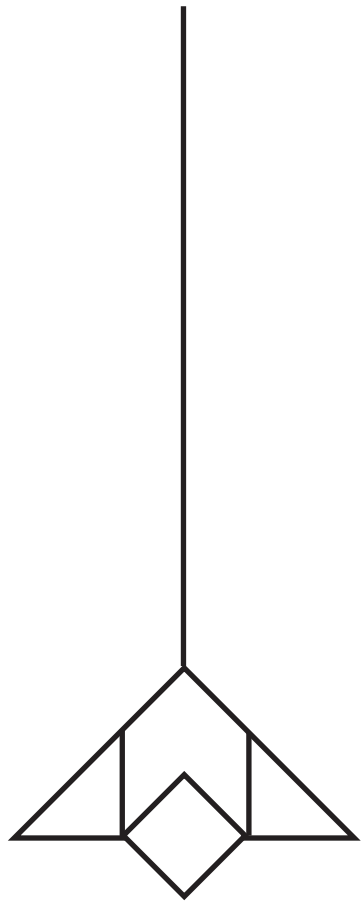

شهر ذي القعدة

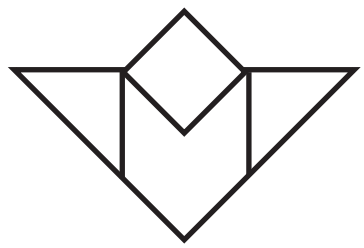

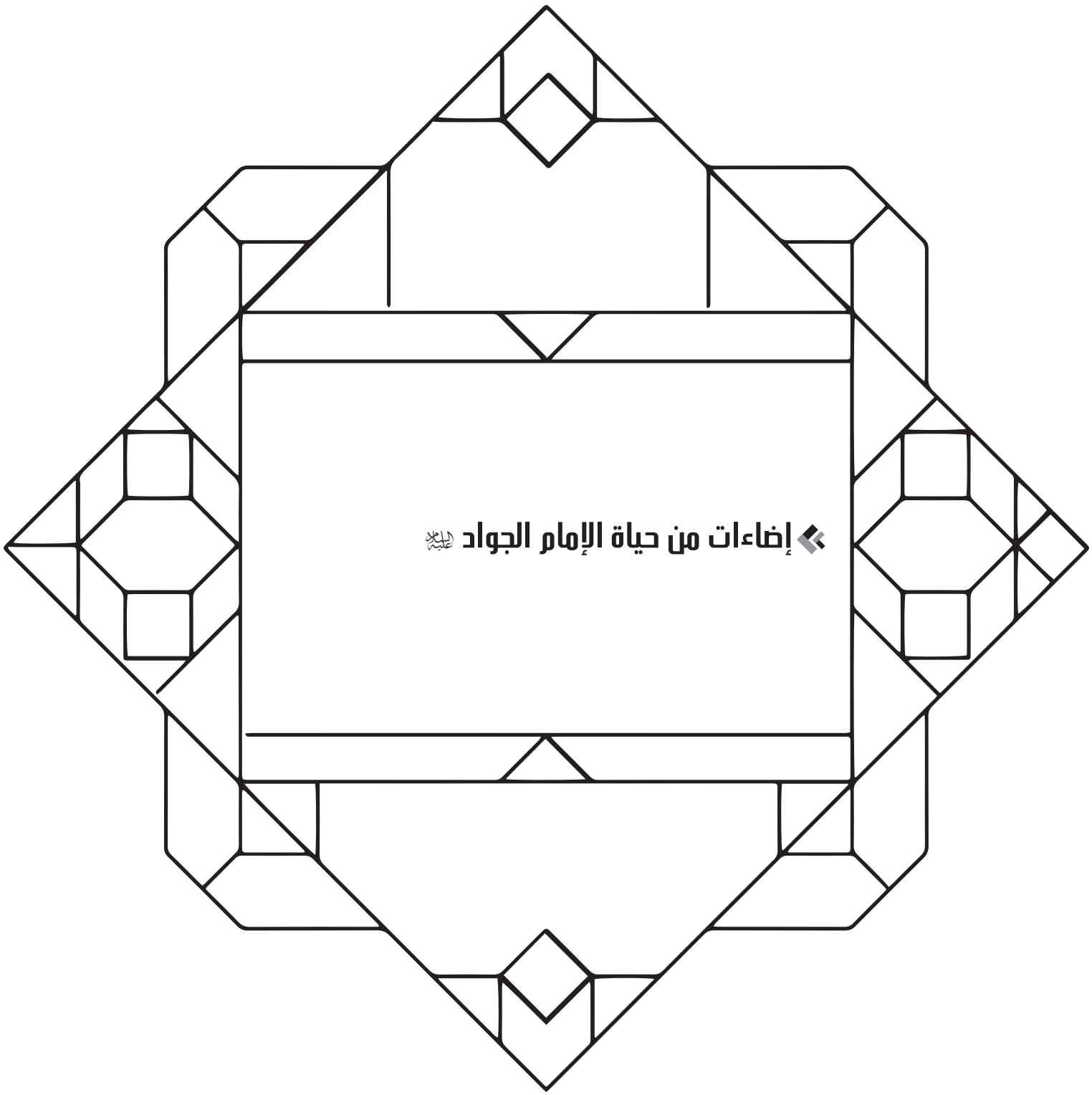
إضاءات من حياة الإمام الجواد عليه السلام

إضاءات من حياة الإمام الجواد عليه السلام

السيد عصام الخرسان

هو الإمام محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وهو تاسع الأئمة عليهم السلام.

ولد سنة ١٩٥هـ/ ٨١٠م في المدينة المنورة، أمّه من آل ماريه القبطية زوجة الرسول صلى الله عليه وآله، وقيل اسمها ريحانة، وقيل درّة، وسمّاها الرضا عليه السلام خيزران، وكانت تتمتع بفضائل أخلاقية سامية، وكانت أفضل نساء عصرها، حتى قال الإمام الرضا عليه السلام عنها: **" قُدِّسَتْ أُمٌّ وَلَدَتْهُ قَدْ خُلِقَتْ طَاهِرَةً مُطَهَّرَةً"**[١].

وللإمام الجواد عليه السلام ألقاب عدّة منها: الزكي، القانع، الرضي، المنتجب، وأشهرها التقي والجواد، وكنيته عليه السلام أبو جعفر، ويذكرونه في الروايات بأبي جعفر الثاني تميزاً له عليه السلام عن أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام[٢].

اشتهر الإمام الجواد عليه السلام بجوده وسخائه فلقّب بالجواد، أمّا علمه فقد « أوتي العلم والحكمة صبيًّا، وسبق علماء عصره ومتكلّميهم وشهدوا له بالفضل والتقدّم والعلوّ وتأدّبوا في مجلسه ولم يبلغ التاسعة من العمر»[٣].

تقلّد الإمام الجواد عليه السلام مسؤولية قيادة وتوجيه الفكر الإمامي وهو في سنّ الثامنة من عمره بعد أن أوصى إليه والده الإمام الرضا عليه السلام قبل وفاته بقوله: **" هَذَا أَبُو جَعْفَرٍ قَدْ أَجْلَسْتُهُ مَجْلِسِي وَصَيَّرْتُهُ مَكَانِي وَقَالَ إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ يَتَوَارَثُ أَصَاغِرُنَا عَنْ أَكَابِرِنَا الْقُذَّةَ[٤] بِالْقُذَّةِ"**[٥].

جسّدت حياة الإمام الجواد عليه السلام صفحة مشرقة من صفحات تاريخ أهل البيت عليهم السلام وامتداد لسيرة آبائه عليهم السلام، وعرف عن الإمام الجواد عليه السلام تفقّده لأمور الناس، ومشاركتهم في مواجهة ما يعتريهم من نوائب الدهر، وكان حريصاً على مدّ يد العون إلى كلّ من يحتاجها وأخباره كثيرة في إنفاقه أمواله الخاصة في مساعدة الفقراء وسدّ

---

[١] عيون المعجزات: ١١٩.

[٢] م. ن: ١١٨.

[٣] دلائل الإمامة: ٢٣.

[٤] القُذَّةُ بالضم والتشديد: ريش السهم، والجمع قُذَذٌ، ضرب مثلا للشيئين يستويان ولا يتفاوتان. مجمع البحرين: ٣/ ١٨٦.

[٥] الكافي: ١/ ٣٢٠.

حوائجهم[1].

إمامته عليه السلام

إنّ الإمامة المبكّرة بلغت ذروتها في الإمام الجواد عليه السلام؛ لأنّها كانت بالنسبة إلى عدد من آباء الجواد عليه السلام تشكّل مدلولاً حسّيًّا عمليًّا عاشه المسلمون، ووعوه في تجربتهم مع الإمام بشكلٍ وآخر، ولا يمكن أن نُطالب بإثباتٍ لظاهرة من الظواهر أوضح وأقوى من تجربة أُمّة.

تميّز الإمام الجواد عليه السلام بتولّي زمام الإمامة الإلهيّة وهو لم يتجاوز الثامنة من عمره الشريف، ولعلَّ هذا ما دعا الحاكم العباسي المأمون إلى تنظيم مناظرات بهدف بيان إمكانيّة ظهور ضعف علمي عند الإمام الجواد عليه السلام، وبالتالي سقوط أطروحة إمامة أهل البيت عليهم السلام التي طالما أرّقته وأقلقته.

في عصر إمامة الإمام التاسع وكان الإمام مسؤولاً عن هذا المنصب السماوي خلال طفولته، وقد طُرِحت العديد من الأسئلة، وتقديم الإجابات المناسبة. لهذا السبب، حيث حُلَّت المشكلة تقريبًا خلال فترة الإمام جواد عليه السلام، لم تَعد هذه الأسئلة تتكرر عن الإمام الهادي عليه السلام في سنّ الثامنة، والإمام صاحب زمان عليه السلام الذي وصل إلى الإمامة في سن الخامسة.

وقد أجاب علماؤنا الأبرار بمثل ما ورد في هذه الروايات من أدلّة وحجج، فعن الشيخ المفيد -رحمه الله - أنَّه قال: " على أنَّ ما اشتبه عليهم من جهة سِنّ أبي جعفر عليه السلام فإنَّه بيِّن الفساد، وذلك أنّ كمال العقل لا يستنكر لحجج الله تعالى مع صغر السنّ، قال الله سبحانه: **{قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا}**[2] فخبَّر عن المسيح عليه السلام بالكلام في المهد، وقال في قصّة يحيى عليه السلام: **{وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا}**[3] وقد أجمع جمهور الشيعة مع سائر من خالفهم على أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله دعا عليًّا عليه السلام وهو صغير السنّ ولم يدع الصبيان غيره، وباهَل بالحسن والحسين عليهما السلام وهما طفلان، ولم يُرَ مباهِلٌ قبله ولا بعده باهَل بالأطفال، وإذا كان الأمر على ما ذكر من تخصيص الله تعالى حجَجه على ما شرح، بطَل ما تعلّق به هؤلاء القوم"[4].

رَوَى الكُلَيْنِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى قَالَ: قُلْتُ لِلرِّضَا عليه السلام: **"قَدْ كُنَّا نَسْأَلُكَ قَبْلَ أَنْ يَهَبَ اللهُ لَكَ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام فَكُنْتَ تَقُولُ: يَهَبُ اللهُ لِي غُلَامًا. فَقَدْ وَهَبَهُ اللهُ لَكَ فَأَقَرَّ عُيُونَنَا فَلَا أَرَانَا اللهُ يَوْمَكَ، فَإِنْ كَانَ كَوْنٌ فَإِلَى مَنْ؟ فَأَشَارَ بِيَدِه إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام وهُوَ قَائِمٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ هَذَا ابْنُ**

---

[1] الصغير، محمد حسين، بيروت: مؤسسة البلاغ، د.ت: ٢٥.

[2] مريم: ٢٩-٣٠.

[3] مريم: ١٢.

[4] الفصول المختارة: ٣١٥.

ثَلَاثِ سِنِينَ؟ فَقَالَ: ومَا يَضُرُّهُ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ قَامَ عِيسَى ﷺ بِالْحُجَّةِ وهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ سِنِينَ"[1].

وعن علي بن أسباط[2]، قال: **"رَأَيْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ﷺ قَدْ خَرَجَ عَلَيَّ فَأَحْدَدْتُ النَّظَرَ إِلَيْهِ وَإِلَى رَأْسِهِ وَإِلَى رِجْلِهِ لِأَصِفَ قَامَتَهُ لِأَصْحَابِنَا بِمِصْرَ فَخَرَّ سَاجِداً فَقَالَ إِنَّ اللهَ احْتَجَّ فِي الْإِمَامَةِ بِمِثْلِ مَا احْتَجَّ فِي النُّبُوَّةِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا} وَقَالَ اللهُ {حَتَّى إِذا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً}[3] فَقَدْ يُجَوزُ أَنْ يُؤْتَى الْحِكْمَةَ وَهُوَ صَبِيٌّ وَيَجُوزُ أَنْ يُؤْتَى وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً"**[4].

معارف خالدة

أهل البيت ﷺ كانوا يستفيدون من الفرص المتاحة؛ لترويج العلوم ونشر المعارف التي تنفع الناس في دنياهم وآخرتهم، وهكذا كان الإمام الجواد ﷺ .

فعن زرقان صاحب ابن أبي داود وصديقه بشدة قال: "رجع ابن أبي داود ذات يوم من عند المعتصم وهو مغتم، فقلت له في ذلك. فقال: وددت اليوم أنّي قد متّ منذ عشرين سنة قال: قلت له: ولِمَ ذاك؟!

قال: لما كان من هذا الأسود أبي جعفر محمد بن علي بن موسى ﷺ اليوم بين يدي الأمير. قال: قلت له: وكيف كان ذلك؟!

قال: إنّ سارقًا أقرّ على نفسه بالسرقة وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحد عليه. فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه وقد أحضر محمد بن علي، فسألنا عن القطع في أيّ موضع يجب أن يقطع؟

قال: فقلت: من الكرسوع [5] . قال: وما الحجة في ذلك؟. قال: قلت: لأنَّ اليد هي الأصابع والكف إلى الكرسوع؛ لقول الله في التيمم: **{فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ}**[6] واتفق معي على ذلك قوم.

وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق. قال: وما الدليل على ذلك؟

قال: لأنَّ الله لما قال: **{وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ}**[7] في الغسل، دلّ ذلك على أنّ حد اليد هو المرفق.

---

[1] الكافي: ١/ ٣٢١.

[2] علي بن أسباط بن سالم بياع الزطي أبو الحسن كوفي. قال الكشي: إنه كان فطحيا، ولعلي بن مهزيار إليه رسالة في النقض عليه مقدار جزء صغير، قالوا فلم ينجع ذلك ومات على مذهبه. وقال النجاشي: إنه كان فطحيا جرى بينه وبين علي بن مهزيار رسائل في ذلك فرجعوا فيها إلى أبي جعفر الثاني ﷺ فرجع علي بن أسباط عن ذلك القول. وقد روى عن الرضاﷺمن قبل ذلك وكان ثقة أوثق الناس وأصدقهم لهجة، فأنا أعتمد على روايته. رجال العلامة الحلي: ٩٩.

[3] الأحقاف: ١٥.

[4] بصائر الدرجات في فضائل آل محمد(صلى الله عليهم): ١/ ٢٣٨.

[5] الكُرْسُوعُ: حرف الزَّنْدِ الذي يلي الخِنْصِر، لسان العرب: ٨/ ٣٠٩.

[6] النساء: ٤٣.

[7] المائدة: ٦.

قال: فالتفت إلى محمد بن علي عليه السلام فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟

فقال: قد تكلّم القوم فيه يا أمير.

قال: دعني ممّا تكلّموا به، أي شيء عندك؟

قال: أعفني عن هذا يا أمير.

قال: أقسمت عليك بالله لما أخبرت بما عندك فيه.

فقال: « أما إذا أقسمت عليَّ بالله إنِّي أقول: إنَّهم أخطئوا السّنّة، فإنَّ القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع فيترك الكف.

قال: وما الحجة في ذلك؟

قال: « قول رسول الله صلى الله عليه وآله: السجود على سبعة أعضاء: الوجه واليدين والركبتين والرجلين، فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبقَ له يد يسجد عليها. وقال الله تبارك وتعالى: **{وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لله}**[1] يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها، **{فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا}**[2] وما كان لله فلا يقطع. قال: فأعجب المعتصم ذلك، وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف"[3].

أنَّه أجاب عن ثلاثين ألف مسألة في مجلس[4] واحد بأبلغ جواب وأشمل المعاني، الأمر الذي جعل الإجابة قصيرة بكلمة أو كلمتين، وحقّق الإعجاز في الأسئلة الطويلة منها.

لقد كان يرى الإمام الجواد أنَّ العلم والمعرفة أهم عوامل النصر وتحقيق الكمال، وتحقيق التطلعات المشروعة والمواقف الدنيوية.

إنَّ المحادثات والمناظرات والمناقشات والإجابات على أدقّ المسائل والشبهات في ذلك العصر لهو دليل صريح على إمامته عليه السلام، وأنَّه يمثّل الشريعة الغرّاء.

---

[1] الجن: ١٨.

[2] الجن: ١٨.

[3] تفسير العياشي: ١/ ٣١٩-٣٢٠.

[4] يمكن توجيهه بعدة وجوه أهمها: إن المقصود بالجلسة مجلس الاستفادة ولعله امتد أياماً وأسابيع وعبر عنها بمجلس واحد لأجل أنها عقدت لإثبات عظمة الإمام رغم صغر سنه وعجز غيره عن مجاراته ومناظرته رغم كثرتهم وكبر سنهم فهو مجلس واحد لأجل وحدة الغرض.
إن المقصود بالتعبير الوارد في الرواية والعدد المذكور الجزئيات والفروع التي استفيدت من القواعد التي أسست من قبل الإمام، وهذا مثل ما يظهر من قوله سبحانه: {لا رَطْبٍ وَلا يابِسٍ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ}، [الانعام:٥٩] بناء على أن المقصود بالكتاب هو القرآن، فكما يمكن أن يحتوي القرآن على كل ما اشير اليه رغم محدوديته من حيث الألفاظ، كذلك يمكن أن يحتوي كلام الإمام على أسس وقواعد ليستخرج منها حكم فروع كثيرة. وأيضاً قال الله سبحانه: {ثُمَّ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ تَماماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ}، [الأنعام:١٥٤] ومعلوم أن توراة موسى كان كتاباً محدود الكلمات ومع ذلك احتوى تفصيلاً لكل شيء، وقال في موضع آخر: {وَكَتَبْنا لَهُ فِي الْأَلْواحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ}، [الاعراف:١٤٥]، وأشار سبحانه وتعالى إلى احتواء القرآن بقوله: {وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصِيلاً}، [الإسراء:١٢]. والى هذا المعنى يشير معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام: (علمني رسول الله ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب). وقد قال بعض: انه استنبط من قول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله (لا ضرر ولا ضرار أكثر من ألف حكم). هذا بعض ما يسع له المجال والسلام عليكم.

لذلك اجتمعت الشيعة وأجروا لقاءات مع الإمام الجواد عليه السلام وطرحوا عليه أسئلة لاختباره والتّأكّد من أنّه يتمتّع بعلم الإمامة فكانوا يطمئنون ويهدأ بالهم عندما يتلقّون الإجابات الحاسمة والمقنعة[1].

وعندما قرب موسم الحج اجتمع من فقهاء بغداد والأمصار وعلمائهم ثمانون رجلاً وقصدوا الحج والمدينة ليشاهدوا أبو جعفر الثاني، وقال إسحاق بن إسماعيل[2] الذي كان يرافق تلك الجماعة في هذه السنة، قال إسحاق: "فأعددت له في رقعة عشر مسائل وكان لي حمل، فقلت: إن أجابني عن مسائلي سألته أن يدعو الله أن يجعله ذكرا، فلما سأله الناس قمت والرقعة معي لأسأله. فلما نظر إليّ قال: يا أبا اسحاق سمّه أحمد فولد لي ذكر فسمّيته أحمد"[3].

زواج الإمام الجواد عليه السلام من ابنة المأمون

بعد استشهاد الإمام الرضا عليه السلام بالسم على يد المأمون بسرّيّة تامّة، حاول أن يُغطّي على جريمتهِ فراح يتظاهر بالحزن والجزع عليه ولكن على الرغم من كل هذا التستر انكشفت جريمته للعلويين وثار غضبهم على المأمون ولاحظ المأمون أنَّ حكمه مهدّد وللوقاية من النتائج السيئة، بدأ يُدبّر مؤامرة أخرى وهي تظاهره بالحب للإمام الجواد عليه السلام[4].

وقرّر أن يزوّجه من ابنتهِ ليحصل على النتيجة نفسها التي حصل عليها من فرض الولاية على الإمام الرضا عليه السلام، فأحضر الإمام الجواد عليه السلام من المدينة سنة ٢٠٤هـ / ٨١٩م وزوّجه ابنته (أم الفضل)[5].

وكان لهذا الزواج الذي أصرّ عليه المأمون دوافع سياسية وهي كالآتي:

وضع الإمام تحت سيطرته ومراقبتهِ؛ ليعرف الصغيرة والكبيرة من أفعاله، وقد أدّت ابنته مهمّتها في إعداد التقارير لأبيها جيّداً.

أراد المأمون من هذا الزواج أن يربط الإمام ببلاطه الذي يسوده المجون ويجرّه إلى اللهو واللعب وبذلك يشوّه قداسة الإمام وتسقط مكانته وعصمته في عيون الناس.

وضع حدٍّ لثورات العلويين وانزعاجهم منه، والتظاهر بميولهِ إليهم.

---

[1] أثبات الوصية: ٢١٠.

[2] أَبُو يَعْقُوب الْكَاتب، إِسْحَاق بن إِسْمَاعِيل بن عَليّ بن نوبخت أَبُو يَعْقُوب ابْن أبي سهل الْكَاتب من بَيت مَشْهُور بالْفَضْل وَالْكِتَابَة والتقدم قَتله القاهر بالله سنة اثْنَتَيْن وَعشْرين وَثلاثمائة ومَولده سنة سبع وَمِائَتَيْن. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خَليل بن أيبك بن عبد الله الصَفدي(ت: ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م: ٨/ ٢٦٣.

[3] اثبات الوصية: ٢٢٢-٢٢٣.

[4] عبد الزهراء، محمد عثمان، الامام محمد بن علي الجواد عليه السلام مكانته الدينية وظروفه السياسية، بيروت: دار الهادي، ٢٠٠٤م: ٧٩.

[5] اثبات الوصية: ٢٢٣. الفصول المهمة في معرفة الائمة: ٢/ ١٠٤١.

خداع عامّة الناس كما يقول: أحببت أن أكون جداً لامرئٍ ولده رسول الله وعلي بن أبي طالب، لكن هذه الخدعة لم تستمر لحسن الحظ حيث لم تلد ابنته وكان أولاد الإمام جميعهم من امرأة أخرى.

وإضافة إلى هذه الأسباب فقد كانت هناك أهداف ومآرب أخرى سعى المأمون لتحقيقها، فقد أراد -بتفكيره الفاشل- أن يشوّه صورة الإمام في أعين الناس ويسقط من قدره اجتماعيًّا، لكي تنظر الناس إليه على أنه رجل دنيا بزواجه من ابنة الخليفة، كما حاول من خلال إصراره على زواج الإمام من ابنته أن يحدّ من تحرّكات الإمام ويقطع الصلة بينه وبين شيعته ويضعه في نطاق سيطرته.

مدرسة الإمام الجواد عليه السلام العلميّة

ساهم الإمام الجواد عليه السلام طيل فترة إمامتهِ في إغناء مدرسة أهل البيت عليهم السلام العلمية وحفظ تراثها، وامتازت بالاعتماد على النّص والرواية عن الرسول صلى الله عليه وآله وعلى الفهم والاستنباط من الكتاب والسنة فضلاً عن اهتمامها بالعلوم والمعارف العقلية، واعتمد الإمام الجواد عليه السلام في منهجهِ العلمي أساليب منها:

التدريس وتعليم التلاميذ والعلماء، وحثّهم على الكتابة والتدوين، وحفظ ما يصدر عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، وأمرهم بالتأليف والتصنيف، وقد بلغ عدد الرواة مائة وعشرة ومن أبرزهم: علي بن مهزيار[1]، زكريا بن آدم[2]، الحسين بن سعيد الأهوازي[3]، وكان كلّ واحد منهم علمًا بذاته في المجالات العلمية والفقهية، وكان بعضهم صاحب تأليف، ولم يكن رواة الإمام الجواد عليه السلام من الشيعة فقط وإنَّما كان هناك من السنّة منهم الخطيب البغدادي الذي روى عن الإمام الجواد عليه السلام أحاديث بسنده الخاص به هو[4].

تعيين الوكلاء ونشرهم في مختلف أنحاء العالم الإسلامي؛ ليكونوا دعاة إلى الإسلام وتبليغ أحكامه، وكان للإمام الجواد عليه السلام مراسلات مع وكلائه الذين انتشروا في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي وحملوا إليها الإسلام وفقه آل محمد صلى الله عليه وآله، وقد بعث بهم إلى كثير من المدن مثل الأهواز، همدان، سيستان، الري، البصرة، واسط، بغداد، الكوفة، قم، وكان الإمام يسمح لأتباعه أن ينفذوا في الجهاز الحاكم ويتقلّدوا المناصب الحسّاسة، مثلاً كان نوح بن دراج[5] قاضياً لبغداد بعض الوقت وبعدها قاضياً للكوفة، وأصبح البعض الآخر من الشيعة، مثل

---

[1] بالزاي قبل الياء المنقطة تحتها نقطتين والراء أخيرا الأهوازي أبو الحسن دورقي الأصل مولى كان أبوه نصرانيا فأسلم. وقد قيل إن عليا أيضا أسلم وهو صغير ومن الله عليه بمعرفة هذا الأمر، تفقه وروى عن الرضا عليه السلام وأبي جعفر عليه السلام فاختص بأبي جعفر الثاني عليه السلام وتوكل له وعظم محله وكذلك أبو الحسن الثالث عليه السلام وتوكل في بعض النواحي وخرجت إلى الشيعة فيه توقيعات بكل خير، وكان ثقة في روايته لا يطعن عليه، صحيح الاعتقاد. قال حمدويه بن نصير: لما مات عبد الله بن جندب، قام علي بن مهزيار مقامه. رجال العلامة الحلي: ٩٢-٩٣.

[2] زكريا بن آدم بن عبد الله بن سعد الأشعري ثقة جليل القدر وكان له وجه عند الرضا عليه السلام، م. ن: ٧٥.

[3] الحسن بن سعيد بن حماد بن مهران مولى علي بن الحسين عليه السلام، أبو محمد الأهوازي. رجال النجاشي: ٨.

[4] أعيان الشيعة، العاملي، السيد محسن الأمين(ت: ١٣٧٢هـ)، ، تحقيق: حسن الأمين، بيروت: دار التعارف، ١٩٩٨م: ٢/ ٣٥.

[5] هو نوح بن دراج النخعي، القاضي بالجانب الشرقي من بغداد، كوفي، فقيه، تفقه على يد ابي حنيفة، توفيه سنة١٨٢هـ/ ٧٩٨م. الوافي بالوفيات: ٢٧/ ١٠٩.

الحسين بن عبد الله النيشابوري[1] حاكمًا لبسُت[2] وسيستان وتولى الحكم بن علي الأسدي[3] حكم البحرين[4]، وكانا يدفعان الخمس إلى الإمام الجواد عليه السلام مما يعني ارتباطهم السّرّي بالإمام التاسع[5].

المناظرة والحوار والسبب الرئيس في حدوثها هو أنَّ إمامته لم تثبت لكثير من الشيعة بسبب حداثة سنّه، وكانوا يطلبون عقد هذه المجالس ليطلعوا على ما يحمّل الإمام عليه السلام من علم إلهي ومن أجل الاختبار والاطمئنان هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كان نفوذ المعتزلة قد ازداد في تلك الآونة وازدهر وكان الجهاز الحاكم يدعمها.

وكان الإمام الجواد عليه السلام في هذه المناظرات يدحض كلّ شبهة تُثار حول إمامته بالحجج الدّافعة، وكان يدافع عن الإسلام ورد الإلحاد وأصحاب الديانات المنحرفة والأفكار الضّالّة[6].

ولهذا لم يسبب هذا الأمر مشكلة في عهد الإمام الهادي عليه السلام الذي تولّى هو الآخر الإمامة وهو صغير أيضاً، إذ قد اتضح للجميع بأن لا تأثير لحداثة السنّ في الوصول إلى هذا المنصب الإلهي.

أراد الله سبحانه وتعالى أن يدرك الناس أنَّ وضع الإمامة والإمام هو استمرار لخطّ النبوة، يمكن أن يخرج عن النطاق العام الذي اعتاده الناس في ظل الظروف العادية والطبيعية، فالإمام سواء كان طفلاً أو رجلاً فإنَّه يمتلك طاقات وقابليات فوق مستوى البشر الطبيعي.

يذكر أهل البيت عليهم السلام إمامنا الجواد عليه السلام بالمولود الأعظم بركة، وقد شاعت هذه التَّسمية في أوساط الأسرة العلويّة المباركة، يقول أبو يحيى الصنعاني: **"كُنْتُ عِنْدَ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام فَجِيءَ بِابْنِهِ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام وَهُوَ صَغِيرٌ فَقَالَ هَذَا الْمَوْلُودُ الَّذِي لَمْ يُولَدْ مَوْلُودٌ أَعْظَمُ عَلَى شِيعَتِنَا بَرَكَةً مِنْهُ"**[7].

وعن ابن أسباط وعبّاد بن اسماعيل قالا: **"دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام وَهُوَ بِمَكَّةَ وَهُوَ يُقَشِّرُ مَوْزاً وَيُطْعِمُهُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام فَقُلْتُ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ هَذَا الْمَوْلُودُ الْمُبَارَكُ قَالَ نَعَمْ يَا يَحْيَى هَذَا الْمَوْلُودُ الَّذِي لَمْ يُولَدْ فِي الْإِسْلَامِ مِثْلُهُ مَوْلُودٌ أَعْظَمُ بَرَكَةً عَلَى شِيعَتِنَا مِنْهُ"**[8].

---

[1] رياض الأبرار في مناقب الأئمة الأطهار: ٢/ ١١٥.

[2] بُست: بالضم مدينه بين سجستان وغزنيين وهرات، وأظنها من اعمال كابل، وهي من البلاد الحارة المزاج، وهي كبيره ويقال لناحيتها كرم سير وهي كثيرة الأنهار والبساتين. معجم البلدان: ١/ ٤١٤.

[3] لم اعثر له على ترجمه.

[4] وهي جزيرة طولها خمسة عشر فرسخاً، وهي مدينة كبيرة بها نخل كثير ويستخرجون من البحر اللؤلؤ. ناصر خسرو، أبو العين القيادناتي المروزني، (ت:٤٨١هـ/ ١٠٨٨م)، سفر نامة، ترجمة: يحيى الخشاب، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م): ١٦١.

[5] الخرائج والجرائح: ١/ ٣٤٤.

[6] دلائل الإمامة: ٢٠٤.

[7] الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ٢/ ٢٧٩.

[8] الكافي: ٦/ ٣٦١.

إنَّ هذه الصفة التي أعطيت للإمام الجواد عليه السلام لا تعني أنَّه تميّز عن باقي الأئمة عليهم السلام لأنَّهم كلّهم بركة وخير وسعادة للإنسانية وللإسلام، ولكن تأكيدها للإمام الجواد عليه السلام جاء لما مرّت به فترة الإمام الرضا والجواد عليهما السلام من شبهات عقائدية، وابتلاءات مُني بها هذين الإمامين، فقد كانت فرقة الواقفة نشطة في وقتهم، وهي الفرقة التي أنكرت إمامة الرضا عليه السلام، فاستغلّت هذه الفرقة عدم إنجاب الرضا عليه السلام لمولود وقد وصل عمره الأربع وأربعين سنة ولم يرزق بمولود، لتثبت صحّة معتقدها، فالروايات عن النبي صلى الله عليه وآله تقول: إنَّ الأئمة من ولد الحسين عليه السلام، وها هو الإمام الرضا عليه السلام تعدّى به العمر وليس له عقب، وقد أشاعوا هذه الفكرة، وساعدت أجهزة الحكم المعادية لخط الإمامة لدعم هذا التّوجه، ومما يدلّ على ذلك هو اعتراض حسين بن قياما الواسطي –وهو من رؤساء الواقفيّة– على الإمام الرضا عليه السلام وكتب للإمام رسالة قائلاً فيها: **" كَيْفَ تَكُونُ إِمَاماً وَلَيْسَ لَكَ وَلَدٌ فَأَجَابَهُ أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام شِبْهَ الْمُغْضَبِ وَمَا عَلَّمَكَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَاللهِ لَا تَمْضِي الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى يَرْزُقَنِيَ اللهُ وَلَداً ذَكَراً يَفْرُقُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ "**[1] وبالفعل رزق الإمام الرضا بابنه الجواد عليه السلام، وبذلك دحضت حجّة الواقفة.

كذلك وصل الحد ببعض أبناء عمومة الرضا عليه السلام، لإنكار انتساب الجواد عليه السلام لأبيه الرضا عليه السلام، بسبب سمرة بشرة إمامنا الجواد عليه السلام، وكان لهذا التشكيك أثر بالغ في قلب الإمام الرضا وألمًا، لذا احتج العمومة بالاحتكام الى القيافة –وهم الذين يقايسون المولود ويلحقوه بأبيه– في حادثة مفصلة ذكرتها كتب السيرة، انتهت نهاية بفوز الإمام الرضا وابنه عليهما السلام وبطلان حجة المدّعين.

على الرغم من العقبات والمشاكل التي اعترضت طريق الإمام الجواد عليه السلام، ومحاولات خصمائه في السلطة العباسية الغاشمة تغييبه عن الساحة الدينية والاجتماعية والسياسية؛ استطاع أن يُمهّد الأرضية الفكرية لقبول فكرة قيادة الأمة من قِبل إمام غائبٍ عن الأنظار، وحاضرٍ في النفوس والوجدان، ويكون ملاذاً للمؤمنين يرجعون إليه في أمور دينهم ودنياهم، هذا فضلاً عن ترسيخ مبدأ الإمامة المبكرة التي بدأت من مرحلة توليه منصب الإمامة، وجعلَها أمراً بديهياً تقرّه كثير من النصوص القرآنية الشريفة. نعم فقد كانت حركة الإمام عليه السلام بهذا الاتجاه من خلال جملة من الوصايا والإرشادات التي أُثرت عنه كان طابعها العام هو البُشرى بالإمام المهدي عجل الله فرجه، وطبيعة التدبير والتمهيد الإلهي لإنجاح مشروعه الإصلاحي في الأمة.

---

[1] الكافي: ١/ ٣٢٠.

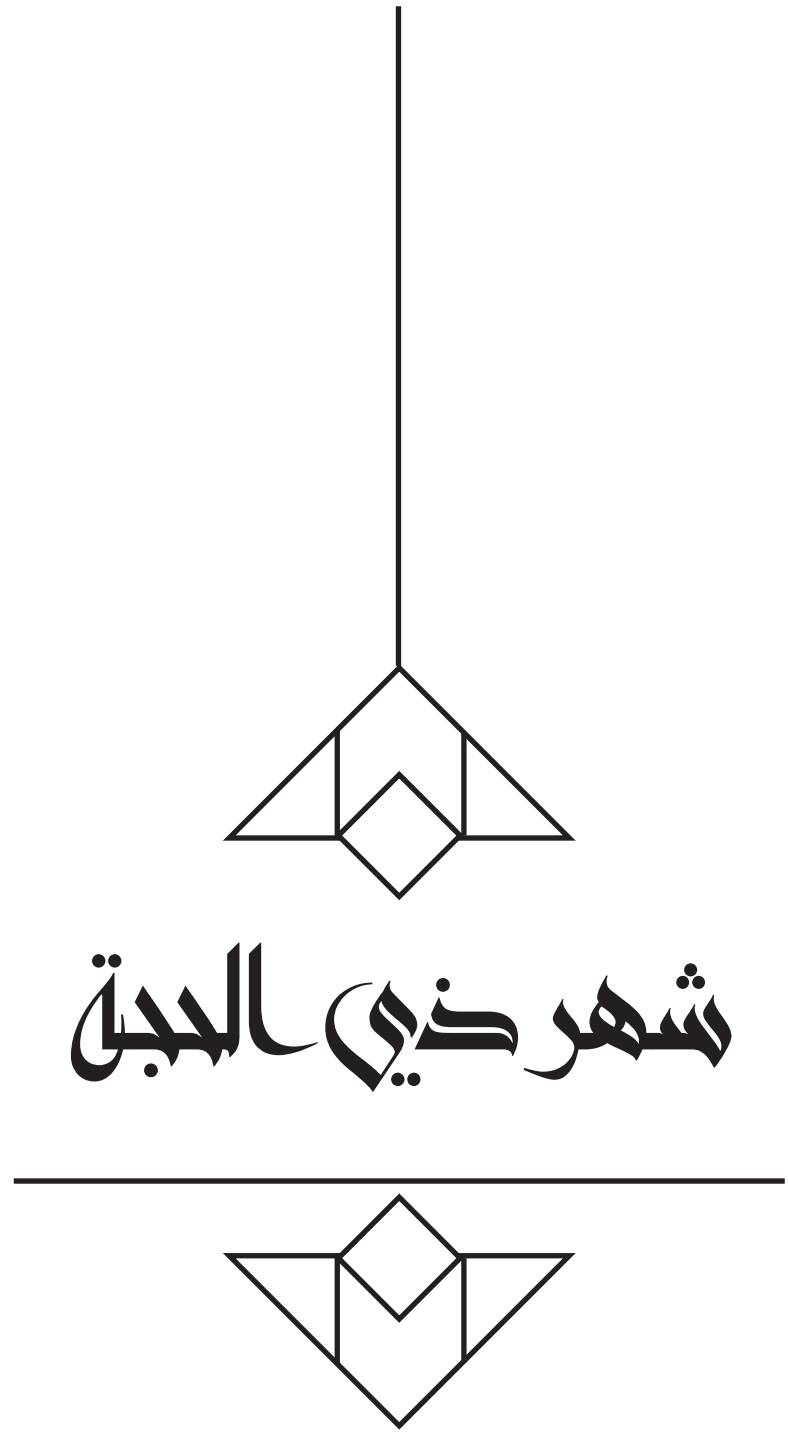
شهر ذي الحجة

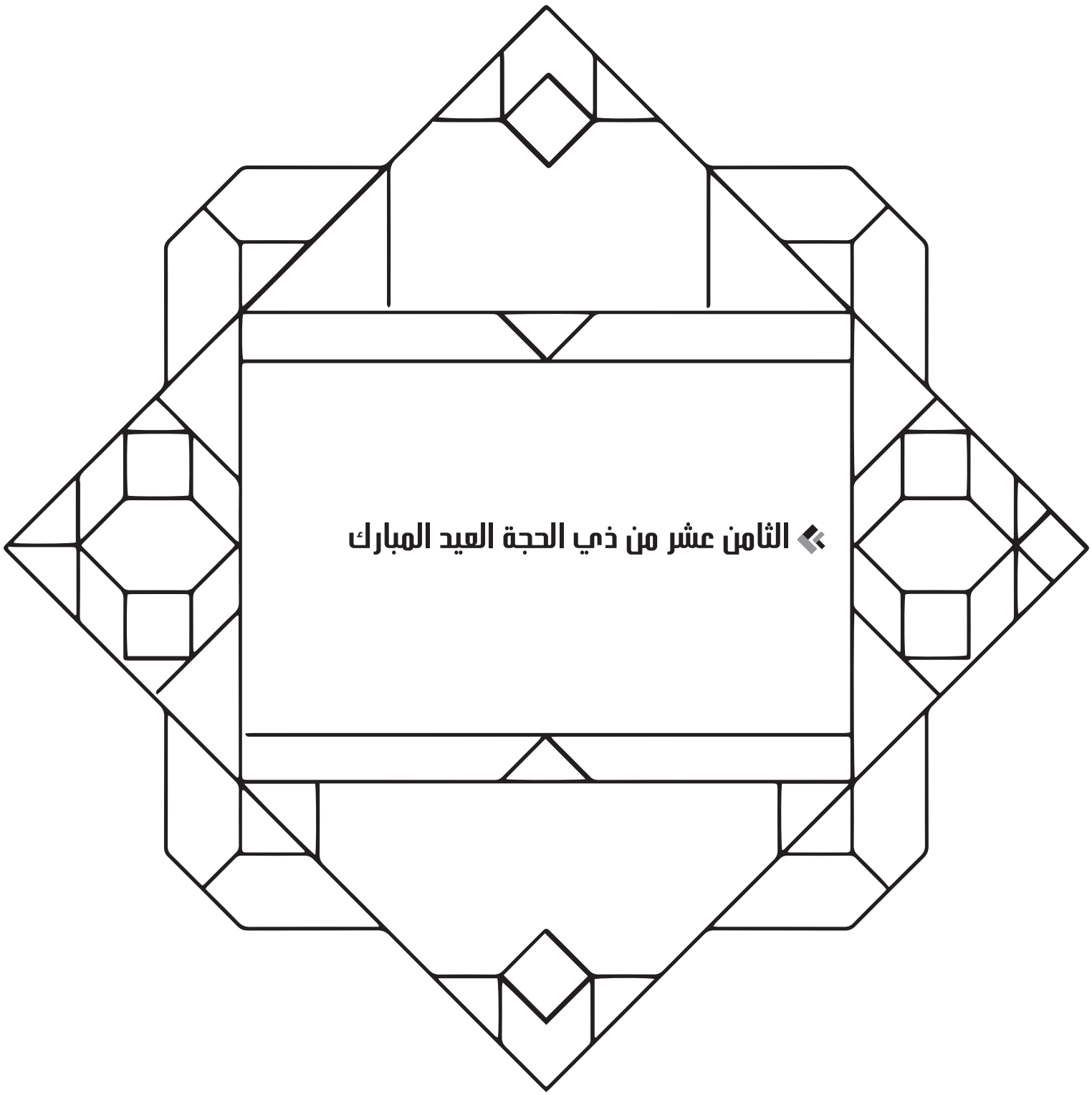
الثامن عشر من ذي الحجة العيد المبارك

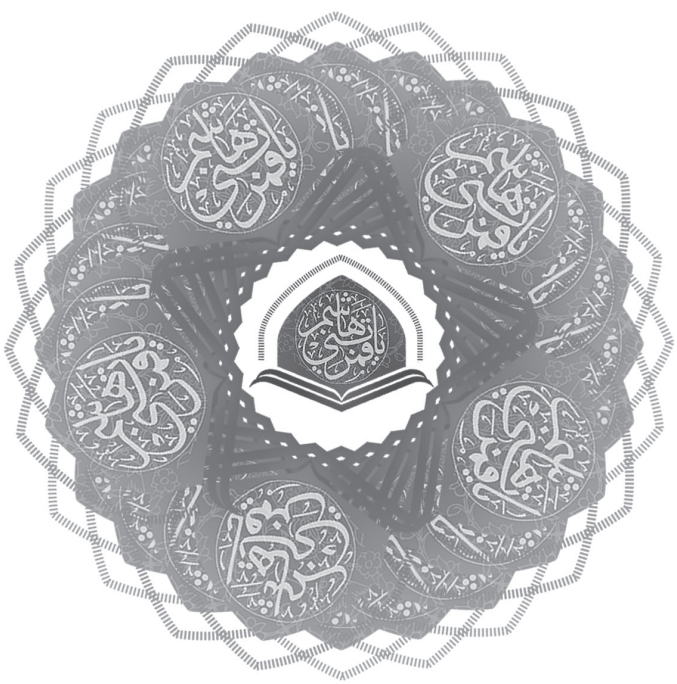

الثامن عشر من ذي الحجة
العيد المبارك

السيد محمود الموسوي

إنَّ يوم الغدير يومٌ عظيمٌ، ومن أيَّام الله سبحانه وتعالى، يقول الله تعالى في القرآن الكريم: **{وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ}**[1] مع أنَّ جميع الأيَّام هي أيَّام الله تعالى، ولكن هنالك أيامٌ لها خصوصياتٌ معينة؛ وبهذه الخصوصيات تُضاف من الله سبحانه وتعالى إضافةً تشريفيـة، وكيف لا يكون كذلك والله تعالى يقول: **{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِينًا}**[2]، فالإسلام لم يكن مرضياً لله سبحانه وتعالى بدون الغدير.

لقد بذل العلّامة الأميني[3] (رحمة الله تعالى عليه)، أربعين عاماً من عمره، وليس يوماً أو يومين، وتحمّل أنواع المحن والآلام والمشاق، وقام برحلات إلى بلاد بعيدة، من أجل تأليف هذه الموسوعة الضخمة المباركة ألا وهي (الغدير)، التي تقع في أكثر من عشرة مجلدات، وفي هذا الكتاب تناول قضية الغدير سنداً ودلالةً ومن أبعاد مختلفة وبنفَسٍ طويل، وعند مراجعة كتاب (الغدير).. يتبيَّن أن أئمّة المفسرين عندما يأتون إلى آية **{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}** يُضطرون إلى تناول قضية الغدير، ومنهم مسلم في صحيحه، فهذا تاريخ.. والتاريخ يجب أن يعكس الحقائق التاريخية وحتى المتواضعة، فكيف بقضية من هذا الحجم الكبير، بل وحتى اللغويين ومنهم ابن منظور الإفريقي[4] عندما يأتون إلى مادة (غين) و (دال) و (راء) غدير، أو إلى مادة (خُم)[5] أو ما أشبه ذلك

---

[1] المائدة: ٣.

[2] المائدة: ٣.

[3] العلامة الشيخ عبد الحسين الاميني التبريزي قدس سره ولد سنة(١٣٢٠) في تبريز وتوفي سنة (١٣٩٠ هـ) في طهران ودفن في النجف الاشرف. من مآثره انشاؤه المكتبة الكبرى في النجف الأشرف التي سماها مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام جمع فيها ما يقرب من أربعين ألف كتاب بينها مئات المخطوطات وجعلها مكتبة عامة.

[4] محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حبقة بن منظور الأنصاري، الرويفعي، الإفريقي، أديب، لغوي، ناظم، ناثر، ولد في مصر سنة (٦٣٠ هـ) من آثاره الكثيرة: مختار الأغاني في الاخبار والتهاني، لسان العرب، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، نثار الأزهار في الليل والنهار، ومختصر مفردات ابن البيطار. توفي عام ٧١١هـ.

[5] خمُ واد بين مكة والمدينة عند الجحفة به غدير عنده خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا الوادي موصوف بكثرة الوَخامة. معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي البغدادي(ت: ٦٢٦هـ) دار صادر- بيروت ١٩٩٥، الثانية: ٢/ ٣٨٩.

يُضطرون إلى تناول هذا الحديث.. وهؤلاء أئمة اللغويين وأئمة المفسرين وأئمة المؤرخين وأئمة الحديث كلهم مذكورون في الغدير، فرداً فرداً.

يوم الغدير... هو أعظم الأعياد الإسلامية بتأكيد الإمام جعفر بن محمد الصادق ﷺ، وقد تحوّل إلى أهم حادثة تاريخية في ذاكرة المسلمين، حتى انبثقت منها مفاهيم ومبادئ يتعلق بها مصير الأمة في عقيدتها وأنظمتها الاجتماعية والسياسية وحتى الاقتصادية، فهذا الحدث التاريخي والحضاري الفاصل وهتاف رسول الله ﷺ يوم الغدير بـ **"مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاه"**[1]، قد صنع تاريخاً جديداً لولا ما حصل من انحرافات كبيرة وعميقة بعد وفاته ﷺ. فإذا كان الأمر كذلك، فكيف كان يمكن أن يؤثّر منهج الغدير في حياتنا؟

صحيح إنَّ (الغدير) يوم عيد عظيم لنا، يتعلّق بشخصية عظيمة هي الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، لكن الحقيقة أنَّ هذا اليوم لا يُمثّل شخصاً واحداً كما تحاول أن تروّج لذلك الثقافات المعادية، وأنَّ القضية شخصية وقعت بين علي بن أبي طالب ﷺ وعدد من معاصريه في تلك الفترة، كما أنَّها ليست قضيّة تاريخية بحتة، إنَّما هي منهج متكامل أمام المناهج الأخر.

إنَّ غياب منهج (الغدير) جعل الأمّة الإسلامية بل والعالم بأسره يعيش فراغاً قاتلاً ملأته أفكار ومناهج أخرى أذاقت العالم الويلات والمعاناة، وليس أدلّ على ذلك ما نشهده من تحشيد وتعبئة لترويج وإثارة قضية (الإرهاب)، في حين تحاول وسائل الإعلام العالمية بكلِّ وسائلها المتطوّرة وإمكاناتها الهائلة، إلصاق تهمة (الإرهاب) بالمسلمين كأفراد والإسلام كدين ومنهج في الحياة، نعم الإمام علي بن أبي طالب ﷺ هو الذي نصّ عليه رسول الله ﷺ وعيّنه خليفةً من بعده من قبل الله عز وجل، فإنَّ الإمام المعصوم ﷺ كالنبي لا يمكن أن ينتخب من قبل الناس، ولكن القوم خالفوا النص وبايعوا غيره، ولم يراعوا فيها حتى الشورى والانتخابات، وفي حادثة الشورى المزيفة التي ضمّت ستة أفراد فقط، قال أحدهم بغلظة وعنجهية: ليجلس هؤلاء في البيت، فإذا خالف اثنان واتفق أربعة فاضربوا عنق الإثنين!! وأمثال هذه الشورى والديمقراطية المزيفة نجد كثيرًا منها في بلادنا، وأيضاً حرق البيوت والاعتداء على الحرمات، وقد حصل مثل ذلك عندما هاجموا دار أمير المؤمنين ﷺ وأشعلوا فيها النار ليأخذوا منه البيعة كرهًا.

الغدير هو الرابطة المهمّة بين الرب والإمام والكون بما فيه، واستمرار الرسالة الإلهية، والحفاظ على الوحي وحمايته.

---

[1] الأمالي، للمفيد: ٥٨. تفسير فرات الكوفي: ١٣٠. روضة الواعظين وبصيرة المتعظين: ١/ ٨٩. جامع الأخبار، للشعيري: ١١.

الغدير ليس حدثًا تاريخيًا يتعلّق بالأمس والماضي مثل العديد من الأحداث المكتوبة في الكتب ويستخدم فقط في التدريس والتعلم. نعم كان تاريخ الملوك والأحداث الماضية على هذا المنوال، لكن الغدير الأمس واليوم وغداً، هو خطّ مستمر وثابت وينبوع كل خير.

أسباب الاحتفال بالغدير

يسأل البعض:

ما هي الحاجة للتّعامل مع الغدير؟

هل يمكن أن يكون هذا العيد مثيرًا للجدل والاستفزاز؟

إنَّ مئات الملايين من المسلمين حول العالم الآن لا يتابعون مدرسة الغدير، ولا يتّبعون عقيدة الإمامة، بل يتّبعون مدارس أخرى. فقد أنشئت مدارس بعد رسول الله ﷺ؛ فهناك مدرسة تُفكّر وتعمل في دائرة الغدير، ومدرسة أخرى تُفكّر خارج هذا النطاق.

اختيار الدين

السبب الأوّل للاحتفال بالغدير هو اختيار الدِّين الصحيح. بعض الناس يقولون: أليس الغدير حادثًا قديمًا يدور منذ مئات السنين، لماذا تتجادل حوله؟!

الجواب هو: لا! الغدير هو حادثة اليوم؛ لأنَّ الناس اليوم يريدون اختيار الدين، ويريدون الصلاة، والصوم، والذهاب إلى الحج وفهم القرآن الكريم.

من هو الأقرب إلى عهد النبي ﷺ؟

في الفقه، يريد الصلاة، كيف يصلي؟

هل السجود صحيح على التربة أم على السجادة؟

من يريد الذهاب إلى الحج؟

الغدير يصوغ فكرنا الديني.

والآن أيّ من المذاهب في الإسلام، مثل الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية والشيعة، أيها تختار؟

أريد أن أقول في بسم الله في الصلاة: هل أقولها بصوت عالٍ أم لا؟

لقد بيَّن الرسول الأعظم ﷺ أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام طريق الحق في خطبة الغدير قائلاً: **" فَاعْلَمُوا مَعَاشِرَ النَّاسِ أَنَّ اللهَ قَدْ نَصَبَهُ لَكُمْ وَلِيّاً وَإِمَاماً مُفْتَرَضاً طَاعَتُهُ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَعَلَى الْبَادِي وَالْحَاضِرِ وَعَلَى الْأَعْجَمِيِّ وَالْعَرَبِيِّ وَالْحُرِّ وَالْمَمْلُوكِ وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ وَعَلَى الْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ وَعَلَى كُلِّ**

مُوَحِّدٍ مَاضٍ حُكْمُهُ جَائِزٌ قَوْلُهُ نَافِذٌ أَمْرُهُ مَلْعُونٌ مَنْ خَالَفَهُ مَرْحُومٌ مَنْ تَبِعَهُ مُؤْمِنٌ مَنْ صَدَّقَهُ فَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِمَنْ سَمِعَ مِنْهُ وَأَطَاعَ لَه..."[1]

وقال: **"مَعَاشِرَ النَّاسِ لَا تَضِلُّوا عَنْهُ وَلَا تَنْفِرُوا مِنْهُ وَلَا تَسْتَكْبِرُوا [وَلَا تَسْتَنْكِفُوا] مِنْ وَلَايَتِهِ فَهُوَ الَّذِي {يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ}**[2] **وَيَعْمَلُ بِهِ وَيُزْهِقُ الْبَاطِلَ وَيَنْهَى عَنْهُ وَلاَ تَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةُ لاَئِمٍ ثُمَّ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَهُوَ الَّذِي فَدَى رَسُولَهُ بِنَفْسِهِ- وَهُوَ الَّذِي كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ وَلَا أَحَدَ يَعْبُدُ اللهَ مَعَ رَسُولِهِ مِنَ الرِّجَالِ غَيْرُه مَعَاشِرَ النَّاسِ فَضِّلُوهُ فَقَدْ فَضَّلَهُ اللهُ وَاقْبَلُوهُ فَقَدْ نَصَبَهُ اللهُ"**[3].

ثم قال ﷺ: **"مَعَاشِرَ النَّاسِ- {أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}**[4] **كَمَا أَمَرَكُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَئِنْ طَالَ عَلَيْكُمُ الْأَمَدُ فَقَصَرْتُمْ أَوْ نَسِيتُمْ فَعَلِيٌّ وَلِيُّكُمْ وَ مُبَيِّنٌ لَكُمُ الَّذِي نَصَبَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدِي وَمَنْ خَلَّفَهُ اللهُ مِنِّي وَمِنْهُ يُخْبِرُكُمْ بِمَا تَسْأَلُونَ عَنْهُ وَيُبَيِّنُ لَكُمْ مَا لَا تَعْلَمُونَ أَلَا إِنَّ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ أُحْصِيَهُمَا وَأُعَرِّفَهُمَا فَآمُرَ بِالْحَلَالِ وَأَنْهَى عَنِ الْحَرَامِ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ فَأُمِرْتُ أَنْ آخُذَ الْبَيْعَةَ مِنْكُمْ وَالصَّفْقَةَ لَكُمْ بِقَبُولِ مَا جِئْتُ بِهِ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ الَّذِينَ هُمْ مِنِّي وَمِنْهُ أَئِمَّةٌ قَائِمَةٌ مِنْهُمُ الْمَهْدِيُّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَقْضِي بِالْحَق"**[5].

وعلى سبيل المثال البسملة:

يختلف المسلمون اليوم في البسملة فمنهم من جعلها جزءًا من القرآن الكريم، ومنهم من قال هي ليست من القرآن، ثمَّ اختلف القائلون بجزئيتها بين من أوجب الجهر فيها بالصلاة وبين من أوجب الإخفات فيها، ولو تتبَّعنا الأُسس الأولى لهذا الاختلاف لوجدناها سياسيّة بحتة، افتعلها بنو أميَّة مخالفةً لأمير المؤمنين علي عليه السلام الذي كان يبالغ بالجهر فيها، وقد روي عنه: **" أَنَّهُ كَانَ إِذَا افْتَتَحَ السُّورَةَ فِي الصَّلَاةِ يَقْرَأُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَكَانَ يَقُولُ: مَنْ تَرَكَ قِرَاءَتَهَا فَقَدْ نَقَصَ وكان يقول: هي تمام السبع المثاني والقرآن العظيم"**[6]، وكان مذهب أمير المؤمنين عليه السلام **"الْجَهْرُ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فِي جَمِيعِ الصَّلَوَاتِ"**[7]، وقد أجمع آل محمد(صلوات

[1] الاحتجاج على أهل اللجاج، للطبرسي: ١/ ٥٩.

[2] يونس: ٣٥.

[3] الاحتجاج على أهل اللجاج، للطبرسي: ١/ ٦٠.

[4] البقرة: ٤٣.

[5] الاحتجاج على أهل اللجاج، للطبرسي: ١/ ٦٥.

[6] الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م: ١/ ١٠٣ ، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ: ١/ ١٧٤، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ: ١/ ٩٠. الدر المنثور في التفسير المأثور، السيوطي(ت: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان: ١/ ٢٨.

[7] مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري(ت:

الله عليهم) على ذلك[1]. ولم يكن أمير المؤمنين ﷺ وحده يجهر بالبسملة، وإنَّما نُقل ذلك عن رسول الله ﷺ وأبي بكر، وعمر، وقد نقل ذلك أنس بن مالك[2]، ثمَّ ما لبث أنس أن غيرَّ رأيه في هذه المسألة حتَّى اضرب في الرواية بشأن حكم الجهر بالبسملة[3]، ويبدو أنَّ بني أميَّة هم من اضطروا أنساً إلى تبديل رأيه، وذلك " **أَنَّ عَلِيًّا ﷺ كَانَ يُبَالِغُ فِي الْجَهْرِ بِالتَّسْمِيَةِ، فَلَمَّا وَصَلَتِ الدَّوْلَةُ إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ بَالَغُوا فِي الْمَنْعِ مِنَ الْجَهْرِ، سَعْيًا فِي إِبْطَالِ آثَارِ عَلِيٍّ ﷺ، فَلَعَلَّ أَنَسًا خَافَ مِنْهُمْ فَلِهَذَا السَّبَبِ اضْطَرَبَتْ أَقْوَالُهُ فِيهِ**"[4]، وممَّا يدلُّ على ذلك: " أنَّ معاوية بن أبي سفيان قدم المدينة فصلّى بالناس صلاة يجهر فيها، ولمّا قرأ أم القرآن ولم يقرأ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ وقضى صلاته، ناداه المهاجرون والأنصار من كلِّ ناحية: أ نسيت! أين بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ حين استفتحت القرآن؟ فأعادها لهم معاوية فقرأ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ"[5]، وروي أيضاً أنَّ معاوية صلى "بالمدينة صلاة يجهر فيها بالقراءة، وقرأ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ لأمّ القرآن ولم يقرأ للسورة التي بعدها حتى قضى صلاته، فلمّا سلّم ناداه المهاجرون من كلّ مكان: يا معاوية، أسرقت الصلاة أم نسيت؟ فصلّى بهم صلاة أخرى وقرأ فيها للسورة التي بعدها"[6]. وهكذا رسَّخ معاوية سُنته بين المسلمين، وصدقت نبوءة المهاجرين بسرقة معاوية للصلاة.

ومع التسليم بما ورد عن أنسٍ وبحصول التعارض بينه وبين أمير المؤمنين ﷺ فنتساءل أيُّهما أولى بالاتِّباع، ويجيبنا على ذلك الفخر الرازي (٦٠٦ هـ) بقوله: " فَإِنَّ الْأَخْذَ بِقَوْلِ عَلِيٍّ أَوْلَى، فَهَذَا جَوَابٌ قَاطِعٌ فِي الْمَسْأَلَةِ"[7] ثمَّ يُضيف فيقول: " وَأَقُولُ إِنَّ هَذِهِ الْحُجَّةَ قَوِيَّةٌ فِي نَفْسِي رَاسِخَةٌ فِي عَقْلِي لَا تَزُولُ الْبَتَّةَ بِسَبَبِ كَلِمَاتِ الْمُخَالِفِينَ.... وَأَمَّا أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ [ﷺ] كَانَ يَجْهَرُ بِالتَّسْمِيَةِ فَقَدْ ثَبَتَ بِالتَّوَاتُرِ، وَمَنِ اقْتَدَى فِي دِينِهِ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَدِ اهْتَدَى، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ [ﷺ]: اللهُمَّ أَدِرِ الْحَقَّ مَعَ عَلِيٍّ حَيْثُ دَارَ"[8]، ويستمر الفخر الرازي في عرض الأدلة متبنّياً رأي أمير المؤمنين علي ﷺ فيقول: " إِنَّ الدَّلَائِلَ الْعَقْلِيَّةَ مُوَافِقَةٌ لَنَا، وَعَمَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ مَعَنَا، وَمَنِ اتَّخَذَ عَلِيًّا إِمَامًا لِدِينِهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى فِي دِينِهِ وَنَفْسِهِ"[9]. وليت المسلمين اتَّبعوا الفخر

٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الثالثة ١٤٢٠هـ: ١/ ١٨٠.

[1] الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ١/ ١٠٦.

[2] مفاتيح الغيب: ١/ ١٨١.

[3] م. ن: ١/ ١٨١.

[4] مفاتيح الغيب: ١/ ١٨١.

[5] الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي: ١/ ١٠٤.

[6] م. ن: ١/ ١٠٥.

[7] مفاتيح الغيب: ١/ ١٨١.

[8] م. ن: ١/ ١٨٠.

[9] مفاتيح الغيب: ١/ ١٨٢.

الرازي باستدلالاته المنطقية، ولكنَّ فرقةً كبيرةً منها تدَّعي أنَّها تتابع السلف قد نكصت على عقبيها واتَّبعت بني أمية في سنَّتهم القاضية بإخفات البسملة في الصلاة، وهم بسيرتهم هذه لم يتَّبعوا سيرة السلف الصالح من صحابة رسول الله ﷺ، وإنَّما اتَّبعوا السلف من بني أميَّة فساء ما يتَّبعون.

وقد صدق الرسول الأعظم حينما قال: **"مَعَاشِرَ النّاسِ، تَدَبَّرُوا القُرْآنَ وَافْهَمُوا آيَاتِهِ وَانْظُرُوا إِلَى مُحْكَمَاتِهِ وَلاَ تَتَّبِعوا مُتَشَابِهَهُ، فَوَ الله لَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ زَوَاجِرَهُ وَلَنْ يُوضِحَ لَكُمْ تَفْسيرَهُ إلاَّ الَّذي أَنَا آخِذٌ بِيَدِهِ وَمُصْعِدُهُ إِلَيَّ وَشَائِلٌ بِعَضُدِهِ وَمُعْلِمُكُمْ: أَنَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلاَهُ، وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبي طَالِب أَخي وَوَصِيّي، وَمُوَالاَتُهُ مِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَهَا عَلَيَّ... مَعَاشِرَ النَّاسِ، إنَّ اللهَ قَدْ أَمَرَني وَنَهَاني، وَقَدْ أَمَرْتُ عَلِيّاً وَنَهَيْتُهُ. فَعِلْمُ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَاسْمَعُوا لأَمْرِهِ تَسْلَمُوا، وَأَطيعُوهُ تَهْتَدُوا، وَانْتَهُوا لِنَهْيِهِ تَرْشُدُوا، وَصِيرُوا إِلَى مُرَادِهِ وَلاَ تَتَفَرَّقَ بِكُمُ السُّبُلُ عَنْ سَبيلِهِ.**

مَعَاشِرَ النَّاسِ، أَنَا صِرَاطُ الله المُسْتَقيمُ الَّذي أَمَرَكُمْ بِاتِّبَاعِهِ، ثُمَّ عَلِيٌّ مِنْ بَعْدي، ثُمَّ وُلْدي مِنْ صُلْبِهِ أَئِمَّةٌ يَهْدونَ إِلَى الْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ"[1].

الغدير يخبرنا اليوم: لديك إمام، حي، يرى أفعالك، ويأتي في يوم من الأيام. عندما لا يظهر إمامك، يجب عليك الرجوع إلى الشخص الأقرب للإمام، وهو عالم يفهم الحديث والدين. من قال أنَّ الغدير مجرد شيء تاريخي؟ لا بل هو اعتقاد وسبيل قال به الرسول الأعظم محمدﷺ، والغدير يعطينا أنموذجًا ويخبرنا أن نتبعه ونتّبع مثاله، ويعلمنا أنماط التوجّه.

الغدير للوحدة أم الفرقة؟

هل يخلق يوم الغدير الفرقة بين الأديان والمذاهب!

لا بُدَّ من توضيح الوحدة الإسلامية، هل هي وحدة سياسية أم أوسع من ذلك؟

الجواب: إنَّ المقصود بالوحدة هو: الوحدة الإنسانية، بمعنى أن نتعامل مع الآخرين على أساس أنّهم: **" إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ"**[2].

والوحدة الثقافية، والتي تعني التعامل بالمشتركات، وفتح أبواب الحوار الهادئ، والمنصف فيما عداها.

الوحدة السياسية، التي تعني التنسيق في المواقف والتعاون في النواحي الاقتصادية، والعسكرية، وغيرها، كمظهر من مظاهر تظافر الجهود، وحشد الإمكانات التي تمكن من الحصول على الأمن والسلامة، للإسلام ولأهله، من خلال دفع العدو المشترك أو ردعه عن استهداف الناس، والعبث بدينهم، وبحياتهم.

---

[1] الإحتجاج على أهل اللجاج، للطبرسي: ١/ ٦٠-٦٢.

[2] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧/ ٣٢.

ولا معنى لحفظ الدين والناس بالوحدة، إذا كان يراد التخلّي من أجلها عن الإسلام وعن حقائقه، ومفاهيمه، وقيمه، ومسلّماته، أو إضعافها، بالتجاهل أو بالتنكّر لها[1].

وهو مشروع أكثر ملاءمة لروح الإسلام وروح العصر أيضاً؛ لأنَّه لا يقوم على القهر والغلبة، ويتّجه لتحقيق الحد الأدنى من العمل لمصالح المسلمين في العالم. ويمكن أن تكون منظمة الدول الإسلامية والمؤسسات الإسلامية العالمية الأخرى نواة لهذا المشروع، بشرط أن تبعث فيها الحياة، ويتم تفعيلها.

ما المانع أن يشبه مشروع الوحدة الإسلامية مشاريع الوحدة الأخرى، مادام محافظاً على خصوصيته، التي هي العمل لمصالح المسلمين العليا الثلاثة: الدفاع، والتنمية، والمحافظة على الثقافة الإسلامية.

إنَّ أيّ وحدة في الأمّة لكي يصح وصفها بأنَّها وحدة إسلامية، لا بُدَّ أن يكون فيها الحد الأدنى من مقوّمات الوحدة في شريعة الإسلام، ومن أصول هذا الحد الأدنى احترام حرية المسلمين التي قرّرها لهم الإسلام، والعمل لتحقيق الحد الأدنى من مصالحهم المشروعة.

ومشاريع الوحدة التي تتبناها بعض الجهات إنَّما هي مشاريع تقوم على أصل القهر والغلبة، أي على دكتاتورية الخليفة المفترض أو الحاكم، فلا يمكن أن تضمن حرّيّة المسلمين المشروعة، ولا مصالحهم العليا!

نخلص من هذه المقدّمة إلى نتيجة، هي أنَّ الوحدة الإسلامية لا بُدَّ أن تتوفّر فيها أربعة عناصر أساسية، لتكون وحدةً لمصلحة الإسلام كدين، والمسلمين كأمة، وهي:

ضمان حرية المسلمين التي شرّعها لهم الإسلام في التّعبير والعمل والمعارضة، في الشؤون الشخصية والمذهبية والعامة.

أن تكون وحدةً تخدم مصلحتهم العليا في الدفاع عن أرضهم ومقدّراتهم.

أن تكون وحدةً تخدم مصلحتهم العليا في التنمية، أي في أمور معاشهم وتطوير ثرواتهم ومجتمعاتهم.

أن تكون وحدةً تخدم مصلحتهم العليا في الدفاع عن دينهم وثقافتهم وعزّتهم كأمّة ختم الله بها الأمم.

إنَّ هذه هي الوحدة التي دعا إليها وعمل لها أهل البيت النبوي الأطهار ﷺ بعد أن فقدت الأمة وحدتها الطبيعية باستشهاد النبي ﷺ وانتقلت إلى الوحدة بالغلبة والقهر على مذهب الخليفة الحاكم.

خصوصية واقعة الغدير

تنطوي واقعة الغدير بعنوانها ميثاق هذه الأمّة ودستورها على خصوصيتين مهمّتين :

الأولى: ظرفيتها فقد تزامنت مع آخر لحظات الرسالة الخاتمة حيث تجلّت من خلالها أرقى حقيقة وجودية

---

[1] مختصر مفيد . . (أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة) ، السيد جعفر مرتضى العاملي ، « المجموعة العاشرة » ، المركز الإسلامي للدراسات ،الطبعة الأولى ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م ، السؤال (٦٣٧) .

ألَا وهي "الولاية "؛ فقد كان لسان الحال فيها يقول "لا دين بلا ولاية"؛ لأنَّ الدين المفرَّغ منها ماهيته مغايرة للحق والنّاموس الإلهي.

الثانية: مصداقها هو "ولي الله" المتصدّي للدفاع عن حريم هذه الحقيقة الدّينية والمتجلي في شخص من فدى رسول الله ﷺ بنفسه.

إنَّ الشيء المميّز للإنسان عن سائر الموجودات المادية، هو حيثية ميولاته ورغباته التي تتأثّر تبعاً بنظرته الدقيقة تجاه عالم الوجود. فلو اقتصرت هذه الأخيرة على البعد المادّي فحسب، تساوى عندها والحيوان. قال أمير المؤمنين عليه السلام: **" أَ أَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلَفُهَا أَوِ الْمُرْسَلَةِ شُغْلُهَا تَقَمُّمُهَا تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلَافِهَا وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا"**[1] وهذا فعلا ما جاء به لسان الذكر الحكيم قال تعالى:

{ ... أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}[2].

فامتياز الإنسان عن باقي الحيوانات ناظر لاستعداده الخاص الذي يقتضي وجود برنامج إلهي يفضي إلى هدايته، والعروج به نحو كماله المنشود، وهو نفس ملاك بعثة الأنبياء والمرسلين إنّه «الدين».

وطالما أنَّ الدين وصل إلى كماله في واقعة الغدير، فتبعًا يكون الغدير محورًا كماليًّا للأمّة جمعاء وضربة قاضية للمشركين والكفّار ومن سار على ديدنهم. وفي الوقت نفسه مَسَدًا لباب الاعتذار أمام من سوّلت وتسوّل له نفسه تزييف الحقائق. قالت السيدة فاطمة عليها السلام: **"وَهَلْ تَرَكَ أَبِي يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ لِأَحَدٍ عُذْرا"**[3].

اليأس في واقعة الغدير:

اليأس معناه انقطاع الرجاء ويقابله الأمل. قال أمير المؤمنين عليه السلام حينما نزل الوحي على النبي ﷺ في غار حراء: **" وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ ﷺ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ فَقَالَ هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ وَلَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْر "**[4].

والمتأمل يدرك لأوّل وهلة أنَّ الآية الكريمة التي نزلت يوم الغدير نسبت اليأس لأنصار الشيطان وهم الكفار؛ فيا ترى ما كانت أطماعهم وآمالهم قبل يأسهم؟

---

[1] شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢٨٧.

[2] الأعراف: ١٧٩.

[3] الخصال: ١/ ١٧٣.

[4] شرح نهج البلاغة: ١٣/ ١٩٧.

إطفاء نور هذا الدين: قال تعالى: **{يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}**[1].

الارتداد عن الدين: قال تعالى: **{وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}**[2]. لكن هل يختص هذا بهم فحسب أم أنّه يسري لأطماع وآمال أهل الكتاب أيضًا: لقد قال تعالى: **{وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ}**[3].

اقتراح الدخول في دينهم: قال تعالى على لسان حالهم: **{وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}**[4] **وقال أيضاً: {وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}**[5].

خلاصة القول إنَّ الكفار يسعون دائمًا نحو إبادة هذا الدين، لكن محطّة الغدير قد حالت وستحول دون ذلك؛ لأنَّ التّمسك بها عمليًّا سيفضي إلى اضمحلال آمالهم وسيبتلي الآملين باليأس المبين؛ لكن بشرطها وشروطها؟! لأنَّ سنة الله في أرضه تقتضى قابلية القابل للفيض الإلهي واستعداده لحفظ هذا الدين القيّم. والنعمة الإلهية متجلّية فعليًّا، طالما هناك أهليّة في المؤمنين، قال تعالى: **{ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}**[6]، وطمع العدو متربص بكفرانها الذي يزوّده بالعزم والقوّة لدحض أواصر البناء الإسلامي.

إنَّ العيد الواقعي، هو عيد الكمال الإنساني وعيد الأمّة الموحدة. وكما يجسّد هذا اليوم مظاهر الوحدة الإسلامية؛ فإنّه في الوقت نفسه يغيض اليهود والكفار؛ لأنّه لم يخصّهم وخصّ المسلمين.

إنَّ الحاجة إلى المرجعية الدينية بعد رحيل النبي الأعظم ﷺ هي الحاجة نفسها إلى النبوات والرسالات الإلهية، فلماذا تحتاج البشرية إلى الأنبياء عليهم السلام؟

إنَّ الله تعالى جعل الخليفة قبل الخليقة، فأوّل كائن وأول بشر على وجه الأرض كان نبيّاً، وكانت هنالك أمة مشكّلة من فردين في البداية أحدهما نبي، وهو أبونا آدم وأمّنا حوّاء (صلوات الله عليهما)، فما هي الحاجة إلى

---

[1] التوبة: ٣٢.

[2] البقرة: ٢١٧.

[3] البقرة: ١٢٠.

[4] البقرة: ١١١.

[5] البقرة: ١٣٥.

[6] الأنفال: ٥٣.

آدم عليه السلام ؟ وما هي الحاجة إلى إبراهيم عليه السلام؟ وما هي الحاجة إلى نوح عليه السلام؟ وما هي الحاجة إلى خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله؟ يوجد في علم العقائد بحث طويل نشير إليه إشارةً..

هنالك قاعدة يُقال لها (قاعدة اللطف): واللطف يعني أنَّ الله تعالى لطيف بعباده، ومن لطفه ورحمته أنَّه يُقرّبهم لما فيه مصالحهم الواقعية ويبعدهم عمّا فيه مفاسدهم الواقعية، مثل الأب الرحيم أو الأم الرؤوم كيف تراعي طفلها وتحاول أن تجنبه ما يضرّه؟ فإذا تترك الأُمُّ طفلَها الذي لا يعرف ما يُصلحه وما يفسده، فربما يأخذ السمّ القاتل ويضعه في فمه، وعندما يتمرّض الطفل لا يعرف ماذا يُصلحه وماذا ينفعه، فتسهر الأم عليه، ولا تنام الليالي، وإذا كان الطفل مصاباً بمرض خطير، فالسهر أكثر حتى إذا أرادت الأم أن تنام، فإنَّ نومها يكون متقطّعًا، والحمّى أحيانًا تكون قاتلة، فإذا يُصاب الطفل الصغير بالحمّى ربما يموت إذا ارتفعت درجة حرارته، ولهذا السبب لن تتمكّن الأم من النوم ليلاً، لأنَّ لديها شيئاً من الرحمة وشيئاً من الرأفة، والله سبحانه وتعالى هو الرحمن وهو الرحيم وهو اللطيف، وهذه الرأفة التي نجدها في العالم.

مقتضى اللطف أنَّ الله تعالى يقرّب عبيده إلى مصالحهم الواقعية، ويُبعدهم عن مفاسدهم الواقعية.. ومن هنا كان بعث الأنبياء وإرسال الرسل، وتعيين الأوصياء.

والسؤال هنا: ألا يكفي العقل لتحقيق هذه المهمّة؟

إنَّ العقل يبيّن الخطوط العريضة، وهي لا تكفي لسعادة الإنسان في الدنيا ولا في الآخرة، لدى العقل مجموعة يُسمّيها الأصوليّون (المستقلات العقلية): الظلم قبيح، العدل حسن، رد الوديعة جيد... كليات يقولها العقل، وخطوط عريضة لا تكفي بوحدها لسعادة الإنسان في هذه الحياة، أمّا في التفاصيل، فإنَّ العقل يقول عن كثير من الأشياء: لا أعلم...!

الغدير ليس يومًا

الغدير تاريخ.

الغدير هي بذرة المحافظة في القلوب.

الغدير هو استمرار المهمّة. ووضع يد الإنسان في يد الله.

الغدير يضمن تحقيق وصايا الله. إذا لم يكن إمامًا، فلن تتحقق وصايا الله.

إنَّ يوم الغدير هو يوم المرجعية للأمة بعد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله في مختلف الحقول الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والاعتقادية وغيرها، ويجب أن يكون يوم الغدير يومًا استثنائياً ولا نجعله كبقيّة الأيام، بل يجب أن يكون هنالك تحوّل في النفوس، فهو يمثل الخط الفاصل بين الحق والباطل.

القصيدة

بين البقيع وكربلاء

الشاعر عدي حسن آل كرماشة

قـف بالبقيع متيماَ تتضرعُ ... وانشقْ رحيقَ نبوةٍ يتضوعُ
قـف حيث ودّع فلذتيه محمد ... وتقاطرت من ناظريه الأدمعُ
والمس نفوسَ الراقدين بتربها ... حرّى بها قبسُ الشهادةِ مودَعُ
قف حيث زينُ العابدين وباقرٌ ... والجعفران والزكيُ الأروعُ
درست قبورُهم وصرن معالما ... في قلب كل متيّم يتشفعُ
يا ثلة من آلِ هاشم أودعت ... روضاً وإنْ هو صفصفٌ أو بلقعُ
فارسلْ خيالَك في بعيد زمانها ... وأطعْ فؤادَك تلقَ طيفاً يرجعُ
طيفٌ تضمّخ بالرسالة رائقا ... هو صورةُ الفردوس أو هو أبدعُ
وتأمّلِ الحُقبَ العظامَ بأنفسٍ ... أبَت الصَّغارَ وموتها تتجرعُ
يا تربةً هي كربلاءُ وإن نأت ... صلة القداسةِ ما تضمُّ وتُهجعُ
فاخلعْ بها نعليك إن ترابها ... عبقٌ بأجساد تئن وتخشعُ
ما شانَها عَوزُ القبابِ مكانة ... حسبُ السماء لها الغطاءُ الأرفعُ
ونجومُها والبدرُ في ليلاتها ... أبداً تنير فناءها إذ تطلعُ
والشمسُ ذائبة على عرصاتها ... ولها من الذهبِ المنوَّرُ برقعُ
يا سيدي (السَجَّادُ) جئتك والهاً ... حرُ الضميرِ بما شقيتم مفجعُ
أنا في عِدادِ الناصرين لحقكم ... من بعدِ ألفٍ مخلصٌ متشيعُ
أومى إليكَ القلبُ حباً مثلما ... أومَت إلى توحيدِ ربٍ إصبعُ

للهِ قلبكَ في الطفوف مودَّعا ... ثقلَ الرسالةِ والكرامَ تـوِّدعُ
وشهدتَ كيف أباك يقتلُ غِيلة ... قتلَ السيوفَ وإنْ غدا يتقطعُ
أو عمَّك العباسَ يُقحمُ صدَره ... جيشاً لتشربَ من فراتٍ مرضعُ
وأبى على العطشِ الحريق أخوةً ... أن لا يبلَّ الريقَ وهو ملوَّعُ
نزفت على النهر النمير عروقُه ... كفاه تشهدُ صدقَه والأذرعُ
هذا الدمُ النبويُ أكرمُ موردا ... من أنْ يضيَّعُ أو يغيضُ المنبعُ
يا سيدَ الصبرِ الجميلِ مشقةً ... لو صُبَّ فوقَ الطودِ قد يتصدَّعُ
ما حزنُ يعقوبٍ بغيبةِ يوسفٍ ... كمريرِ حزنِك بل أشدُّ وأفظعُ
يا سيدَ الصبرِ الجميلِ بمحنةٍ ... أنت الشديدُ بها الهزبر الأشجعُ
خسئَ الحديدُ بمعصميك وإن تُردْ ... لانَ الحديدُ لما تشاءُ وتصنعُ
صُنتَ الرسالة والإمامةَ والهدى ... والبيتَ أركاناً يقُمنَ الأربعُ
قد شاء ربك أن يردَّك سالما ... من هول عاشوراء كيما تُسمِعُ
وتعلمَ الأجيالَ نصرَ شهادةٍ ... وصحائفَ الدعواتِ إذ نتضرَّعُ